منبر الإسلام

صوت الإسلام الوسطى

السنة (٧٤) العدد (٦) جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ
مارس - إبريل ٢٠١٥م - الثمن ٢٠٠ قرش

أصداء الثورة الدينية

أ.د. محمد مختار جمعة (وزير الأوقاف)

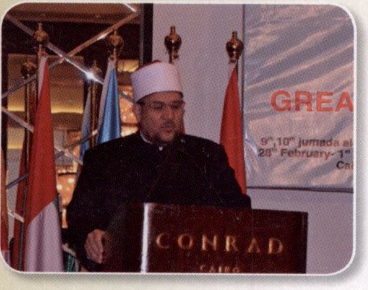

قراءة جديدة لمفاهيم الجزية والخلافة والجهاد عبر توصيات المؤتمر الدولى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الهجرة غير الشرعية .. وأوهام الشباب

(ملف العدد)

من فوق المنبر
خطب شهر جمادى الآخرة
لسنة ١٤٣٦هـ

منبر الإسلام

صوت الإسلام الوسطى

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور : محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور : أحمد على عجيبة

الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مجلس الأمناء

فضيلة الأمام الأكبر (شيخ الأزهر)

الدكتور : أحمد محمد الطيب

الدكتور : شوقى علام

مفتى الجمهورية

الدكتور : عباس شومان

وكيل الأزهر

مجلة منبر الإسلام

فى هذا العدد تغطية لفعاليات المؤتمر العام الرابع والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ولقطات من وقائع المؤتمر على غلاف مجلتكم الغراء.

الفردوس

«مجلة كل الأطفال»

يشع دفء الأمومة من غلاف مجلة الفردوس حيث تظهر الأم وهى تحتضن رضيعها فى حنو ومحبة وعاطفة ترقى بالأم وتجعلها جديرة بجنة الله ورضوانه.

الاشتراكات

يخاطب بشأنها : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وترسل على مكتب بريد جاردن سيتى - القاهرة

عن سنة كاملة : ٣٥ خمسة وثلاثون جنيها بجمهورية مصر العربية.

عن سنة كاملة : ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا أمريكيا للدول العربية والإفريقية

عن سنة كاملة : ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا للدول الأوروبية عن سنة كاملة : ٤٥ خمسة وأربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وشرق آسيا.

عن سنة كاملة : ٦٥ خمسة وستون دولارًا أمريكيًا لأمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

العنوان البريدى : ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى - القاهرة.

رقم الهاتف : ٢٧٩٥٨٦٦٤ - ٢٧٩٥٨٦٥٩ - ٢٧٩٤١٦٢٧ (٢٠٢) - فاكس : ٢٧٩٥٨٦٦٣ - ٢٧٩٥٤٠٠٥ (٢٠٢)

الاشتراكات لسلسلتى قضايا ودراسات إسلامية

قيمة الاشتراك السنوى للسلسلة الواحدة (١٢ عددا)

أولا : داخل مصر (١.٥ جنيه مصرى لكل عدد).

ثانياً : خارج مصر كالآتى : دول عربية وافريقية (٩ دولارات أمريكية) دول أوروبية (١١ دولارًا أمريكيًا)، دول أمريكا وكندا وآسيا (١٤ دولارا أمريكيًا) أمريكا الجنوبية وإستراليا : (٢٢ دولارًا أمريكيًا).

اقرأ لهؤلاء

- أصداء الثورة الدينية (حديث الشهر) ٢
أ. د. محمد مختار جمعة

- وقائع المؤتمر العام الرابع والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٥
متابعة: د. حسن خليل - محمد كامل شاهين

- الهجرة غير الشرعية.. وأوهام الشباب ٣٩
محمد كامل شاهين

- نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية (٧٣) ٤٧
د. طه مصطفى أبو كريشة

- باب (النساء شقائق الرجال) ٧٨

- المصلح الاجتماعى عند الإمام أبى حامد الغزالى ٩٢
د. عامر ريس النجار

- تطور التشريع الإسلامى ٩٦
د. محمد نبيل غنايم

- فضائل الحمد ومنزلة الحامدين ١٠٠
د. مختار مرزوق عبد الرحيم

- نافذة على العالم الإسلامى: بلاد الأندلس «أسبانيا» ١٢٩
جليلة أحمد حلمى

- مدن إسلامية عالمية قديمة ١٣١
د. عبد المقصود باشا

- أنباء وأخبار ٢٣
- فاسألوا أهل الذكر ١٣٥
- نافذة على القراء ١٤٠

افتتاحية العدد

عزيزى القارئ

عزيزى القارئ: إن مصر هى قلب العروبة النابض، ودرع الإسلام الحصينة وإيمانا بدورها الرائد فى العالمين العربى والإسلامى، عقد المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مؤتمره العام الرابع والعشرين فى ظروف عصيبة تمر بها أمتنا الإسلامية حيث تحارب الإرهاب والتطرف الفكرى.. وفى هذا العدد ستجد عزيزى القارئ موضوعات جديدة تناقش قضايا العصر الذى نعيش فيه، فقد أفردت المجلة تغطية شاملة لهذا المؤتمر الدولى الذى عقد تحت رعاية السيد رئيس الجمهورية بعنوان (عظمة الإسلام وأخطاء بعض المنتسبين إليه.. طريق التصحيح) إلى جانب تحقيق يتناول الهجرة غير الشرعية.. وأوهام الشباب، وعدد من الموضوعات الدينية لكبار الكتاب والمفكرين، بالإضافة إلى باب المرأة (النساء شقائق الرجال) وخطب الجمعة لهذا الشهر، فنحن لا نألو جهداً ونسعى جادين لنضع بين يديك عزيزى القارئ كل ما هو جديد ومفيد عبر صفحات مجلتك الغراء راجين أن ننال رضاءكم واستحسانكم، داعين المولى عز وجل أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه.

أسرة التحرير

يسرنا أن نعلن لسيادتكم عن توافر خدمة من الأخبار توصيل مجلة «منبر الإسلام»، ومجلة «الفردوس لكل الأطفال» بالسعر الرسمى دون تحميل القارئ مصاريف التوصيل وذلك من خلال الاتصال على الأرقام التالية: ٢٥٨٠٦٢٣٨ - ٢٥٨٠٦٤٢٠ - ٢٥٨٠٦٤١١

موقع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على الشبكة الدولية

Website Addresses : www.islamic-council.org- www.islamic-council.com
E-mail Address: Islamic_council_eg@yahoo.com
Postal Address : 9, El-Nabatât St., Garden City, Cairo, A.R.E - Tel. : (+202) 27947776 / 27958664 Fax : (+202) 27954005

الصفحة الرسمية للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بجمهورية مصر العربية

http://www.facebook.com/islamic.council.eg -- http://www.facebook.com/supreme.islamic.council.eg

«ضوابط النشر بالمجلة»

ترجو إدارة المجلة من السادة الكتاب الالتزام بضوابط النشر التالية:
١ - أن يكون المقال منضبطاً بالضوابط الشرعية المحكومة بالقرآن والسنّة.
٢ - أن يكون المقال متميزاً فى مادته، ولم يسبق نشره ويفضل أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر ومصحوباً بقرص مدمج (C.D) إن أمكن ذلك مع مراعاة ألا يزيد حجم المقال على ألف كلمة تقريباً.
٣ - تخضع الموضوعات المقدمة للفحص من قبَل المتخصصين بالمجلة، علماً بأن الموضوعات لا ترد لأصحابها سواء نشرت، أم لم تنشر.
٤ - يراعى أن يرفق الكاتب مقاله بنبذة مختصرة عن سيرته الذاتية تتضمن الاسم الثلاثى والمهنة الحالية، والعنوان ورقم الهاتف.

حديث الشهر

أصداء الثورة الدينية

أ. د. محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

لاشك أن الدعوة إلى الثورة الدينية التى أطلقها السيد الرئيس عبد الفتاح السيسى - رئيس الجمهورية - والتى أكد أنها للدين وليست ضد الدين قد لاقت استجابة واسعة داخليًا وخارجيًا، وألقت بظلالها على مجالات متعددة .. فكرية وثقافية وإعلامية وتعليمية .

ففى داخل مصر انطلقت استجابات، ومؤتمرات، وندوات، وصالونات ثقافية متعددة، تدرس مفهوم الثورة الدينية، ومفهوم التجديد الذى دعا إليه السيد الرئيس فى أحاديث متعددة، مما يؤكد إحساسه بعمق الأزمة، وأننا فى حاجة ملحة وحقيقية إلى التجديد فى الفهم والرؤية، وليس فى الشكل والقشور .

دعوة السيد الرئيس إلى ثورة دينية أصابت موضعها ووافقت زمانها وأهلها

استحلال ذبح البشر وحرقهم والتمثيل بهم يعد خروجًا على الإسلام

كما ألقت الدعوة بظلالها الوارفة، وآتت أكلها لدى المنتديات الفكرية والثقافية والعلمية والسياسية العالمية.

ففى اللقاء الذى جمعنى الخميس ٢٠١٥/٣/١٢م بمستشارى وزير الخارجية والداخلية الفرنسيين فى وجود سعادة السفير/ خالد عمران - مساعد وزير الخارجية المصرى للشئون الثقافية والدينية - سألنى مستشار وزير الخارجية الفرنسى عن مفهوم الثورة الدينية التى دعا إليها السيد الرئيس، وعن إمكانية تطبيقها على أرض الواقع، فأجبته فى ابتسامة وهدوء: بأن هذه الدعوة التى أطلقها السيد الرئيس أصابت موضعها ووافقت زمانها وأهلها، فتلقيناها على الفور بالقبول والترحاب، وعن قناعة تامة، لأنها وافقت ما كان بالنفس كامنًا، وأعطت إشارة البدء والحركة الدءوب لمشروع فكرى عملاق بدأت بعض تطبيقاته الحقيقية فى المؤتمر الدولى الرابع والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الذى انتهى فى بحوثه وتوصياته إلى توضيح بعض المصطلحات وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة، وذكرت لهم بعضًا منها، فكان من أكثر ما شد انتباههم وأدهشهم لواقعيته، هو ما أكد عليه المؤتمر من أن استحلال ذبح البشر وحرقهم والتمثيل بهم يعد خروجًا على الإسلام بل على مقتضيات كل الأديان السماوية والقيم الإنسانية، وأن هذه الجماعات إنما هى صنيعة أجندات سياسية تتستر بغطاء الدين زورًا وبهتانًا والدين منها براء، وأن الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف يعملان بقوة على تعرية تلك الجماعات الإرهابية، ورفع أى غطاء أدبى أو شرعى عنها وعن تصرفاتها الهمجية التى تعود بالإنسانية إلى عصور الانحطاط وما قبل التاريخ، وأننا نؤكد بشدة على ضرورة عدم توظيف الدين سياسيًا، وأن تكون دور العبادة لعبادة الله (عز وجل) وترسيخ القيم الأخلاقية والإنسانية، وترسيخ فقه العيش المشترك بين البشر جميعًا على أساس المواطنة الكاملة والحقوق المتبادلة، واحترام آدمية الإنسان بغض النظر عن دينه أو لونه أو جنسه أو عرقه أو معتقده.

كما شرحت لهم نظرة الإسلام إلى نظام الحكم، وأن الإسلام لم يضع قالبًا جامدًا له، وأن جميع الأحاديث التى سئل فيها النبى ﷺ عن مفهوم

إننا نؤكد بشدة على ضرورة عدم توظيف الدين سياسيّا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم

رواه مسلم

الإسلام لم يذكر فى واحد منها شيئًا عن نظام الحكم، لأن الإسلام ترك ذلك مجالا رحبًا فى ضوء ما يحقق العدل، ويمنع الفساد، ويتيح حرية العبادة والمعتقد، ويعمل على تحقيق مصالح الناس، ويؤمن حاجاتهم الأساسية والضرورية، ويعمل على نهضة الأمم ورقيها وتحقيق الأمن والسلام العالمى.

وما إن انتهينا من حديثنا حتى حيّا الرجلان هذه الجهود المبذولة، وأكدا أننا أمام مشروع فكرى ضخم عملاق، وأنهم فهموا الآن مغزى الثورة الدينية وتجديد الخطاب الدينى الذى يدعو إليه السيد الرئيس، وأكدا أن هذا المشروع يحتاج إلى فريق عمل كبير وأنه سيقدم خدمة عظيمة للإنسانية، وأنهم يدعمون هذه الجهود، ويسعون للإفادة منها، وأنهم شرعوا فى فرنسا قانونًا جديدًا يتيح لوزير الداخلية الفرنسى سحب جواز سفر من يثبت تخطيطه للانضمام إلى داعش أو الجماعات الإرهابية، وأنهم يتفهمون جيدًا ما أشرنا إليه من أن الإرهاب لا دين له ولا وطن له، وأنه يأكل من يدعمه أو يأويه أو يتستر عليه، وأن الإرهابيين المنضمين إلى داعش أو القاعدة أو أعداء بيت المقدس، عندما يضيق الخناق على هذه الجماعات وقد بدأ يضيق بالفعل سيرتدون بلا شك على الدول التى قدموا منها، وسيشكلون خطرًا داهمًا على أمنها واستقرارها، ما لم نستبق مجتمعين ذلك وبسرعة شديدة لمحاصرة هذه الجماعات الإرهابية والقضاء عليها.

وفى هذا الصدد وفى ضوء حرب المعلومات أكد مستشار وزير الخارجية الفرنسى لشئون الأديان أنهم يعدون مشروعًا سيتقدمون به لمجلس الأمن الدولى، لحظر استخدام مواقع التواصل فى التحريض على العنف والإرهاب، وأنهم يدعمون جهود مصر فى مواجهة الإرهاب سواء على مستوى التعامل الثنائى بين البلدين أم فى المنتديات الدولية.

ولم يكن هذا الموقف الفرنسى هو الموقف الدولى الوحيد تجاه دعوة السيد الرئيس إلى الثورة الدينية، إنما هناك مواقف أخرى عديدة ربما نتناولها أو نتناول بعضها فى مقالات أخرى.

وقائع

المؤتمر العام الرابع والعشرين
للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

«عظمة الإسلام وأخطاء بعض المنتسبين إليه.. طريق التصحيح»

المنعقد بالقاهرة

فى الفترة من

١٠ - ١١ جمادى الأولى ١٤٣٦هـ

٢٨ فبراير - ١ مارس ٢٠١٥م

تحت رعاية السيد الرئيس

عبد الفتاح السيسى

رئيس الجمهورية

وبرئاسة الأستاذ الدكتور

محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مقرر عام المؤتمر الأستاذ الدكتور

أحمد على عجيبة

الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

تابع وقائع المؤتمر

د. حسن أحمد خليل - محمد كامل شاهين

تصوير: شريف كمال

كلمة السيد رئيس الوزراء المهندس إبراهيم محلب فى افتتاح المؤتمر

الإسلام دين حضارة وبناء.. والتكفير لغة غريبة على بلادنا

المهندس إبراهيم محلب - رئيس مجلس الوزراء - أثناء إلقاء كلمته فى افتتاح المؤتمر الرابع والعشرين

انطلاقا من دور مصر قلب العروبة والإسلام عقد المجلس الأعلى للشئون الإسلامية موتمره العام الرابع والعشرين تحت عنوان: «عظمة الإسلام وأخطاء بعض المنتسبين إليه.. طريق التصحيح» وذلك على مدار يومين، ناقش خلالها أربعين بحثا علميّا للسادة العلماء من أكثر من ثلاثين دولة ومنظمة إسلامية، وهذه وقائع المؤتمر الذى شرفه بالحضور السيد المهندس / إبراهيم محلب - رئيس مجلس الوزراء -.

وهذا نص كلمة سيادته:

السادة الحضور

أحييكم بتحية الإسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأرحب بكم جميعا فى بلد الأزهر الشريف، وطن المحبة والسلام، ورمز التعايش بين جميع الأديان.

إن مؤتمركم هذا العام يأتى فى توقيت بالغ الأهمية، ولذا أحيى منظمى المؤتمر الدولى الرابع والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الذين وضعوه تحت عنوان يعبر عن المشهد الحالى: «عظمة الإسلام وأخطاء بعض المنتسبين إليه.. طريق التصحيح».

دعونى أبدأ كلمتى بهذه الآية الكريمة، المعبرة عما نعيشه هذه الأيام، حيث يقول الله سبحانه

معالى وزير الأوقاف أ. د. محمد مختار جمعة أثناء استقباله المهندس إبراهيم محلب - رئيس الوزراء

وتعالى: بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ • يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ • فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ • وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ • أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: الآيات ٨ : ١٢)

السادة الحضور..

إن ما نجده اليوم من تكفيرٍ وتطرُّفٍ وغُلُوٍّ لدَى المتطرفين، وما يَنشأ عنه من سفك الدماء، وقتل الأبرياء، وحرق الأسرى، كلُّها أعمالٌ إجراميَّةٌ دخيلةٌ على ديننا، وعلى بلادنا وعاداتنا وتقاليدنا، جَسّدتها هذه الآيات الكريمة السابقة، لأنها إفسادٌ فى الأرض وإشاعة للرعب والخوف، واستهداف للأمن والأمان، والإسلام منها برىء.

فَديننا الحنيف حذّر من ترويع الآمنين، وحَرّم التعدى عليهم، لأنه إجرامٌ تأباه الشريعةُ الإسلامية والفطرةُ الإنسانية، يقول ﷺ: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ»، ويقول ﷺ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا».

إننى على ثقة بأن هذا الجمع العظيم من علماء الأمة سيسهمون فى وضع حلول للمشكلات التى تحيط بالأمة

إن إسلامنا أمرنا بحسن معاملة الجميع، أمرنا باحترام حقوق الإنسان، بل والحيوان أيضا، وتراثنا الإسلامى به من القصص والروايات التى تدلل على ذلك.

السادة والسيدات..

إننا لَنَعجبُ أشد العجب من أُناسٍ ارتدُوا عَباءة الإسلام، وحفظوا كتاب الله - عز وجل - أو بعضا منه، وقد يُستدلون بنصوص رُبَّما يكون بعضُها من صحيح السُّنَّة، غيرَ أنَّهم لم يفهموها، فانحرفوا بها عن الفهم الصحيح، وفسروها تفسيراً يخدم مصالحهم الشخصية أو أغراضهم الدنيئة، فَضلّوا وأضلّوا، وَحَادوا عن سواء السبيل. إن الإسلام دينُ

إنسانية، ودينُ حضارةٍ ورُقى، سبيلُهُ البناء لا الهدم.. والتعميرُ لا التخريب.. والصلاح والإصلاح، وعِمارة الكون.. لا الفساد ولا الإفساد.. ديننا الإسلامى يدعو إلى العمل والإنتاج، والتمسك بمُقومات الحضارة التى من شأنها أن تنهضَ بأمتنا وتعْلُو ببلادنا، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

والأمر لا يتوقف عند العمل فحسب، بل لابد من الإتقان فيه، وقد حثَّ النبى ﷺ على ذلك، فقال: «إنَّ اللهَ ـ عز وجل ـ يُحِبُ إذا عَمِلَ أحَدُكُمْ عَمَلاً أنْ يُتْقِنَهُ».

فإتقان العمل سبيل إلى بناء الأوطان وتقدمها ورُقيها.

ونظرًا لما تَمُرُّ به أُمتنا العربية، وما تتعرض له من هجمة شرسة من قِبَلِ القوى الإرهابيةِ الغاشِمة، فإننا فى حاجة ماسة إلى تكاتف أبنائها، وإلى مَدِّ يَد العونِ من كلِّ أفرادِهَا، حتى نتجاوز معًا الأزمات والشدائد والمحن التى تكاد تعصف باستقرارها، ونعيدَ لها مكانتَها اللائقة بين الأمم.

السادة والسيدات..

لقد كانت بعثة النبى مُحمَّد ﷺ رحمةً للعالمين، حيث أرسله الله عز وجل رحمة للناس كافَّةً، فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، ولم يقل: أرسلناك رحمة للمسلمين، أو للمؤمنين وحدهم. ومن مظاهر رحمته ﷺ أنه علَّمَنا بمواقفه العظيمة وتعامله السمح كيف نكون سُبُلَ هداية ورحمة، لا سُبُلَ شقاء أو عناء، وقد تجلى ذلك فى مواقف عديدة، منها: ما كان منه ﷺ يوم فتح مكة، بعد أن تَحمَّل من أهلها ما تحمَّل من الأذى، فلمّا أتم اللهُ عليه النعمة وأيَّده بنصر من عنْده، ودخلَ مكةَ فاتحًا مُنتصرًا، خاطبهم بقوله: «يا أهل مكةَ ما تَظنُّونَ أنِّى فاعلٌ بكم، قالوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، فقال ﷺ: اذهبوا فانتم الطلقاء».

وقد كانت السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ تقول له ﷺ مُعَبرة عن كريم أخلاقه وصفاته: «والله لا يُخْزِيكَ اللهُ أبدًا، إنك لتَصِلُ الرَّحِم، وتَصْدُقُ الحديث، وتُؤدِّى الأمانةَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وتُكرِمُ الضيفَ وتُنصف المظلوم، وتُعِينُ على نوائبِ الدهر..»، مُبيِّنةً بذلك بعض أخلاقِه الحميدة، وصفاته الكريمَة. ويكفيه ﷺ شرفًا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد شهد له بعظمة أخلاقه، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وإذا كانت هذه هى أخلاق نبى الإسلام ﷺ فالإسلام دين رحمة وسماحة، لا دين قتل أو إرهاب.

السادة الحضور..

إنى لعلى ثقة كبيرة فى أن هذا الجمع العظيم من علماء الأمة المجتمعين هنا فى القاهرة، وبرعاية وزارة الأوقاف المصرية، سيسهمون بجهد وافر فى وضع حلول للمشكلات التى تحيط بالأمة، وسيكون لهم نصيب وافر فى الإسهام فى تجديد الخطاب الدينى على النحو الذى يرضى الله ـ عز وجل ـ ويحقق مصالح البلاد والعباد.

كلمة معالى وزير الأوقاف بالمؤتمر الدولى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الإسلام دين حضارة ورقى سبيله البناء لا الهدم

وفى كلمته أمام المؤتمر أرسل معالى الأستاذ الدكتور/ محمد مختار جمعة - وزير الأوقاف رئيس المؤتمر ثلاث رسائل:

الأولى: إلى سيادة رئيس الجمهورية.

والثانية: إلى سعادة رئيس الوزراء.

والثالثة: إلى الكوكبة العظيمة من الحضور المهتمين بتجديد الخطاب الدينى.

وهذا نص كلمة معالى الوزير:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد:

فالإسلام دين حضارة ورقى سبيله البناءُ لا الهدم، والعمل لا الكسل، وهو دين مكارم الأخلاق بكل ما تحمله الكلمة من معان، تتجلى عظمته فى أسمى معانيها فى جوانبه الأخلاقية، فهو دين الرحمة والعدل، والصدق، والأمانة، والعفاف والوفاء، وحفظ العهود، وكل القيم الإنسانية النبيلة، وقد لخص النبى ﷺ الهدف الأسمى لرسالته فقال ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**».

وتتجلى عظمة الإسلام أيضا فى إنصافه الآخر والمختلف، وإيمانه بالتنوع الحضارى والثقافى، حيث يقول الحق سبحانه فى كتابه العزيز: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾ (هود: ١١٨).

وتعد وثيقة المدينة أفضل أنموذج فى تاريخ البشرية لترسيخ فقه التعايش السلمى

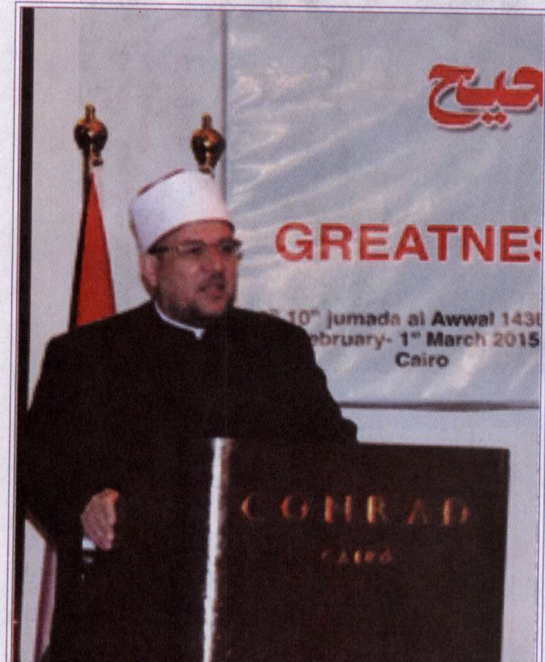

وزير الأوقاف أثناء إلقاء كلمته فى المؤتمر

المشترك بين الأديان والأجناس والأعراق والقبائل، بما حملته من روح التسامح وإنصاف الآخر، وحريته فى المعتقد. حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي**

يا سيادة الرئيس: لقد ناديت حيًّا وأسمعت مجيبًا

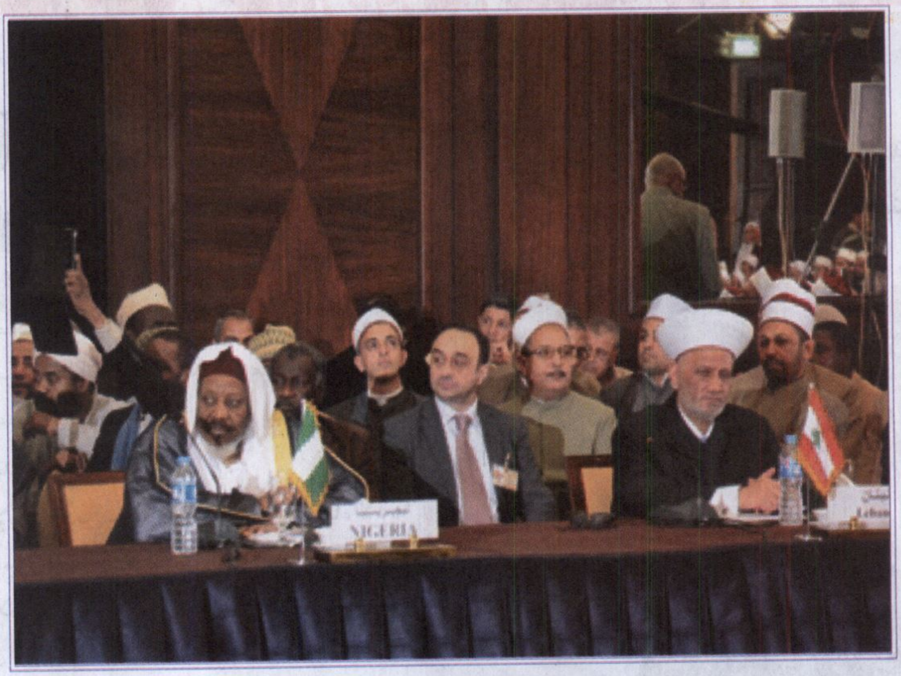

﴿الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

غير أن واقع الجماعات المنتسبة ظلمًا إلى الإسلام يعكس واقعا مرًا، فنرى القتل وسفك الدماء، والذبح والحرق، والتنكيل والتمثيل بالبشر. والتدمير والتخريب، الذى يرتكب باسم الإسلام وتحت راية القرآن، والإسلام والقرآن من كل ذلك براء، كما نرى تخلفًا عن مصاف الأمم المتقدمة فى العمل والإنتاج على عكس ما يأمرنا به ديننا الحنيف من الحرص الشديد على العمل وإتقانه.

ويطيب لى أن ألخص القول فى ثلاث رسائل:

الأولى: إلى السيد الرئيس/ عبد الفتاح السيسى رئيس الجمهورية (حفظه الله).

أقول: يا سيادة الرئيس لقد ناديت حيّا وأسمعت مجيبًا، وها نحن هنا نعلن للجميع من أرض الكنانة أننا بإذن الله تعالى سنكون عند حسن ظنك بنا وأن دعوتك لتجديد الخطاب الدينى لم ولن تذهب سدى، فقد أصابت موضعها، وسيرى العالم كله فى جلسات هذا المؤتمر وبحوثه وتوصياته تجديدًا حقيقيا فى الفكر والفهم واللباب، وليس فى الشكل أو القشور، وسنوافى سيادتكم بنسخة من كل هذا كما يسرنا أن نوجه لسيادتكم خالص الشكر والتقدير على تكرمكم برعاية هذا المؤتمر.

الرسالة الثانية: لسيادة رئيس الوزراء المهندس/ إبراهيم محلب.

التلاقى والتواصل والتشاور والتنسيق بين علماء الأمة ومفكريها وإبلاغ صوتنا عاليًا بعض ثمار المؤتمرات

نقول: يا سيادة رئيس الوزراء ها نحن على العهد كما عودتنا دائما فى جلسات مجلس الوزراء بأننا حكومة المهام الصعبة واقتحام الملفات الشائكة والحساسة مهما كانت حساسيتها، ما دام ذلك لوجه الله تعالى، ثم لصالح الوطن وصالح الأمة فسنفتح فى هذا المؤتمر الملفات الصعبة فى مجال الخطاب الدينى دون خوف أو تردد أو وجل.

الرسالة الثالثة: لهذه الكوكبة العظيمة من السادة نواب ومستشارى الرؤساء، والسادة الوزراء والمفتين والعلماء والمفكرين الباحثين عن الحقيقة المهتمين بتجديد الخطاب الدينى دون تردد أو مواربة أو توجس أو خوف من التجديد، أقول: سنعلن للجميع ما نلقى الله به وما يخدم صالح الدين والوطن والأمة والإنسانية، ونخرج بإذن الله تعالى بتحديد واضح ودقيق لمفاهيم لم يجرؤ كثيرون على الحديث عنها أو فيها بصراحة ووضوح تامين : كالخلافة ونظام الحكم، والجزية، والجهاد والتكفير، ودار الحرب، والدولة الإسلامية والدولة الديمقراطية، وغير ذلك من القضايا، وبما يعد اجتهادًا جماعيا لا فرديا، ويحل كثيرا من الإشكالات والمشكلات الفكرية التى أحجم ويحجم الكثيرون عن مجرد الاقتراب منها .

وإذا كان هناك من يشكك فى جدوى هذه المؤتمرات، فإننا نؤكد أن هذه المؤتمرات لها عدة مهام وفوائد، من أهمها : التلاقى والتواصل والتشاور والتنسيق بين علماء الأمة ومفكريها وإبلاغ صوتنا عاليا بأننا نرفض الإرهاب بكل صوره وأشكاله، وننبذ العنف والتطرف والتشدد والغلو كما نرفض ربط الإرهاب بالأديان، فالإرهاب لا دين له ولا وطن له، وإنه يأكل من يدعمه أو يأويه أو يتستر عليه، كما يأكل الصامتين على جرائمه والمترددين فى مواجهته .

كما أنها تكشف وتفند أباطيل وشبه الجماعات والتنظيمات الإرهابية المتطرفة، وتعمل على تحصين مجتمعاتنا وبخاصة الشباب من الوقوع فى براثن تلك الأفكار والتنظيمات الضالة المضلة .

ومع ذلك نؤكد أن الجانب الفكرى هو أحد عناصر وجوانب المقاومة والمواجهة، إلى جوانب أخرى سياسية، ودبلوماسية، واقتصادية، وعسكرية ومن هنا نعلن كل الدعم والتأييد لدعوة السيد الرئيس عبد الفتاح السيسى بسرعة تشكيل قوة عربية موحدة لمواجهة المخاطر والتحديات التى تواجه أمتنا العربية وتتهدد أصل وجودها، وتعمل على تفكيكها وتحويلها إلى دويلات أو عصابات تسقطها فى فوضى لا نهاية لها .

وكلنا أمل فى أن تقدم هذه النخبة المتميزة من العلماء والمفكرين حلولا منطقية وأجوبة شافية لكثير من الأسئلة القلقة والشائكة .

وفى النهاية يطيب لى أن أبلغكم جميعا تحيات فضيلة الإمام الأكبر أ.د/ أحمد الطيب ـ شيخ الأزهر ـ (حفظه الله)، واعتذاره عن عدم الحضور، لنزلة برد شديدة ألمت به.

نسأل الله له تمام الشفاء والعافية .

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ألقاها نيابة عنه الأستاذ الدكتور عباس شومان وكيل الأزهر

السيد رئيس مجلس الوزراء المهندس إبراهيم محلب، قداسة البابا تواضروس الثانى بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية، الأستاذ الدكتور/ محمد مختار جمعة وزير الأوقاف، ضيوف مصر الأشقاء من الدول العربية والإسلامية، العلماء الأجلاء، السيدات والسادة الحضور

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. يشرفنى أن أنوب عن فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ - الأزهر الشريف -، الذى كان يود الحضور بنفسه ليرحب بالأشقاء ضيوف المؤتمر لولا أن البرد الذى داهمنا جميعا اختصه بالقدر الأكبر فالابتلاء على قدر الدين والمقام وله من الجميع ذروة السنام، نسأل الله القدير له عاجل الشفاء.

السيدات والسادة: أود فى البداية أن أتقدم بالشكر الجزيل للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى سن سنة حسنة منذ ما يربو على عقدين من الزمان؛ حيث يحرص على عقد هذا المؤتمر السنوى متفاعلا مع قضية من قضايا عالمنا الإسلامى والعربى، كما قدم العديد من الموسوعات والدوريات والمطبوعات النافعة بالعديد من اللغات التى تنطق بها ألسنة البشر، وهذا المؤتمر الذى نحن بصدده يأتى فى مرحلة بالغة الدقة والتعقيد فهناك الكثير من التطورات التى لم تكن حين انعقد المؤتمر السابق فى العام الماضى فى نفس المكان، حيث أخذ الإرهاب شكلا جديدا وبرزت جماعة تصدرت المشهد أكثر إجراما وإرهابا من جماعة أخرى كانت تتصدره آنذاك، وأصبحت الدول المستهدفة أكثر وأكثر، وبات واضحا أن هذا الإرهاب لم يصبح مقتصرا على أغراض محلية وإنما تلاقت هذه الأهداف المحلية لخارجين عن الاصطفاف الوطنى مع توجهات خارجية تحمل عداء تاريخيا لإسلامنا بصفة عامة وتستهدف قلبه النابض فى منطقتنا العربية بصفة خاصة، ولذا فإن أشر هذه الجماعات التى تسقى جميعها بماء واحد وهى داعش التى ظهرت - ولا أقول نشأت فى بلاد الشام -

خالص الشكر الجزيل للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى سنّ سنة حسنة بعقد هذا المؤتمر السنوى

ضيوف مصر السلام يتابعون باهتمام بالغ وقائع مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وعينها على قلب العروبة مصر، وبالفعل طالت أياديها الغادرة بعض أبناء الوطن العاملين فى ليبيا، لقد خرجت هذه الجماعات عن تعاليم الأديان السماوية والأعراف الإنسانية بأفعالها الإجرامية التى تفوقوا فيها على أسلافهم الخوارج والتتار، ولقد تعددت المؤتمرات المحلية والدولية التى تشخص أسباب ظهور هذه الجماعات وتضافرت على قطع صلاتها بالأديان ولاسيما الدين الإسلامى، ونادت بضرورة التصدى لها باستخدام الوسائل الكافية لردعهم وتخليص الآمنين من شرورهم، وقد شارك الأزهر الشريف فى كل هذه المؤتمرات فى الداخل والخارج، وشارك شيخ الأزهر بنفسه فى آخر هذه المؤتمرات قبل هذا المؤتمر الذى عقد فى المملكة العربية السعودية، ونحن فى حاجة الآن إلى الانتقال من الإطار النظرى إلى الميدان العملى وذلك بتحويل توصيات هذه المؤتمرات إلى خطط عملية تطبق على أرض الواقع، وقد بدأ الأزهر بنفسه فبعد انتهاء أعمال مؤتمره العالمى لمواجهة التطرف والإرهاب فى الرابع من ديسمبر من العام المنصرم، والذى صدر الجزء الأول من أعماله قبل أيام، اجتمع شيخ الأزهر بعد يوم واحد من انتهاء أعمال المؤتمر بالقيادات الأزهرية ممثلة فى رئيس جامعة الأزهر، وأمين عام مجمع البحوث الإسلامية، ورئيس قطاع المعاهد الأزهرية، ووكيل الأزهر، مطالبا كل قطاع بأخذ ما يخصه من التوصيات وإعداد الخطط القابلة للتنفيذ على أرض الواقع، والبدء الفورى فى تنفيذها، مكلفا وكيل الأزهر بالمتابعة ورفع التقارير الدورية لما يتم إنجازه، كما تولى فضيلته بنفسه - تنفيذا لتوصيات المؤتمر - التنسيق بين عدة وزارات وهيئات لعلاج مشكلات الخطاب الدينى، حيث اجتمع مع وزراء الأوقاف والتعليم العالى والتربية والتعليم والشباب والرياضة والثقافة والقيادات الإعلامية، لتنسيق الجهود للتصدى لهذا السرطان الذى يتمدد فى الجسد العربى، ونفذنا العديد من الفعاليات مع عدة وزارات منها ما هو جار على الأرض كمبادرة «الأزهر يجمعنا» مع الشباب والرياضة، وتحول عمل القوافل التى يسيرها الأزهر من النمط الوعظى إلى النمط الحوارى مع الشباب فى أماكن تجمعاتهم فى الجامعات والمدارس والمعاهد ومراكز الشباب والنوادى والشركات وغيرها، كما بدأ مجمع البحوث الإسلامية نشاطا إلكترونيا للتصدى للقصف الذى تشنه هذه الجماعات الإرهابية عبر مواقع التواصل ومن خلال المواقع الكثيرة التى تمتلكها هذه الجماعات ويرتادها الشباب بكثافة، ونعترف بأن حربنا فى هذا الإطار ليست متكافئة لامتلاكهم من التقنيات والدعم ما لا تملكه مؤسسة واحدة ولذا فإننا فى حاجة إلى التعاون مع الجهات التى تملك تلك التقنيات لنتكامل معها حيث

نمتلك الخبرات العلمية، بالإضافة إلى مراجعة شاملة لمناهج التعليم ما قبل الجامعى بالأزهر الشريف، وصياغة مناهج عصرية تعالج قضايا الساعة، ولقد انتهت لجنة إصلاح التعليم بالأزهر الشريف بالفعل من صياغة مناهج عصرية فى التعليم ما قبل الجامعى ستكون فى أيدى أبنائنا بداية من العام الجامعى ٢٠١٥ - ٢٠١٦م، وأوشكت على الانتهاء من مراجعة مقررات التربية الدينية فى التعليم العام بالتنسيق مع وزارة التربية والتعليم، علينا جميعا أن نكون على قدر التحدى وأن نجنب الخلافات والمصالح الشخصية الضيقة جانبا، وأن نتبنى خطابا منضبطا واعيا وعاقلا داعما لمتخذى قرار المواجهة الرادعة، وأن نخوض نحن حربا موازية لا تقل ضراوة عن الضربات العسكرية، وهى الحرب الفكرية المضادة للهجمات الفكرية التى تتبناها هذه الجماعات لاستقطاب الشباب وإيقاعهم فى شراكها فكريا باستخدام نفس الوسائل والتقنيات التى يستخدمونها، وإذا كان هذا المؤتمر يعنى بعلاج أخطاء منتسبى الإسلام، فإنه يجب العلم بأن الأخطاء لا تنحصر فى المسلمين من أعضاء هذه الجماعات الإرهابية، بل تشملنا نحن أيضا ونشاركهم الخطأ ويتمثل ذلك فى كثير من الأمور أركز على أهمها مراعاة للوقت:

على مستوى الأفراد: يخطئ البعض حين يصورهم على أنهم جماعات تنطلق من مرتكزات دينية، بل ويتبارى البعض الآخر للتنقيب فى تراثنا الإسلامى مستغلا بعض النصوص الصحيحة مفصولة عن سياقها التاريخى ليسقطها على واقعنا المعاصر، أو تلك الروايات الضعيفة وربما المدسوسة أحيانا ليظهرها على غيرها من النصوص والروايات الصحيحة الكاشفة لضعفها وربما زيفها، محملين سلفنا الصالح تبعة هم منها براء، فلا حرق ولا ذبح فى شريعتنا لمعاند محارب فكيف بمسالم حرام الدم والمال، ومن أعطى الحق لهذه الجماعات المارقة لتعاقب باسم الدين أصلا؟!، ويبالغ البعض أكثر وأكثر حين يربط بين نهج هذه الجماعات الإجرامية ومناهج الأزهر الشريف حامى حمى الوسطية والاعتدال وهذا لايحتاج إلى بيان.

وعلى مستوى المؤسسات والهيئات: نخطئ حين نكتفى بالمعالجة النظرية دون أن نحولها إلى خطط عملية على أرض الواقع، وحين تعمل كل مؤسسة بمعزل عن أخواتها.

وعلى مستوى الدول: حين تدعم بعض الدول العربية والإسلامية علنا أفكار هذه الجماعات المارقة، وتبيح لهم أرضها وسماءها لتبث عبر قنوات فضائية سموم التحريض على تخريب المجتمعات والنيل من القوات المسلحة أو أجهزة الأمن، وتتوعد الأبرياء العزل بالقتل والاستهداف، فعلى هذه الدول أن تتوقف عن صناعة المزيد من هذه الجماعات الإرهابية، ووقف بث هذه القنوات المعادية وإلا وجب اعتبارها دول معادية.

علينا إن أردنا أن ننجح فى هذه المعركة أن ننظر إلى هذه الجماعات كأذرع لقوات معادية وليست فقط جماعات محلية، فأعتقد أن ما أظهره الدواعش من قدرة تخطيطية وتنفيذية وإجرامية يفوق تخطيط الجماعات التى تعتمد على نفسها تدريبا وتسليحا وتنفيذا، إننا على يقين بأن هذا السرطان لن يجتث إلا بأيد عربية، ولذا فنحن فى حاجة إلى قوة ردع عربية على وجه السرعة قبل أن يلتهم هذا الخبيث بقية الجسد العربى، وإنه لمن الخطأ الشديد أن ننتظر من عدو تاريخى تخليصنا ممن لا نبرئه من صناعتهم ودعمهم تحت ستار حربهم، وإن الأزهر الشريف يضع كل إمكاناته ويمد يديه إلى كافة المؤسسات فى الداخل لدعم الدولة المصرية ويقف صفا واحدا خلف قواتنا المسلحة الباسلة، وشرطتنا الساهرة على أمن المواطنين، ويدعم قرارات القيادة السياسية، ويمد الأزهر يده لكل من أحب السلام وسعى لنشر الأمن فى وطننا العربى والإسلامى، وليعلم الجميع أننا الآن فى حالة حرب حقيقية وهى لا تحتمل التجاذب والخلاف المنهى عنه عند احتدام الأمور لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦)، وإنما المطلوب الامتثال لقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٣)، حفظ الله أوطاننا من شر أعدائنا.

كلمة البابا تواضروس بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية:

الحداثة لا تعنى تغيير ثوابت الدين

أعرب البابا تواضروس، بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية، عن سعادته البالغة لمشاركة الكنيسة المصرية فى مؤتمر «عظمة الإسلام» الذى تنظمه وزارة الأوقاف تحت رعاية الرئيس عبدالفتاح السيسى بمشاركة ٦٠ دولة إسلامية.

وقال تواضروس، فى كلمته بالمؤتمر: إن رجال الدين عليهم مسئولية كبيرة نحو تربية عصرية وتعليم مستنير، مشيرا إلى ضرورة أن يثبت رجال الدين لدى العوام القيم الإنسانية التى تركز على التنوع واحترام الآخر وقبوله، وترسخ حب الحياة وليس ثقافة الموت.

وأضاف أنه يجب إحياء القيم الإنسانية النبيلة التى تساعد على نهضة المجتمعات، مشدداً على أن ثوابت الدين لا تتغير تحت أى ظرف، وأن الإنسان الشرقى يحب الدين، فضلا عن العمل على تصحيح المفاهيم المغلوطة، وأن يوجه الخطاب الدينى لبناء مفاهيم التسامح والحداثة. كما أعرب البابا تواضروس، عن أمله فى الشفاء العاجل للدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، من نزلة البرد التى منعته من حضور المؤتمر.

وأشار بابا الإسكندرية، إلى أن ثوابت الدين وعقائده وأساسياته لا يمكن أن تتغير، مشيرا إلى أن مواكبة الحداثة لا تعنى أن نفرط فى مبادئنا، لأن الرجل الشرقى لا يقبل الطعن فى الدين، وأن الحداثة ليس معناها التفريط فى ثوابت الدين، يجب ألا نفرط فى الثوابت الدينية، فالشرق هو مهد الأديان والحضارات والفنون، والإنسان الشرقى متدين، ولا يقبل الطعن فى ثوابته الدينية أو أى إساءة، ولابد أن نصحح المفاهيم المغلوطة التى تتسرب بين وقت وآخر، فالله أعطى الحرية للجميع فى العبادة، ولا يقبل الظلم ولا الاعتداء على الحياة الإنسانية ولابد أن نهتم بالعقل والحوار، مشيدا بدور الأزهر فى نشر الوسطية.

وأضاف أن التطرف الفكرى لا يقبله أى دين، وأنه يتعين على رجال الدين أن يصححوا المفاهيم المغلوطة لدى الشباب، وأن يواجهوا الفكرة بالفكرة، مستخدمين فى ذلك الوسائل العصرية والحديثة، موضحا أن رجال الدين عليهم مسئولية كبيرة نحو محو الأفكار المتطرفة، التى تعمل بعض الجماعات الإرهابية على نشرها، وأن المؤسسة الدينية تحتل المكانة الأهم فى ذلك الدور، وأن القيم الإنسانية من أهم الأسس التى يجب تنشئة المجتمع عليها لعظمتها.

وطالب البابا تواضروس، بنشر الفكر الوسطى الذى يقوم به الأزهر فى مصر والذى نتعلم منه جميعا، قائلا: إننا نشرب الوسطية من ماء النيل الذى نسكن حوله، فالتشدد لا نعرفه فى مصر، وأن يستوعب خطاب الإعلام الجميع وخاصة الشباب، مشيرا إلى أن المسئولية تقع على عاتقنا لتوجيه الشباب ومخاطبتهم باللغة التى يفهمونها.

رسالة العلماء للرئيس

أرسل المجتمعون بمؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية رسالة شكر وتقدير لسيادة الرئيس عبد الفتاح السيسى رئيس الجمهورية (حفظه الله)، يعلنون فيها تأييدهم لدعوته إلى تشكيل قوة عربية موحدة، و إلى تجديد الخطاب الدينى تجديداً فى الفهم، والوعى بمستجدات العصر ومتغيراته، فى ضوء الحفاظ على ثوابتنا الشرعية مما هو قطعى الثبوت قطعى الدلالة، وقد جاء فيها :

بمناسبة ختام أعمال المؤتمر الدولى العام الرابع والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية، والذى توالت جلساته على مدار يومين متتابعين، وناقشت أكثر من خمسة وثلاثين بحثا ودراسة علمية، تحت عنوان: «**عظمة الإسلام وأخطاء بعض المنتسبين إليه.. طريق التصحيح**»، يتشرف الأعضاء المشاركون فى المؤتمر من نحو أربعين دولة ومنظمة إسلامية ودولية، بأن يعربوا عن عميق شكرهم وعظيم تقديرهم لسيادتكم ولمصر بقيادتكم الحكيمة، على كل ما تقدمونه من عطاء غير محدود لدينكم ووطنكم وأمتنا العربية والإسلامية، كما يقدرون كل التقدير تفضلكم بوضع المؤتمر تحت رعايتكم الكريمة، تعبيرًا عن اهتمامكم الشخصى واهتمام مصر كلها بقضايا أمتها الإسلامية، وتصويب الأفكار الخاطئة، وتجديد الخطاب الدينى..

ولا شك أن انعقاد المؤتمر فى هذه الظروف العصيبة التى تمر بها الأمة العربية والإسلامية، والاختيار الموفق لموضوع ومحاور المؤتمر، وما عرض فيه من بحوث وما دار فيه من مناقشات ثرية، يفتح باب الأمل أمام الأمة فى تجاوز محنتها، والانطلاق إلى ما نرجوه لها جميعًا من تقدم وازدهار يتفق مع تاريخها المجيد فى العطاء الحضارى.

علماء الأمة للسيد الرئيس: سر على بركة الله فى خطواتك الثابتة لجمع شمل الأمة وتوحيد كلمتها

كما أن انعقاد المؤتمر فى وسط القاهرة على ضفاف النيل، وتحت رعاية سيادتكم وبالصورة التى تم بها قد أرسل رسالة واضحة للعالم كله، بأن مصر قد استعادت أمنها وعافيتها، وأن الشعب المصرى كله بمسلميه ومسيحييه ملتف بقوة حول قيادتكم الحكيمة.

وفى نهاية هذا المؤتمر وبإصدار توصياته نستطيع أن نقول: يا سيادة الرئيس، لقد ناديت حيًّا وأسمعت مجيبًا، وإن دعوتك إلى تجديد حقيقى للخطاب الدينى لم ولن تذهب سدى.

وفى هذا ما يؤكد أن دعوة الرئيس إلى ثورة حقيقية فى الخطاب الدينى قد لاقت استجابة كبيرة ليس على المستوى الوطنى فحسب، وإنما على المستوى العربى والإسلامى والعالمى، وما لمسناه فى لقاءاتنا المتعددة برؤساء الوفود، وأعضائها على السواء.

و قد تضمنت توصيات المؤتمر رسائل أخرى منها:

١ - التأكيد على أن الثورة الدينية تتطلب معها ثورة علمية ومعرفية، وهو ما يستدعى إعادة النظر فى مناهج التعليم وتطويرها، ويأتى قرار السيد رئيس الوزراء المهندس / إبراهيم محلب، بتشكيل لجنة لتطوير مناهج التعليم خطوة إيجابية فى هذا الاتجاه، نؤمل أن ندير من خلالها حوارًا وطنيّا واعيًا ومسئولاً، يفيد من جميع الخبرات والكفاءات الوطنية فى العمل على تطوير حقيقى يتناسب، ومستوى النهضة العلمية العالمية فى شتى المجالات .

٢ - التأييد والدعم المطلق لدعوة السيد رئيس الجمهورية إلى تشكيل قوة عربية موحدة، مع التأكيد على ضرورة وحدة الصف العربى والإسلامى، والعمل على اتخاذ خطوات عربية وإسلامية جادة باتجاه تكوين تكتلات سياسية، واقتصادية، وفكرية، وثقافية فى ظل جامعة الدول العربية ومنظمة التعاون الإسلامى، بما يجعل منها مجتمعة رقما صعبًا.. يصعب تجاوزه أو الافتئات عليه فى المحافل الدولية، أو التكتلات الاقتصادية العالمية، أو الغزو الفكرى والثقافى لأبناء أمتنا العربية والإسلامية.

ويعقد المشاركون فى المؤتمر وغيرهم على السيد الرئيس /عبد الفتاح السيسى، آمالا كبيرًا فى ذلك، متمنين له التوفيق فى خطواته الإيجابية، وإسهامه الواضح فى تصحيح صورة الإسلام والمسلمين فى لقاءاته الدولية، والتعريف بقضايانا العادلة، وأخصها حقوق الشعب الفلسطينى فى إقامة دولته المستقلة، على حدود ما قبل الرابع من يونيو، وعاصمتها القدس الشرقية.

كما يؤكدون على أهمية الحوار الحضارى، والعمل على تأصيل، وترسيخ فقه العيش المشترك بدلا من صدام الحضارات، وهو ما أكده السيد الرئيس فى أكثر من مناسبة من أن واحدًا ونصف مليار مسلم يمثلون ربع سكان العالم، لا يمكن أن يمحوا أو يقصوا غيرهم، كما لا يمكن لغيرهم أن يمحوهم أو يُقصيهم من المعادلات العالمية أو أن يجعلهم على هامشه، مما يؤكد أنه لا غنى لنا جميعًا عن الحوار والتواصل والتفاهم، انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: ١٣).

وفى النهاية نقول لسيادة الرئيس: «سر على بركة الله فى خطواتك الثابتة، للعمل على جمع شمل الأمة، وتوحيد كلمتها، والعمل على مواجهة الإرهاب ودحره، وتخليص المنطقة والعالم من شره، وفى دعوتك إلى انتهاج لغة الحوار بدلا من لغة السلاح، والقتل والدم والحرق والذبح والتخريب والتدمير، التى تنتهجها الجماعات الضالة المارقة المنسلخة من الأديان والقيم الإنسانية، والتى تحتاج منا جميعا إلى بذل أقصى الجهد لاقتلاعها من جذورها، قبل أن يستفحل خطرها وشرها أكثر من ذلك، فتأكل الأخضر واليابس وساعتها لا ينفع ندم المترددين، والمتقاعسين وممسكى العصا من المنتصف .

كلمة الضيوف

الدكتور عبد الله معتوق المعتوق مستشار صاحب السمو أمير دولة الكويت ومبعوث الأمين العام للأمم المتحدة للشئون الإسلامية

الدكتور عبد الله معتوق المعتوق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد،

معالى وزير الأوقاف المصرية.

أصحاب المعالى السادة الوزراء.

أصحاب السعادة الإخوة السفراء.

أصحاب الفضيلة والسماحة من العلماء والدعاة.

السيدات والسادة.

الإخوة الحضور

إن الكلمات لتتزاحم أمامى محاولا التعبير عما يجيش فى صدرى.. وتحدثنى به نفسى.. من شكر جزيل.. وعرفان فضيل.. على حسن كرم الضيافة.. وحسن الرفادة الوثير الذى قوبلت به الوفود المشاركة فى هذا المؤتمر الحاشد للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى اجتماعه الرابع والعشرين، وهذا ليس بغريب على الشعب الذى صار كرمه، واحتفاؤه بضيوفه، مثلا يُحكى.

الحضور الكريم..

قد كان من المفترض لأمة مثلنا.. هى خير أمة أخرجت للناس.. أن يكون اجتماعها للتفكير فى كيفية نشر هذا الخير شرقا وغربا.. وتعزيز حضارتها التاريخية برا وبحرا.. والتشاور حول آليات ووسائل الارتقاء بالأمة.. غير أننا ابتلينا بفكر متطرف جاف جثم على أمتنا عبر بوابة العولمة وأدواتها من شبكة المعلومات ووسائط التواصل الإلكترونى فصرنا نجتمع لدحره.. ونفكر فى الحد من خطورته فتعطلت مسيرة التقدم وتراجعت مشاريع الحضارة، وتكلست جهود الارتقاء، وأضحت جهود الأمة منصبة حول مقاومة هذا الفكر الذى لا يقدم الإسلام للناس على النحو الذى أراده الله رحمة وسعة وعفوا.. فكر أصحابه قضاة وليسوا دعاة.. طغاة وليسوا هداة.. ينحرون الناس كالنعاج.. ويحرقونهم أحياء.. فكر تكون فى صورة فتاوى فأورثت أفعالا متعجلة.. وأعمالا من القتل والتفجير شوهت الإسلام.. ودفعت كثيرا من هذا الشباب إلى المحرقة باسم الدفاع عن الإسلام وحراسة حياضه.. وشوهت صورة الإسلام، ومنحت المغرضين الذريعة للانقضاض على الفكرة الإسلامية غير مفرقين بين المبدأ والممارسة.

نعم لقد اكتوينا .. واكتوى المسلمون جميعا بهذه الأفكار التى استلبت مهام أئمة الإسلام فصارت تكفر وتحكم بالقتل والسبى، وقصرت الجهاد على سل السيوف وامتشاق السلاح وجعلت

آن الوقت لكى نسمو فوق ثقافة المحنة وجلد الذات والحديث عن منهجية العلاج وسبيل الرشاد

الوفود يتابعون كلمة الضيوف

الجهاد غاية، مع أن الجهاد لم يكن يومًا من الأيام هدفًا فى ذاته ولا غاية مستقلة، وإنما هو وسيلة من ضمن الوسائل العديدة لتحقيق الأهداف العظمى والآمال السامية لأن هداية الخلائق هى الأصل والجهاد فرع عليها..

أصحاب المعالى والسعادة والسماحة والفضيلة

من هنا كانت السلبية أو غض الطرف تجاه هذا الوضع جريمة كاملة الأركان والسكوت جناية على الإسلام، فنتوقع من هذا المؤتمر - بما انتهى إليه من توصيات وقرارات - أن يكون وثبة على طريق الهداية، وصرخة مدوية فى وجوههم: أن توقفوا وأفيقوا وافهموا حقيقة الإسلام، فالإسلام فى أصله رحمة للناس والشعوب، وأن هداية الخلائق هى مصلحة فى ذاتها.. وإخراج الناس من الظلمات إلى النور هو هدف فى حد ذاته.. وإنقاذ الناس من المعاصى إلى الطاعات ومن النار إلى الجنة هو غاية عظيمة فى حد ذاتها.. وإلا لماذا كادت نفس النبى ﷺ أن تتقطع حسرات على هداية قومه ورغبة منه فى إسلامهم؟ وماذا كان الإسلام وجماعته ستستفيد من إسلام الغلام اليهودى وهو على فراش المرض بعدما دعاه النبى ﷺ؟!.. وماذا كانت جماعة المسلمين ستستفيد من إسلام أبى طالب وهو على فراش الموت؟! ولماذا برأ القرآن اليهودى من تهمة السرقة مع مكر اليهود ودهائهم؟

السادة العلماء

الحضور الكرام

أقولها بصراحة: إننا فى مرحلة دقيقة وحاسمة، وصلت إلى حد تهديد وجود الدولة الوطنية ذاتها، ورأينا كيف تضيع الدولة أمام أعيننا وتذوب كقطعة السكر فى الماء الساخن، وأصبحنا فى مرحلة نكون فيها أو لا نكون، ومن ثم لابد وأن تنطلق مرحلة التحليق والتنظير والآمال العراض إلى آفاق رحبة من العمل الجدى والتنفيذ الدقيق وتحمل مسئولياتنا تجاه واقع الأمة بعمل شامل استراتيجى وبتخطيط واضح.

آن الوقت لكى نسمو فوق ثقافة المحنة وجلد الذات، لنتحدث عن منهجية العلاج وسبيل الرشاد فى ظل وسطية الإسلام بحضور علماء الأمة واستعراض التجارب الناجعة فى مواجهة هذه الظاهرة التى تشوه الإسلام وتصد الناس عن سبيل الله تعالى.

وفى الختام أتوجه باسم ضيوف مصر من أنحاء العالم العربى والإسلامى بالشكر إلى فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد الفتاح السيسى على رعايته لهذا المؤتمر كما أتوجه بالشكر الجزيل والثناء الوفير إلى أخى وصديقى معالى وزير الأوقاف المصرية الأستاذ الدكتور محمد مختار جمعة على كرم الضيافة وحسن الترتيب لأعمال المؤتمر وأشكر كل من أسهم فى إنجاح هذا المؤتمر - عرفنا ومن لم نعرف - لجان تنظيم وصحافة وضيافة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

توصيات المؤتمر العام الدولى الرابع والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

قراءة جديدة فى مفاهيم الجزية والخلافة والجهاد

١- يعلن المؤتمر أن الإسلام دين يكفل حرية الاعتقاد؛ فـ «لا إكراه فى الدين»، وأنه يسوى بين الناس فى المواطنة والحقوق والواجبات على اختلاف معتقداتهم دون تمييز، وأن عماده العدل والرحمة وصيانة القيم والدفاع عنها، وقبول التنوع واعتباره سر الكون، كما يحرم الاعتداء على الدماء والأعراض والأموال إلا ردًا لعدوان ظاهر على الدولة، ووفق ما يقرره رئيسها والجهات المختصة بذلك فيها، إذ إن إعلان الحرب دفاعًا عن الأوطان إنما هو حق للدولة وفق ما يقرره دستورها ورئيسها وليس حقًا للأفراد، وأنه يحترم العقل أداة للفكر الصحيح، ويُشبع الوجدان، ويغذى المشاعر، ويعانق بين الدنيا والآخرة، وكل تصرف على غير ذلك مجاف لصحيح الإسلام.

٢- الإسلام برىء مما يرتكبه بعض المنتسبين إليه من التكفير، وترتيب بعض الأفعال الإجرامية عليه من ذبح وحرق وتمثيل وتدمير وتخريب، إذ هو افتئات على حق الله المتفرد بالعلم بما فى قلوب عباده، كما أنه افتئات على حق ولى الأمر.

٣- لا يصح أن يحتج على الإسلام بأخطاء بعض المنتسبين إليه، ولا بسوء فهمهم له، أو انحرافهم عن منهجه.

٤- على جميع أتباع الديانات النظر إلى الأديان الأخرى بمعيار موضوعى واحد دون تحميلها أخطاء بعض أتباعها.

٥- توظيف بعض المنتسبين للإسلام الدين لأغراض نفعية أو سلطوية إساءة إليه، وإجرام فى حقه.

٦- أجمع المجتمعون من العلماء والمفكرين والباحثين والكتاب على إنكار طرد الناس من أوطانهم، أو هدم دور عباداتهم، وسبى نسائهم واستباحة أموالهم، بسبب اختلاف دينهم تحت مسمى الدولة الإسلامية أو أى مسمى آخر، والإسلام برىء من كل هذا.

٧- اتفق المجتمعون على تحريم ازدراء الأديان لما فيه من اعتداء على مشاعر أتباعها ولما ينشأ عنه من تكدير السلم الاجتماعى والإنسانى العام، وما يترتب عليه من إشاعة الفتنة والعنف وصدام الحضارات.

الإسلام برىء مما يرتكبه بعض المنتسبين إليه من تكفير وحرق وتدمير وافتئات على حق الله

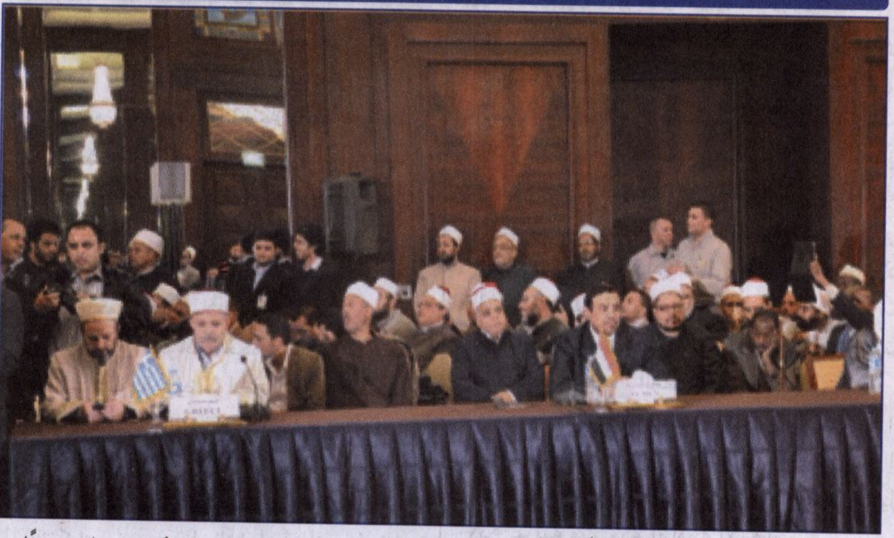

٨- أجمع المجتمعون على تصحيح المفاهيم الآتية:

(أ) الإرهاب، وهو الجريمة المنظمة التى يتواطأ فيها مجموعة من الخارجين على نظام الدولة والمجتمع، وينتج عنها سفك دماء بريئة أو تدمير منشآت أو اعتداء على ممتلكات عامة أو خاصة.

(ب) الخلافة: وصف لحالة حكم سياسى متغير يمكن أن يقوم مقامها أى نظام أو مسمى يحقق مصالح البلاد والعباد وفق الأطر القانونية والاتفاقات الدولية.

وما ورد فيها من نصوص يحمل على ضرورة أن يكون هناك نظام له رئيس ومؤسسات حتى لا يعيش الناس فى فوضى، فكل حكم يحقق مصالح البلاد والعباد ويقيم العدل فهو حكم رشيد، وعليه فلا حق لفرد أو جماعة فى تنصيب خليفة أو دعوى إقامة دولة خلافة خارج أطر الديمقراطيات الحديثة.

(ج) الجزية: اسم لالتزام مالى انتهى موجبه فى زماننا هذا وانتفت علته بانتفاء ما شرعت لأجله فى زمانه، لكون المواطنين قد أصبحوا جميعًا سواء فى الحقوق والواجبات، وحلت ضوابط ونظم مالية أخرى محلها، مما أدى إلى زوال العلة.

وما ورد فى القرآن الكريم من حديث عنها يحمل على الأعداء المحاربين والمعتدين الرافضين للمواطنة، وليس فى المواطنين المسالمين المشاركين فى بناء الوطن والدفاع عنه.

(د) دار الحرب: مصطلح فقهى متغير، وقد أصبح فى وقتنا الحاضر لا وجود له بمفهومه المصطلحى القديم فى ظل الاتفاقات الدولية والمواثيق الأممية ولا يخل تغيره بالتأكيد على حق الدول فى استرداد أرضها المغتصبة، وأخصها حقوق الشعب الفلسطينى والشرع يوجب الوفاء بالعقود، وعليه فلا هجرة من الأوطان بدعوى الانتقال لدار الإسلام.

(هـ) المواطنة: تعنى أن يكون المواطنون جميعًا سواء فى الحقوق والواجبات داخل حدود دولهم.

(و) الجهاد: رد العدوان عن الدولة بما يماثله دون تجاوز أو شطط ولا مجال للاعتداء ولا حق

تفعيل دعوة السيد الرئيس السيسى بضرورة تشكيل قوة ردع عربية مشتركة لمقاومة الإرهاب

للأفراد فى إعلانه، إنما هو حق لرئيس الدولة والجهات المختصة بذلك وفق القانون والدستور.

(ز) على المؤسسات العلمية الدينية وضع ضوابط التكفير لتكون بين يدى القضاء، وبما يشكل وعيًا ثقافيا ومجتمعيا يميز بين ما يمكن أن يصل بالإنسان إلى الكفر وما لا يصل به إليه.

أما الحكم على الأفراد أو المنظمات أو الجماعات فلا يكون حقا للأفراد أو المنظمات أو الجماعات، وإنما يكون بموجب حكم قضائى مستند على أدلته الشرعية والضوابط التى تضعها المؤسسات الدينية المعتبرة، حتى لا نقع فى فوضى التكفير والتكفير المضاد.

مع التأكيد أن استحلال قتل البشر أو ذبحهم أو حرقهم أو التنكيل بهم من قبل الأفراد أو الجماعات أو التنظيمات يعد خروجا عن الإسلام.

(ح) الحاكمية: تعنى الالتزام بما نزل من شرع الله وهذا لا يمنع احتكام البشر إلى قوانين يضعونها فى إطار مبادئ التشريع العامة وقواعده الكلية، وفقًا لتغير الزمان والمكان ولا يكون الاحتكام لتلك التشريعات الوضعية مخالفا لشرع الله ما دام أنه يحقق المصالح العامة للدول والشعوب والأفراد والمجتمعات.

٩- ضرورة تطوير الخطاب الإسلامى بحيث يكون خطابًا متوازنًا يجمع بين العقل والنقل، ومصلحة الفرد والمجتمع والدولة، ويسوى بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات، ويكون قادرًا على محاربة كل ألوان التطرف والغلو والتسيب والإلحاد.

١٠- يُوصى المجتمعون بإقامة مرصد دائم بكل لغات العالم تكون مهمته رصد أخطاء بعض المنتسبين للإسلام والرد عليها بالحجة والبرهان، بحيث يربط بين جميع الهيئات والمؤسسات الإسلامية فى العالم.

١١- يجب إعادة النظر فى مناهج الدراسة الدينية والثقافية فى المؤسسات التعليمية فى العالم العربى والإسلامى، وتنقيتها من المسائل المرتبطة بظروف تاريخية وزمانية ومكانية معينة، مما يتطلب إعادة النظر فيها وفق ظروفنا وزماننا ومكاننا وأحوالنا بما يؤدى إلى نشر ثقافة التسامح، وتكوين العقل بما يجعله قادرًا على التفكير وإنزال الأحكام الشرعية على المستجدات والنوازل من غير مجافاة للواقع أو التضارب معه، على أن توضع هذه التوصية تحت نظر اجتماع القمة العربية المقبلة.

١٢- يطالب المجتمعون بتفعيل ما نادى به السيد رئيس الجمهورية وراعى المؤتمر الرئيس عبد الفتاح السيسى بضرورة قيام الدول العربية بتكشيل قوة ردع عربية مشتركة لمقاومة الإرهاب.

١٣- يطالب المجتمعون باتخاذ خطوات عربية وإسلامية باتجاه تكوين تكتلات سياسية واقتصادية وفكرية وثقافية فى ظل جامعة الدول العربية ومنظمة التعاون الإسلامى، بما يجعل منها مجتمعة رقما صعبا يصعب تجاوزه أو الافتئات عليه فى المحافل الدولية، أو التكتلات الاقتصادية العالمية، أو الغزو الفكرى والثقافى لأبناء أمتنا العربية والإسلامية.

١٤- التنسيق بين الوزارات المعنية بالثقافة والتربية، بحيث تعمل وزارات الأوقاف، والتربية والتعليم، والتعليم العالى، والثقافة، والشباب، كفريق عمل، على أن يقوم الإعلام بدوره فى تأصيل القيم.

١٥- التوصية بالاهتمام البالغ تدريبًا وتثقيفا واستخدامًا لعوامل التواصل الحديثة والعصرية وبخاصة فى المؤسسات الدينية والفكرية والثقافية.

١٦- وافق المجتمعون على تشكيل لجنة متابعة لتنفيذ التوصيات تجتمع كل أربعة أشهر وتصدر بيانًا يرسل إلى جميع المشاركين ولوسائل الإعلام المختلفة، للوقوف على ما يتم تنفيذه.

وزارة الأوقاف تدير حوارًا مجتمعيّا حول آليات تجديد الخطاب الدينى

محمد سيد أحمد على الدين

أكد معالى وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة أن وزارة الأوقاف تدير حوارًا مجتمعيًا مفتوحًا حول آليات تجديد الخطاب الدينى، وتفعيل توصيات المؤتمر الرابع والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، تناقش وتستمع فيه إلى رؤى وآراء العلماء، والمفكرين، والكتاب، والسياسيين، والإعلاميين، وعلماء التربية، وعلماء النفس، وعلماء الاجتماع، كما يسرها أن تتلقى أى مقترحات فى هذا الشأن على القسم المخصص لذلك على موقع الوزارة الرسمى (أوقاف أونلاين www.awkafonline.com).

وستقوم الوزارة بتكريم بعض من أسهموا بجهد واضح فى نجاح المؤتمر، وستعقد حلقة نقاشية من خلال صالون الأوقاف الثقافى للنظر فى ذلك، وسيحضر اللقاء بعض أعضاء المنتدى العالمى للسماحة والوسطية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

صالون الأوقاف الثقافى السابع:

لمناقشة توصيات المؤتمر الدولى العام الرابع والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

ناقش صالون الأوقاف الثقافى السابع الذى عقد بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية توصيات المؤتمر الدولى العام الرابع والعشرين للمجلس، الذى عُقد تحت عنوان: «عظمة الإسلام وأخطاء بعض المنتسبين إليه.. طريق التصحيح» بمقر المجلس بجارد سيتى، حيث شارك فى اللقاء كل من:

- أ.د/ عبد الله النجار- الأستاذ بجامعة الأزهر والعميد السابق لكلية الدراسات العليا وعضو مجمع البحوث الإسلامية وعضو المنتدى العالمى للسماحة والوسطية والهيئة العالمية لضمان جودة الدعوة فرع القاهرة.
- أ.د/ محمد سالم أبو عاصى - الأستاذ بجامعة الأزهر وعميد كلية الدراسات العليا وعضو المنتدى العالمى للسماحة والوسطية والهيئة العالمية لضمان جودة الدعوة فرع القاهرة .
- أ.د/ جلاء جاب الله - رئيس مجلس إدارة دار التحرير والنشر.

وأدار اللقاء أ.د/ أحمد على عجيبة - عميد كلية أصول الدين بطنطا وعضو مجمع البحوث الإسلامية والأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وعضو المنتدى العالمى للسماحة والوسطية والهيئة العالمية لضمان جودة الدعوة فرع القاهرة .

وزير الأوقاف يفتتح محطة تقوية إذاعة القرآن الكريم بطنطا

وزير الأوقاف ومحافظ الغربية ورئيس اتحاد الإذاعة والتلفزيون يفتتحون محطة التقوية

في إطار نشر الفكر الإسلامى الصحيح افتتح معالى أ.د/ محمد مختار جمعه وزير الأوقاف نائبًا عن سيادة رئيس الوزراء المهندس إبراهيم محلب محطة تقوية إذاعة القرآن الكريم بمركز السنطا محافظة الغربية مصطحبًا معه بعض العلماء من دول : الإمارات العربية الشقيقة، وفلسطين، والشيشان، وفرنسا.

وذلك بحضور السيد/سعيد مصطفى كامل - محافظ الغربية - والأستاذ / عصام الأمير - رئيس اتحاد الإذاعة والتليفزيون - والأستاذ/ مجدى أمين - رئيس الإدارة المركزية للشئون الهندسية بالإذاعة والتليفزيون - والإعلامى الأستاذ سعد المطعنى، والشيخ/ محمود أبوحبسة - مدير أوقاف الغربية -.

وأكد معالى الوزير أن هذه التقوية الجديدة تعد نقلة نوعية ليصل إرسال إذاعة القرآن الكريم إلى شمال أفريقيا، وجنوب أوروبا، وأسيا، إضافة إلى جمهورية مصر العربية والمنطقة العربية، وأن الأعلام يُعد أحد محاور التكوين الثقافى والتوعوى للمجتمع، وأحد العوامل فى مواجهة تحديات العصر ومحاربة اللغو والتطرف، ووجه شكرا للتغطية الإعلامية المثالية الرائعة للمؤتمرات والأعمال التى تقوم بها وزارة الأوقاف.

وأوضح معاليه أننا نلمس روحًا جديدة فى نشر الوعى الدينى الصحيح والفكر الإسلامى المستنير، وهو ما يؤكد أن القيادة السياسية تدرك أهمية نشر الفكر الإسلامى الصحيح وضرورة تصحيح المفاهيم الخاطئة على أيدى العلماء المتخصصين فى مصر والعالم .

كما شملت الجولة زيارة معاليه لمسجد سيدى أحمد البدوى رضي الله عنه وأمّ المصلين فى صلاة الظهر وتفقد نظافة المسجد، وقد استقبله رواد المسجد وجمع من السادة الأئمة بالترحاب الشديد.

وتفقد معالى الوزير أرض الأوقاف التى سيقام عليها مستشفى الدعاة فرع طنطا والتى تُعد من أهم المشروعات التى تخدم الأئمة والخطباء والعاملين بالأوقاف بمحافظات الدلتا، واطلع على الرسم الهندسى، وطالب بتوسيع مساحة الأرض التى تقام عليها المستشفى .

كما زار معاليه فرع جامعة الأزهر بطنطا بصحبة فضيلة أ.د/ محمد محمود هاشم - نائب رئيس جامعة الأزهر للوجه البحرى - وتجوّل فى صحبة ضيوف المؤتمر فى كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا ومكتبة الكلية الزاخرة بالمراجع العلمية الأصيلة .

من جهته قام أ.د/ محمد أبوهاشم بتسليم معالى الوزير نسخة من كتاب الله (عز وجل) تقديرًا لجهوده فى خدمة الدعوة.

وزير الأوقاف يستقبل الدكتور محمد روكارا مستشار الرئيس البوروندى ومفتى القدس وأمين عام مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الإسلامية بالرياض

استقبل معالى وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة السيد الدكتور محمد روكارا نائب رئيس لجنة الوساطة بالوحدة الإفريقية، ونائب رئيس لجنة الوساطة بمجموعة الدول الفرانكفونية بمرتبة نائب رئيس بوروندى عن منطقة البحيرات العظمى الإفريقية، وذلك من أجل الاستفادة من علماء الأوقاف فى نشر الفكر الإسلامى الصحيح بدولة بوروندى، ومشاركة دولة بوروندى فى المسابقة الدولية للقرآن الكريم التى تعقد فى ١٨-٢٣ أبريل ٢٠١٥م .

كما استقبل وزير الأوقاف على هامش المؤتمر كلا من: الدكتور خليف الأوزينة - وكيل وزارة الأوقاف الكويتية - والدكتور زيد الدكان - أمين عام مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الإسلامية بالرياض - الذى سلّم وزير الأوقاف درع المؤتمر تقديرا لجهوده فى خدمة الإسلام ونشر الفكر الإسلامى الصحيح، كما استقبل مفتى القدس سماحة الشيخ/ محمد أحمد محمد حسين الذى عبّر عن امتنانه لدور مصر فى دعم الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى، وحقه فى إقامة دولته المستقلة على حدود ما قبل الرابع من حزيران ١٩٦٧م وعاصمتها القدس الشرقية، كما استقبل عدداً من الوزراء والمفتين المشاركين بالمؤتمر الدولى العام الرابع والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية للتباحث فى مواجهة الإرهاب وبيان الوجه الحضارى السمح لديننا الحنيف الذى يرفض كل ألوان العنف والتشدد والغلو .

وزير الأوقاف يستقبل مستشار صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد للشئون الدينية والقضائية ورئيس الجامعة المصرية للثقافة الإسلامية بكازاخستان

استقبل معالى وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة بمكتبه كلا من: السيد/ على الهاشمى مستشار صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان للشئون الدينية والقضائية بدولة الإمارات العربية المتحدة الشقيقة للتباحث حول آلية تجديد الخطاب الدينى، وتم دعوته للمشاركة فى فعاليات الحوار المجتمعى الأول الذى تديره وزارة الأوقاف لبحث آليات تجديد الخطاب الدينى وتفعيل توصيات المؤتمر الدولى العام الرابع والعشرين، والذى عقد تحت عنوان: «عظمة الإسلام وأخطاء بعض المنتسبين إليه.. طريق التصحيح».

كما استقبل أ.د/ جودة بسيونى رئيس الجامعة المصرية للثقافة الإسلامية بكازاخستان التابعة لوزارة الأوقاف، حيث أطلع السيد رئيس الجامعة معالى الوزير أ.د/ محمد مختار جمعة على خطط تطوير الجامعة ودورها فى نشر سماحة الإسلام بوسط أسيا كلها، والرسائل العلمية التى يتم تسجيلها بالجامعة عبر الإشراف المشترك لأساتذة الجامعة المصرية للثقافة الإسلامية وبعض أساتذة جامعة الأزهر الشريف .

معالى وزير الأوقاف أثناء استقباله مستشار صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد

فى أول اتصال بين وزيرى الأوقاف والتربية والتعليم :

العمل المشترك لتطوير المناهج ومسابقة كبرى فى القيم الأخلاقية والانتماء للوطن

أ.د/ محب الرافعى

فى أول اتصال أجراه معالى وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة بمعالى وزير التربية والتعليم أ.د/ محب الرافعى للتنسيق والتعاون المشترك لنشر الفكر الوسطى، ومواجهة التطرف والإرهاب، وتأصيل روح الانتماء الوطنى لدى جميع الطلاب، وترسيخ القيم الأخلاقية فى نفوسهم، اتفق الوزيران على الإعداد لمسابقة كبرى فى جميع مدارس الجمهورية بالتنسيق بين الوزارتين قصد ترسيخ الانتماء الوطنى والقيم الأخلاقية والإنسانية، وسيعلن عن تفاصيل المسابقة وآلية المشاركة فيها خلال أسبوع من تاريخه بإذن الله تعالى.

وزير الأوقاف خلال جولته بمحافظة بنى سويف:

آلية جديدة لترشيد استخدام المياه والكهرباء بالمساجد

استقبل محافظ بنى سويف السيد المستشار / محمد سليم معالى أ.د/محمد مختار جمعة وزير الأوقاف، وأ.د/ محمود أبوهاشم نائب رئيس جامعة الأزهر، وفضيلة الشيخ / محمد عبد الرازق عمر رئيس القطاع الدينى ووكيل أول الوزارة، وفضيلة الشيخ سلامة محمود عبد الرازق وكيل مديرية بنى سويف، ومعالى الدكتور عادل عدوى وزير الصحة، والسيد اللواء / محمد أبو طالب - مدير أمن بنى سويف. والعميد أركان حرب طيار عبد السلام الجندى قائد القاعدة الجوية ببنى سويف، ولفيف من القيادات الأمنية والتنفيذية والدينية بالمحافظة.

وأكد معالى وزير الأوقاف خلال اللقاء على عدة جوانب أهمها:

أن القطاع الدينى بالوزارة قد قرر غلق أى حمامات ودورات مياه بالمساجد والزوايا والمصليات التى توجه صرفها مباشرة إلى مياه النيل وفروعه، وأوضح معاليه أن ذلك مخالف شرعًا وقانونا حيث إنه يؤذى المصريين ويلوث ماء النيل ويضر بصحة الناس، وقد نهى النبى ﷺ عن التبول فى الماء الجارى أو الراكد أو تحت الظل.

وزير الأوقاف يضع حجر الأساس لمقر مديرية الأوقاف الجديدة ببنى سويف

ويسرى هذا الغلق إلى أن يتم معالجة الأمر بمعرفة الوزارة إما بتحويل الصرف على منظومة الصرف الصحى أو بعمل خزانات خاصة لهذه الدورات وفق ما تقرره الشئون الهندسية، بحيث لا يكون هناك أى صرف يضر بالصحة فى مياه النيل أو أحد فروعه.

وقد تحدث الوزير عن وضع آلية جديدة تهدف إلى ترشيد استهلاك المياه والكهرباء، وبخاصة فى المساجد الكبرى.

وقد افتتح معاليه مصطحباً معه نائب رئيس جامعة الأزهر للوجه البحرى مقصورة مسجد السيدة حورية ببندر مركز بنى سويف.

كما وضع حجر الأساس لبناء مقر لمديرية أوقاف بنى سويف الجديدة بما يناسب حجم العمل الدعوى الضخم وذلك فى إطار ضبط الفكر الدينى المستنير.

كما شملت الجولة الميدانية زيارة معالى وزير الأوقاف ووزير الصحة للمبنى الجديد الملحق بالمستشفى العام وأقسام الحميات والعناية المركزة والغسيل الكلوى للاطمئنان على التجهيزات بالمستشفى.

وقام محافظ بنى سويف بتكريم معالى وزير الأوقاف وإهدائه درع المحافظة للمجهودات التى يبذلها فى خدمة الدعوة والدعاة بوزارة الأوقاف.

هذا وقد عقد وزير الأوقاف اجتماعا وديا مع الأئمة والعلماء وقيادات الدعوة بالمحافظة تم التأكيد فيه على بذل أقصى الجهد فى نشر الفكر الإسلامى الصحيح من خلال المساجد والمدارس وقصور الثقافة وأندية الشباب، كما تم الإعلان عن جائزة كبرى حول القيم الأخلاقية بجميع مدارس التربية والتعليم بالمحافظة تقدم فيها المحافظة ثلاثة أجهزة كمبيوتر للفائز الأول من كل مرحلة (ابتدائى - إعدادى - ثانوى)، إضافة إلى عشرين جائزة أخرى لكل مرحلة، وتقدم الأوقاف أكثر من ستين جائزة مالية وعينية للفائزين.

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية يزود كلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر بمنشوراته المترجمة

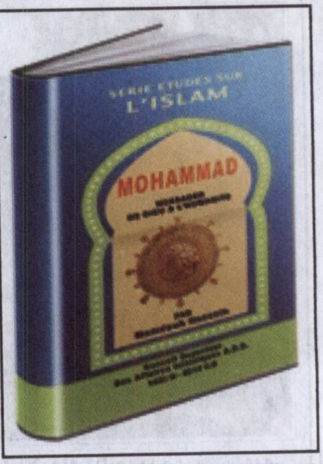

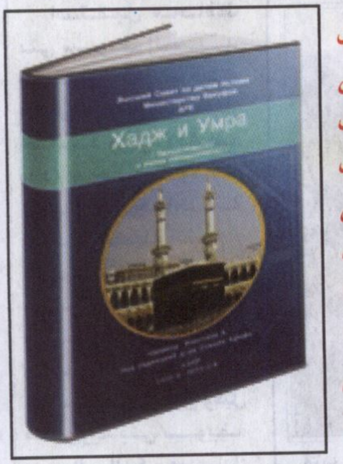

وافق معالى وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة على تدعيم قسم الدراسات الإسلامية بالكلية بالكتب المترجمة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ليستفيد منها الطلاب والباحثون وكذا أعضاء هيئة التدريس فيما يدرسونه من مقررات، كما وافق على إهداء مكتبة متكاملة بأكثر من لغة لمكتبة مسجد السلام بجنوب سيناء دعمًا لنشر الفكر الإسلامى الصحيح، حيث تشمل مطبوعات باللغة العربية، واللغة الإنجليزية، واللغة الفرنسية، واللغة الألمانية، واللغة الروسية، واللغة الإسبانية، واللغة الصينية، واللغة الإندونيسية، واللغة السواحلية.

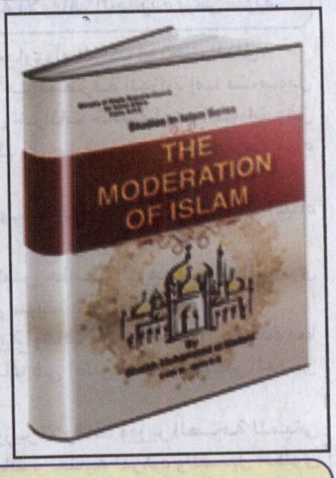

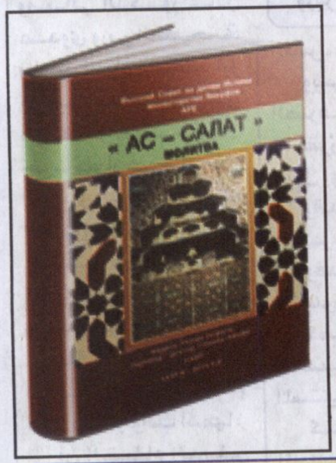

إحلال وتجديد ١٣٥ مسجدًا بتكلفة ٢١٠ مليون جنيه

فى إطار خطة الوزارة لإحلال وتجديد المساجد على مستوى الجمهورية وافق معالى وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة على تخصيص مبلغ ٢١٠ مليون جنيه لإحلال وتجديد ١٣٥ مسجدا ، منها : ١٨٠ مليون جنيه لإحلال وتجديد ٥٧ مسجدًا بالإشهار العام ، و٣٠ مليون جنيه لإحلال وتجديد ٧٨ مسجدًا بالإشهار المحلى ليكون جملة المساجد التى تمت إحلالها وتجديدها هذا العام ٦٥٠ مسجد .

من أروقة المؤتمر

مصر الكنانة تمتلك بوسطيتها القدرة على مواجهة الإرهاب

السبب الرئيسى فى انتشار الفكر المتطرف هو التوظيف السياسى للدين لتحقيق مآرب سياسية

إعداد د. أحمد فاروق الهلباوى

فى يومين اثنين عقد المؤتمر العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية تحت عنوان «عظمة الإسلام وأخطاء بعض المنتسبين إليه، طريق التصحيح» حاول المجتمعون بيان الدعوة الصالحة التى أتى بها الإسلام حاول بها علاج التشوهات التى يقع فيها المنتسبون للإسلام بحجج مختلفة بعيدة كل البعد عما دعا إليه الإسلام، وحاولوا خلال المناقشات المختلفة بيان ما جاء به الإسلام من قيم تدعو إلى كل القيم الصالحة والبعيدة كل البعد عما يدعو إليه البعض من أخلاق متدنية وقيم بعيدة كل البعد عن الخلق النبيل.

بدأت الجلسة العلمية الأولى من مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية والتى دارت حول التوظيف الإسلامى للدين وكانت برئاسة وزير الأوقاف الأردنى أ/د هايل عبد الحفيظ داوود وفى بداية الجلسة نوه رئيسها إلى أن أخطاء بعض المنتسبين للإسلام مزقت العالمين العربى والإسلامى وبددت طاقاته فى غير ما ينبغى أن تبذل فيه ومن هنا جاء المؤتمر فى زمانه ومكانه الصحيحين وأكد أن «مصر التى تمتلك بوسطيتها القدرة على مواجهة الإرهاب وعليه فإن مواجهة الإرهاب تبدأ من هنا من مصر الكنانة رائدة الوسطية بأزهرها وأوقافها.

وأشار د/ محمد السيد الجليند - الأستاذ بكلية دار العلوم - إلى أن مواجهة التطرف تأتى من خلال معرفة المظاهر والأسباب وكيفية

المرجعيات الفقهية المعتبرة عليها عبء درء شبهات الجماعة المتطرفة

العلاج مرجعًا ذلك إلى قصور فى البنية الثقافية المكونة لعقلية المسلم المعاصر وإلى عدم ربط العقيدة بالسلوك وعدم التدبر وإعمال العقل.

وأكد د إبراهيم صلاح الهدهد - نائب رئيس جامعة الأزهر - أن السبب الرئيسى فى انتشار الفكر المتطرف يرجع إلى التوظيف السياسى للدين لتحقيق مآرب سياسية ودعا إلى إنشاء مرصد دائم لمحاربة التطرف ووحدة الأمة بمختلف اللغات.

وفى كلمته أكد أ. د عبد الله مبروك - عميد كلية الدراسات الإسلامية السابق - أن الآثار المترتبة على التوظيف السياسى للدين أهمها انتهاك حرمة الوطن والتلاعب بأحكام الدين من أجل ثمن بخس.

وفى الجلسة العلمية الثانية فى اليوم الأول للمؤتمر وكان عنوانها «أحكام السياسة الشرعية واعتماد الكفاءة فى تولى المناصب» أعربت الدكتورة آمنة نصير عن فضل الحضارة الإسلامية على أوروبا التى تحولت من الهمجية إلى الحضارة وعصر التنوير وأكدت أن التراجع الحضارى لأمتنا سببه التعصب والتحجر والانكماش والبعد عن الآخر.

ومن جانبه أكد الدكتور توفيق السديرى - رئيس الوفد السعودى - إلى ضرورة التوظيف المصلحى للدين، ودعا إلى احترام التخصص فى السياسة والعلم فلكل أهله. وأكد د/ نصر فريد واصل - مفتى الجمهورية الأسبق - أن الإسلام دين السلام ورسالته السلام.

وفى نفس الجلسة المسائية أكد د/ محمد حلة - أستاذ التاريخ بجامعة الأزهر - أنه فى ظل هذه الظروف العصيبة لابد من التفاعل مع الغرب لأن العالم المعاصر أصبح قرية صغيرة وأشار إلى عالمية الإسلام واحتوائه لشتى ألوان البشر واتساعه لقيم الحضارة الإنسانية.

وفى ثانى أيام المؤتمر دارت جلسته الصباحية الأولى حول الأخطاء الفكرية لبعض المنتسبين للإسلام وفى تعليق للدكتور عبد المنعم أبو شعيشع - وكيل كلية أصول الدين بطنطا - عن أن الأخطاء الفكرية والسلوكية للمنحرفين فكريًا وأشهرها الإرهاب والعنف وقطع الطريق والتفجير والتكفير والافتراء وقلب الحقائق وهذا يتنافى مع صريح الإسلام.

ودعا الدكتور مجدى عاشور - المستشار الأكاديمى لفضيلة المفتى - إلى ضرورة الانتماء للوطن لأنه لا يتنافى مع تعاليم الإسلام، وحث على وحدة المرجعيات الفقهية المعتبرة، فهى المنوط بها بيان الوجه الحقيقى للإسلام، وعليها عبء الدعوة ودرء شبهات الجماعة المتطرفة.

وحذر الدكتور محمد نبيل غنايم - الأستاذ بكلية دار العلوم جامعة القاهرة - من التيارات الفكرية المنحرفة الممثلة فى الإلحاد، والتى تبث السموم الفكرية وتروج لها باسم التقدم والتحرر الفكرى وغايتها تضليل المجتمع مما يستوجب تصحيح مفاهيم التوعية الدينية فى مواجهة تلك التيارات المسمومة فكريا وعقديا.

ومن جانبه حذر أ. د محمد سالم أبو عاصى - عميد كلية الدراسات العليا بجامعة الأزهر - من جماعات تهدد أمن البلاد والعباد من خلال أفكار هدامة تسيطر عليهم وتستحوذ على عقولهم متأثرين بفتاوى قديمة لا تناسب مقتضيات العصر، مما يؤدى إلى انتشار الفكر المتطرف والتكفيرى.

وفى الجلسة الأخيرة أكد د/ سيف رجب قزامل - أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر - أن من أعظم أسباب قطع الصلة بين ماضى الأمة وحاضرها الغلو فى الدين وأن الإسلام دين المحبة والرحمة والتسامح وحسن الخلق ويبنى علاقات المسلمين بغيرهم على أساس الأخوة الإنسانية.

مفتى لبنان لـ «منبر الإسلام»:

مصر درع الأمة.. فى زمن التصدع العربى

أكد فضيلة الشيخ عبد اللطيف دريان مفتى لبنان أن مواجهة الإرهاب تستلزم تكاتف المسلمين والمسيحيين معًا لدرء هذا الخطر الذى يتهدد الدول العربية.

وطالب الشعب المصرى بالالتفاف حول جيشه وقيادته وحكومته لتفويت الفرصة على هؤلاء المأجورين الذين يعيثون فساداً.

وقال: «إن قوة الدول العربية تكمن فى قوة مصر، وأنها ستظل الدرع الآمن فى زمن التصدع العربى، وانهيار بعض الدول العربية».

واليكم نص الحوار:

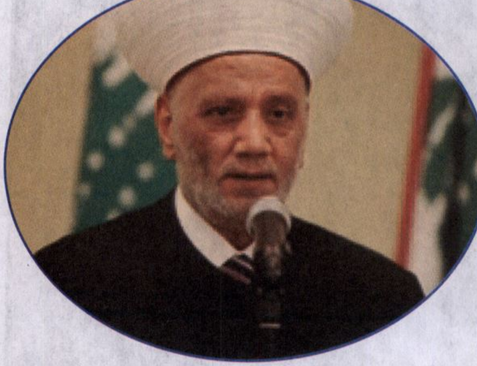

الشيخ عبداللطيف دريان (مفتى لبنان)

حوار **محمد كامل شاهين**

■■ **كيف كانت زيارتكم الأخيرة لمصر.. وما أهم القضايا التى قمتم بمناقشتها؟**

ـ قمت بزيارة رسمية إلى مصر، والتقيت بفخامة الرئيس عبد الفتاح السيسى، وكان لقاءً مثمرًا ومفيداً حيث استمعنا إلى توجيهات سيادته بالنسبة للأوضاع فى منطقتنا العربية، وكيفية مواجهة الإرهاب، ولمست خلال اللقاء أن الرئيس مهموم بقضايا الوطن العربى، ويعمل بكل جهد وتفانٍ على بناء مصر الحديثة، وأنه لم يألُ جهدًا فى الحفاظ على مصر وجيشها، ونحن أيدناه فى هذا الأمر لأن مصر وجيشها القوى هى الدرع الحصين للدول العربية.

■■ **هل هناك تعاون بين دار الإفتاء فى لبنان والمؤسسات الدينية فى مصر .. وما طبيعة هذا التعاون؟**

ـ نعم هناك تعاون مثمر وبناء بين لبنان والمؤسسات الدينية فى مصر وعلى رأسها الأزهر الشريف، خاصة أن الأزهر الشريف قدم الكثير والكثير لخدمة الإسلام فى لبنان والدول العربية من خلال إرسال القوافل الدعوية، ونشر مفهوم الإسلام الوسطى، ومحاربة التكفير والتطرف، فالأزهر الشريف منارة الفكر الوسطى فى العالم الإسلامى ولا يألو جهدًا من أجل مد يد المساعدة إلى جميع الدول الإسلامية. واتفقت مع فضيلة الإمام الأكبر أ . د/ أحمد الطيب ـ شيخ الأزهر ـ خلال لقائى معه أن الإسلام يتعرض لحملات تشويه من أعداء الإسلام سواء بالداخل أو بالخارج الذين لهم مصالح شخصية على حساب مصلحة الأوطان كما اتفقنا على ضرورة محاربتهم والوقوف ضدهم كذلك يوجد تعاون وثيق بين دار الإفتاء المصرية واللبنانية ووزارة الأوقاف المصرية من خلال التدريب على أعمال الإفتاء والقوافل الدعوية، وتقديم كل الدعم العلمى والشرعى وكيفية الاستفادة من خبرات علمائنا الإجلاء فى دار الإفتاء المصرية والأزهر الشريف يتم من خلالها نقل تلك الخبرات إلى لبنان بالفتاوى المعبرة عن سماحة الإسلام، وصحيح الدين .

■■ **كيف نستطيع مواجهة الإرهاب من وجهة نظركم؟**

ـ التعاون على كل المستويات وخصوصًا وسائل الإعلام

أطالب شعب مصر العظيم بالالتفاف حول جيشه وقيادته وحكومته لتفويت الفرصة على هؤلاء المأجورين

■■ كيف ترى العلاقة بين الإسلام والغرب الآن؟

- لقد عملنا سنوات طوال من أجل مد الجسور والتفاهم والتواصل بين العرب والمسلمين من جهة والغرب من جهة أخرى، ولكن ما حدث فى الفترة الأخيرة من أعمال غير مقبولة جعلت هذه العلاقة تهتز بقوة، وأصبح هناك نوع من الكراهية من الغرب تجاه المسلمين ونحن فى هذا السياق نؤكد أنه لا يجوز تحميل كل العرب والمسلمين مسئولية ما يقوم به بعض الأفراد الذين لا يمثلون الرأى العام للعرب والمسلمين، ولا شك أننا نعمل بجد على إعادة التواصل ومد الجسور بين الإسلام والغرب وإفهامهم بأن الإسلام وسماحته وعظمته لا يمكن أن يختصر فى أعمال غير مقبولة من بعض من ينتسبون إلى الإسلام.

■■ ماذا عن الحوار بين المذاهب الإسلامية فى لبنان.. وكيف يمكن التقارب بين السنة والشيعة؟

- لبنان بها العديد من الطوائف الدينية وجميعهم يعملون فى حب، ولا يتم التفريق بين الأشخاص حسب مذاهبهم، ونعمل جاهدين على وحدة الصف بين المذاهب جميعًا، وتحقيق مبدأ المواطنة بينها مع ضرورة أن يكون ذلك على أرض الواقع وليس مجرد شعارات بما يضمن العيش ضمن مفهوم الوطن الواحد بجميع مكوناته وطوائفه.

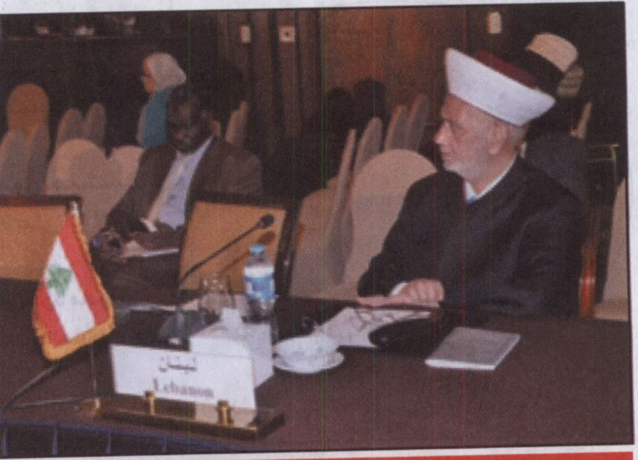

مفتى لبنان يتابع فعاليات المؤتمر

والمثقفين والتكاتف بينهم من أجل مكافحة الإرهاب والتصدى له من خلال مواجهته بالفكر مع إعادة النظر فى المناهج الدراسية حتى تكون معبرة عن صحيح الإسلام وضرورة التعاون الفكرى والثقافى لأن الجماعات الإرهابية نشأت فى بيئات غير مستقرة فكريًا واجتماعيًا، وتم استقطابهم لإشاعة الفوضى للنيل من دول بعينها.

■■ هل ترى أن الخطاب الدينى فى حاجة إلى تجديد؟

- الخطاب الدينى يجب أن يتم ترشيده بحيث يؤدى الأهداف المنشودة منه، ومن ضمن هذه الأهداف هى إظهار المفاهيم الصحيحة للدين الإسلامى، وأن الإسلام لا غلو ولا تطرف فيه وإنه دين محبة ورحمة وتسامح .

■■ كيف ترى الأوضاع فى مصر ومنطقتنا العربية؟

- تتعرض مصر لحملات إرهابية جبانة وأطالب الشعب المصرى بالالتفاف حول جيشه وقيادته وحكومته لتفويت الفرصة على هؤلاء المأجورين، كما يجب على الحكام العرب الحريصين على وحدة الصف العربى التحرك لمعالجة القضايا الملحة لأن الأزمات كبيرة وتحتاج إلى بذل جهد كبير وإعادة تقييم الأوضاع فى الدول العربية حتى تستقيم الأمور .

حوارات ولقاءات على هامش المؤتمر العام الرابع والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

حرصا من مجلتكم «منبر الإسلام» أن تنقل لكم وبكل صدق ما دار فى أروقة المؤتمر الرابع والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، قمنا بعقد لقاءات مع السادة العلماء والمفكرين الذين جاءوا لمصر الأزهر من شتى بقاع الأرض وكان الحوار معهم منصبًا حول قضية من أخطر القضايا على الساحة العالمية الآن ألا وهى قضية التطرف والإرهاب، وهذا جانب من هذه اللقاءات.

أجرى الحوارات **أحمد حسن**

د. محمد البشارى - أمين عام المؤتمر الإسلامى الأوروبى - رئيس الفيدرالية العامة لمسلمى فرنسا:

هناك ثمانية ملايين مسلم يعيشون فى سلام واندماج تام مع المجتمع الفرنسى

توجهنا بالسؤال **للدكتور محمد البشارى** - أمين عام المؤتمر الإسلامى الأوروبى ورئيس الفيدرالية العامة لمسلمى فرنسا -:

■■ ما تأثير حادث الاعتداء الإرهابى على رسامى صحيفة شارل إبدو الفرنسية على أوضاع المسلمين بفرنسا وصورة الجالية الإسلامية؟

- فى الحقيقة الصورة التى يعطيها المسلمون المنسوبة للإسلام لا تعكس رسالة الإسلام السمحة القائمة على التسامح والاعتدال والوسطية وخاصة أنه يعيش فى فرنسا أكثر من ثمانية ملايين مسلم فى سلام وأمان يعيشون فى تلاحم واندماج تام مع المجتمع الفرنسى ممن يمثلون الجيل الرابع والخامس الذين حرروا فرنسا من الاستعمار وشيدوها بعد الحروب الطويلة وهذا الجيل الذى نعيش معه هو الذى يشكل المجتمع الفرنسى الحالى بعلمه وثقافته وتوجهاته الاجتماعية والاقتصادية وحتى فنه ورياضته.

وهناك نماذج عربية مسلمة مشرفة وفاعلة فى

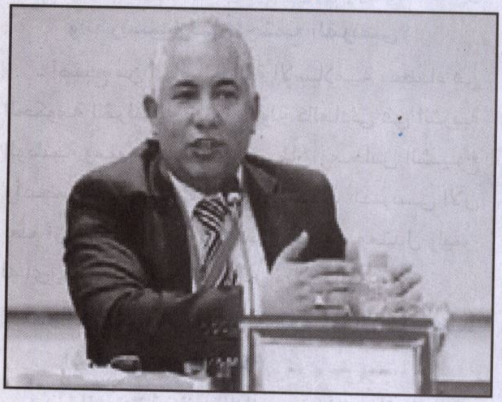

د. محمد البشارى

المجتمع الفرنسى مثل زيدان نجم المنتخب الفرنسى لكرة القدم الذى فاز بالمونديال.. وبالمنتخب أيضًا الكثيرون من العرب المسلمين وغيرهم ممن يشاركون فى الحياة الاجتماعية العامة فى فرنسا.

■■ ماهى الرسالة التى يحملها هذا الحادث الإرهابى للعالم؟

- هذا الحادث الإرهابى البشع يحمل أكثر من رسالة:

حادث شارل إبدو حمل للمسلمين وللمجتمع الفرنسى أكثر من رسالة

الأولى: أن المسلمين أصبحوا فى حرج كبير من إخوانهم وجيرانهم من الفرنسيين.

والثانية: للمجتمع الفرنسى بعدم الاطمئنان والعيش والتعايش مع هؤلاء المتطرفين القتلة من المسلمين.

فهذا الحادث إذن هو ضرب للإسلام فى مقتل وهو ضد المسلمين ولكن بفضل الله تم احتواء آثاره الضارة لأنه يوجد فى الغرب عقلاء وحكماء وأبرزهم الرئيس الفرنسى أولاند ورئيس الوزراء الفرنسى اللذان طمأنا الوجود الإسلامى فى فرنسا وأكدا أنه جزء لا يتجزأ من النسيج الاجتماعى والسياسى والثقافى الفرنسى.

■■ ما مظاهر التعايش بين المسلمين والفرنسيين فى المجتمع الفرنسى؟

- أصبح من أبناء الجالية الإسلامية أعضاء فى الحكومة الفرنسية ووزراء دولة كالعادلى فى التربية الوطنية ومنهم نواب فى البرلمان ومجلس الشيوخ وأعضاء فى بلديات المدن، والشعب الفرنسى الآن يعلم أن الوجود الإسلامى فى عمومه معتدل وليس له أى علاقة بهؤلاء المتطرفين والإرهابيين.

■■ هل هناك إجراءات أمنية قد اتخذت ضد المسلمين فى فرنسا؟

- فى الحقيقة كانت هناك نية لذلك لأنه كما أن من بين أبناء الجالية الإسلامية متطرفين فإنه أيضًا فى المجتمع الفرنسى دعاة للكراهية والعنصرية والإسلاموفوبيا «عقدة الخوف من الإسلام» وهؤلاء أرادوا أن يشوشوا على هذا الوجود المشرف للمسلمين ويتعمدوا الخلط بين الإسلام المعتدل وبين المتعصبين والمقاتلين والإرهابيين ولكن الرهان السياسى الذى يعتمد عليه هو الرجوع للأصل وهو العيش الكريم والتعايش القائم على السلم والسلام والأمن والأمان وهى صفات الحياة فى فرنسا بين المسلمين والفرنسيين.

■■ هل هناك أحداث إرهابية أخرى كان لها ردود فعل سلبية على الوجود الإسلامى فى فرنسا؟

- نعم هناك أحداث إرهابية داخل وخارج فرنسا مثل أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ضد مركز التجارة العالمى فى نيويورك، والمسلمون سواء الشعوب أو الأقليات عادة ما يدفعون فاتورة هذه الأعمال الإرهابية غير المسئولة.

■■ ما واجب العلماء والمفكرين الإسلاميين تجاه هذه الأحداث؟

- واجب على علماء ومفكرى العالم الإسلامى القيام بدور الإرشاد والتبليغ انطلاقًا من الفهم الحقيقى والصحيح لروح الدين الإسلامى المبنية على الأخذ بالمقاصد الكبرى للإسلام وهى حرية العقيدة وحفظ الدين والنفس والعقل والأرض والعرض فنحن كمسلمين دعاة للخير دالين إلى طريق الجنة ولسنا بقضاة يحكمون على الناس وكأن بأياديهم مفاتيح الجنة والنار.

■■ ما السبيل للتخلص من ظاهرة الإرهاب والتطرف؟

- إيماننا الراسخ بأن الحل الصائب لمواجهة ظاهرة التطرف المؤدية إلى الإرهاب هو المواجهة الفكرية والاجتماعية إلى جانب الحلول الأمنية وشيخنا المجدد عبدالله بنوبيه يقول: إنه فى محاربتك لجماعة متطرفة قد تقضى عليها بالقوة ولكن ستنبت جماعة متطرفة أخرى مكانها ولذا فالمواجهة هى مواجهة فكرية اجتماعية فى المقام الأول.. فالعلماء لا يمتلكون صواريخ أو عتاد وإنما

بأمتنا الإسلامية والوقوف ضد هذه المخاطر والتجاوزات التى تحرق ليس فقط الأخضر واليابس بل تحرق الآن الإنسان.

سلاحهم هو قوة المنطق والحجة وحسن البيان ويجب إيجاد مساحة كاملة وشاسعة وحرة للعلماء حتى ينطلقوا فى التأصيل وتحرير المفاهيم للنهوض

السيد محمد علام شيخ ـ رئيس وفد الجزائر:

الفهم الخاطئ لثوابت الدين وتأويل النصوص أهم أسباب انتشار ظاهرة التطرف

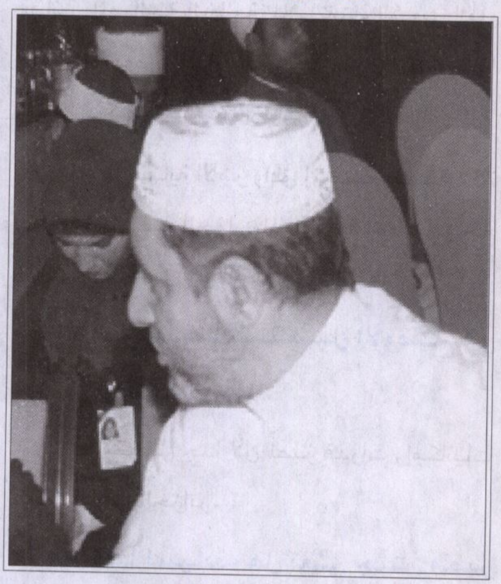

السيد محمد علام شيخ

كما توجهنا بالسؤال **للسيد محمد علام شيخ** ـ رئيس وفد الجزائر وأحد علماء وزارة الشئون الدينية والأوقاف بالجزائر:

■■ من واقع التجربة الجزائرية فى مواجهة الإرهاب والتطرف - ما أسباب انتشار هذه الظاهرة من وجهة نظركم؟

ـ أعتقد أن الأسباب كثيرة ولايمكن أن نحصيها جميعها ولكن من خلال الاستقراء نجد أن هناك فهمًا خاطئًا لثوابت الدين الإسلامى وتأويل النصوص وهذه النصوص تتعلق بالجهاد والكفر والفسق كأمثلة فهمت ووضعت فى غير موضعها وأخذت فى غير المحمل الذى يجب أن تحمل عليه، هذا جانب ومن جانب آخر هناك أيضًا عوامل نفسية فى تكوين الأفراد وميول للقوة أو العنف والنزوع للتطرف فإذا وجدت هذه الاستعدادات النّفسية ما يدفعها فإنها تنتقل من حيز الفكر إلى حيز الفِعل. كما يمكن أن نجد أن التطرف وتكفير الآخر قد يأتى فى إطاره كرد فعل لمنهج القوة والإكراه والضغط فى بعض الأمور لأن لكل فعل رد فعل مساو له فى القوة ومضاد له فى الاتجاه. وهذه الأسباب جميعًا قد وجدت الوعاء المناسب لها فى شبكة الإنترنت الدولية التى انتشر التعامل معها بين الشباب العربى المسلم دون رقابة من الأسرة أو المجتمع، والحماية هنا ضرورية وواجبة حيث يختفى وراء الأسماء المعروفة التى يتم التخاطب معها من خلال الإنترنت أسماء أخرى لها أغراض خبيثة ولا يعرفها الشباب وقد تكون لأشخاص لهم مصالح وأغراض فى غاية الخطورة على الدين والأمن الاجتماعى والاستقرار وقد يكون هؤلاء تابعين لأجهزة استخبارات معادية للوطن والدين.

قيادات التكفيريين لهم مصالح ومطامع يصعب التخلى عنها والمغرر بهم ملزمون بتنفيذ الأوامر

■■ ما وسائل العلاج وما دور العلماء فى الوقت الراهن لعلاج ظاهرة التطرف على ضوء خبراتكم فى التجربة الجزائرية؟

● المعاناة التى عانيناها فى الجزائر من قتل وذبح للأبرياء وعنف وترويع للآمنين مبالغ فيه جعلنا ننتقى بعض أساليبنا للمواجهة وهذه ملاحظات على التجربة التى خضناها فى الجزائر:

العنف تجاه الجماعات المتطرفة - وجدنا أن العنف لا يولد إلا العنف المضاد ولكنه يصلح كعلاج جزئى - لماذا؟ - لأننا نؤمن بأن التكفيريين درجات **فالقيادة** - لها مصالح ومطامع من الصعب أن تتخلى عنها وبالتالى فهى تحتاج للمواجهة بالعنف. أما الآخرين وهم التابعون فهم ملزمون بتنفيذ أوامر القيادة وهؤلاء يمكنهم الرجوع للصواب والتخلى عن العنف ولكنهم يخشون الرجوع من النظام من جانب ومن القيادة المتطرفة من جانب آخر - ولذلك رأينا أنه يجب أن نحدث فجوة بين الطبقتين: ذات المصالح، والمغرر بهم وذلك عن طريق الحوار وإعطاء فرصة التوبة والرجوع للأمان المجتمعى والاندماج فكان الحوار داخل وخارج مدن الجزائر حيث ذهب علماء الدين إلى المتطرفين بالجبال للحوار معهم فأبوا وامتنعوا وتساءلوا مستنكرين وماذا نأخذ من الحوار؟ فقلنا لهم أعلنوا التوبة نسمح لكم بالعودة للاندماج فى المجتمع والعيش فى سلام وأمان.

وهذا الحل فى حقيقة الأمر هو عمل جرىء ومرهق وقد استمر من عام ٩٨/٩٧ إلى عام ٢٠٠٥م وقد طرحت فكرة الحوار على المجتمع كله فى صيغة «قانون المصالحة الوطنية» للاستفتاء الشعبى العام وقد لقى بعض المعارضة حيث طرح البعض هذا السؤال: «كيف أعفو عن إرهابى؟».

ولكن فى نهاية الأمر وافق المجتمع بنسبة ٩٧٪ على الحوار فتم الحوار والمصالحة الوطنية ونجح المجتمع الجزائرى فى الخروج من أزمته.

■■ وعن رؤيته لمستقبل الأوضاع فى مصر قال:

- أنا متفائل جداً لأن لمصر قدرات وإمكانيات ليست لنا فى الجزائر.

■■ قلنا لسيادته هل تعنى جيش مصر القوى المتماسك والشرطة الساهرة؟

- فقال: نعم - وأيضا مصر فيها الأزهر الشريف بعلمه وتأصيله الشرعى للمفاهيم الإسلامية الصحيحة والكل يعلم أن التعليم الدينى الرسمى بالجزائر بعد التحرر من الاستعمار يشرف عليه الأزهر الشريف فى الكثير من جوانبه. والأزهر منارة شامخة وهو قادر بالحكمة والاتزان والوسطية والاعتدال أن يحقق الاستقرار لمصر وشعبها الكريم.

الشيخ إرجان إياميروف ـ مفتى عام جمهورية كازاخستان الإسلامية:

يوجد لدى البعض فى المجتمعات الغربية ما يعرف بالإسلاموفوبيا ويعتبرون الإرهاب من الإسلام وهذا غير صحيح

وتوجهنا للشيخ إرجان إيا ميروف ـ مفتى عام جمهورية **كازاخستان** الإسلامية ـ بالسؤال:

■■ ما انطباعات سيادتكم عن المؤتمر العام الرابع والعشرين للمجلس وماذا ترى فى أخطاء بعض المنتسبين للإسلام وما هو طريق التصحيح؟

ـ نحن فى كل عام نشارك فى هذا المؤتمر العالمى لبحث مشاكل العالم الإسلامى ومنها مؤتمر هذا العام حيث نبحث مشكلة انتشار الإرهاب فى السنوات الأخيرة فى البلاد الإسلامية والعالم الخارجى كله.

ونحن بداية نقول: إنه يوجد فى فكر بعض الناس وخاصة فى المجتمعات الغربية ما يعرف بالإسلاموفوبيا أى «عقدة الخوف من الإسلام» لماذا؟ لأنهم يقولون: إن الإرهاب من الإسلام وهذا غير صحيح ومثل هذا المؤتمر هو فرصة لتصحيح المفاهيم وبحث أسباب انتشار الظاهرة وطرق العلاج، ونحن نرى أن سبب انتشار الظاهرة يعود إلى أننا فى كل الدول الإسلامية أهملنا وتركنا تربية الشباب تربية دينية سليمة، وهذه التربية العقدية لابد وأن تبدأ من مرحلة الحضانة والابتدائية حتى يشب النشء واعيًا بأمور دينه الصحيح المعتدل المتسامح الوسطى.

■■ ما دور الأزهر الشريف من وجهة نظر سيادتكم؟

ـ لجامعة الأزهر دور جيد وفعال فى تصحيح المفاهيم الدينية لدى الشباب ويتم هذا من خلال الوافدين والبعثات التعليمية للأزهر الشريف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ التابع لوزارة الأوقاف المصرية ـ لأبناء العالم الإسلامى بالخارج.

الشيخ إرجان إياميروف

وللأزهر الشريف دور رائد فى نشر الوعى بالإسلام الصحيح فى العالم الإسلامى. وأنا شخصيًا درست فى جامعة الأزهر الشريف وتخرجت عام ٢٠٠٦م من قسم الشريعة الإسلامية وأبنائى أيضًا درسوا بمصر ولذلك فإننى أعتبر مصر وطنى الثانى.

■■ ما أساليب علاج ظاهرة التطرف؟

ـ سبل العلاج ليست الحرب التقليدية بالقوة الأمنية ولكن مجابهة الأفكار بالأفكار والحوار بين الأفكار المتناقضة للوصول إلى ما هو صحيح حتى يستقر.

■■ ما دور علماء المسلمين لمواجهة التطرف؟

ـ فى هذا المجال على العلماء دور كبير فى التصدى للفكر المتطرف وتصحيح المفاهيم بما يتوافق مع أصول الدين الإسلامى الصحيح الذى يدعو إلى التسامح والوسطية والاعتدال وحسن التعايش مع الآخر.

السيد الفاتح مختار محمد ـ رئيس وفد السودان ـ:

توجيه الخطاب الدينى بصورة غير صحيحة والفتوى بغير علم يكرس لظاهرة التطرف لدى الشباب

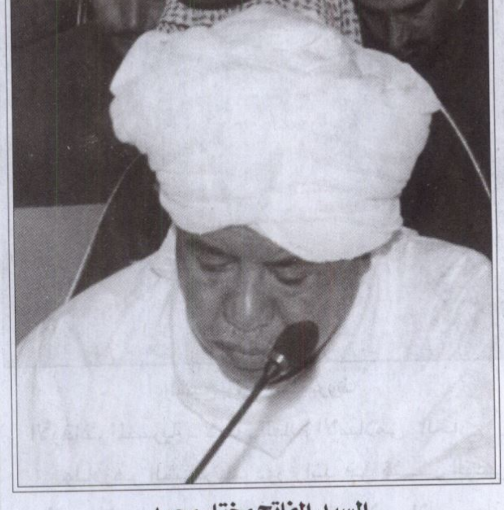

السيد الفاتح مختار محمد

و بسؤال السيد الفاتح مختار محمد - مدير عام العلاقات الخارجية والتواصل بوزارة الإرشاد والأوقاف السودانية ـ:

■ ما أسباب تفشى ظاهرة التطرف والإرهاب فى المجتمعات الإسلامية والغربية وما سبل العلاج؟

ـ فأجاب أن ظاهرة الإرهاب لها عدة أسباب أهمها:-

١- تربية النشء بصورة غير صحيحة وعدم غرس القيم الإسلامية السليمة فى نفوسهم.

٢- الأمر الثانى وهو سياسى بالدرجة الأولى حيث إننا دائمًا ما نخطئ فى معالجة بروز أى ظاهرة اجتماعية مثل ظاهرة الإرهاب والتطرف عندما نواجهها بالعنف والاعتقالات لأن هذا بدوره يؤدى إلى مزيد من العنف ويغرى الآخرين من ذوى المشارب والأهواء المتطرفة إلى اتخاذ وتبنى وانتهاج وسائل للرد على هذا العنف بعنف مضاد.

٣- أن الخطاب الدينى عندما يكون غير موجه بصورة صحيحة فإنه يكرس لهذه الظاهرة لدى الشباب ولا سيما إذا كان هذا الخطاب صادرًا من العلماء والشيوخ الذين نثق فى مشورتهم.

٤- أمر آخر هو مسألة الفتوى بغير علم ودائمًا ما تكون غير مدروسة فترمى بالشباب فى براثن العنف والتطرف.

أما عن طرق العلاج: فتتمثل فى التربية العقدية الصحيحة المبنية على الوسطية والاعتدال والتسامح لشبابنا وكذلك تنقية المناهج التعليمية من كل ما يمت لهذه الظاهرة بصلة.

■ ما دور العلماء الأجلاء فى علاج ظاهرة التطرف؟

● دور العلماء فى هذا المضمار هو تدريب علماء آخرين وتأهيلهم على أسس من الوسطية والاعتدال ونبذ العنف والتطرف لنشر هذه القيم داخل المجتمع المسلم وتنقية الخطاب الدينى وتصحيحه وتوجيهه نحو الاعتدال والتسامح.

■ ما انطباع سيادتكم تجاه المؤتمر العام الإسلامى هذا العام؟

● إن انعقاد مثل هذه المؤتمرات تبين الكثير من مناطق الخلل داخل الفكر الإسلامى المعاصر وسبل معالجتها وانتهاج منهج الحوار والجدال بالحسنى مع حاملى الفكر المتطرف لإقناعهم بالعدول عن هذا الفكر المضطرب - ويتم ذلك عن طريق علماء متمكنين فى الفكر الإسلامى الصحيح، نسأل الله عز وجل أن يجنبنا فتن هذا الزمان وأن يعيد أبناءنا من دائرة التطرف إلى مربع الوسطية والاعتدال.

الهجرة غير الشرعية.. وأوهام الشباب

د. ناهد عشرى (وزيرة القوى العاملة والهجرة):

وزارة القوى العاملة والهجرة حاربت ظاهرة الهجرة غير الشرعية بإنشاء مكاتب استشارات واستقبال العائدين

تحقيق:

محمد كامل شاهين

ميادة حمادة - فاطمة محمد

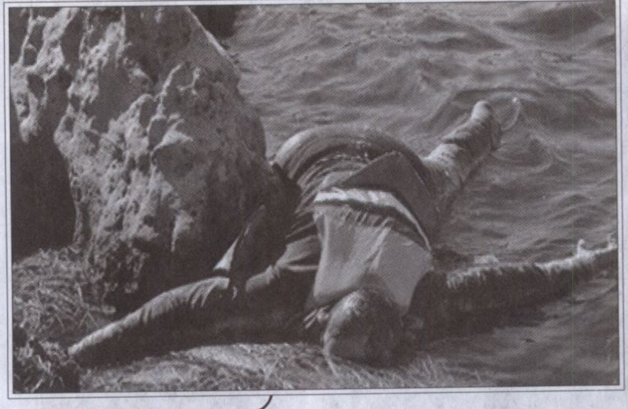

باتت الهجرة غير الشرعية خطراً يهدد جميع الدول الغنى منها والفقير على السواء، فالدول المتقدمة تعانى ممن يفدون إليها بوسائل غير قانونية ويسبب لها أزمات أمنية واقتصادية، والدول النامية تعانى أيضا حيث يتركها شبابها أملا فى الحصول على فرص معيشية أفضل فى هذه الدول، ويلقون بأنفسهم فى براثن الموت.

فالشباب يتاجرون بأرواحهم لتحقيق حلم كثيرا ما راودهم، حلم النجاح بعد الفشل، ففروا حالمين بحياة أفضل، بيد أن هذا الحلم سرعان ما يتلاشى ويذهب أدراج الرياح، إما بالموت غرقًا أو القبض عليهم من جانب السلطات وإعادتهم مرة أخرى إلى بلادهم، والغريب فى الأمر أن الشاب الذى يغامر بحياته ويفشل يعاود الكرة مرة ثانية وثالثة أملا فى الوصول إلى الفردوس المفقود الذى لن يناله أبداً، فبالرغم من أنه شاهد بعينيه موت أصدقائه فإن ذلك لم يؤثر فيما يسعى إليه، ويظل يحلم بالسراب الذى لن يتجسد حقيقة ماثلة أمامه.. فما السبيل إذاً؟!

هذا التساؤل سيجيب عنه هذا التحقيق المهم.

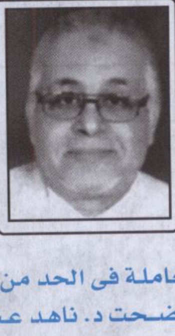

د.م . حسن صالح:

الهجرة غير الشرعية هى الانتقال خارج حدود الدولة بوسيلة غير قانونية عبر وسطاء منتفعين

عن دور وزارة القوى العاملة فى الحد من ظاهرة الهجرة غير الشرعية أوضحت د. ناهد عشرى - وزيرة القوى العاملة والهجرة - أن الوزارة اتخذت العديد من الإجراءات من أجل محاربة ظاهرة الهجرة غير الشرعية بإنشاء مكاتب استشارات الهجرة واستقبال العائدين.

وشددت د. ناهد عشرى على ضرورة الحد من هجرة القصر، وتحديد العوامل التى تدفعهم لذلك، والعمل على إعادة تأهيل راغبى الهجرة من خلال التدريب على برامج تأهيل ما قبل المغادرة، والتوجيه إلى كيفية الحصول على التدريب المهنى واللغوى، وإرشادهم عن كيفية التسجيل على قاعدة بيانات الباحثين عن عمل بالموقع الإلكترونى لقطاع شئون الهجرة.

وأكدت على أهمية التواصل مع منظمات المجتمع المدنى المهتمة بأحوال المصريين سواء بالداخل أو بالخارج، وعلى جميع الأطراف المعنية بنشاط مكاتب الاستشارات والتشغيل، وتقديم المشورة والدعم الفنى للمصريين العائدين من الخارج مع محاولة تذليل أية عقبات تواجههم سواء من ناحية الاستثمار أو المعيشة.

وأضافت أنه بجانب هذه الإجراءات تم توقيع مذكرة تفاهم مع المنظمة الدولية للهجرة لتوفير خدمات ودعم استقرار للمهاجرين.

ويوضح د. م عثمان حسن صالح - الخبير التنموى والمحلل السياسى بالتليفزيون، ومؤسس رابطة أصدقاء حقوق الإنسان المصرية الدولية -

د. نبيل السمالوطى:

الهجرة غير الشرعية ظاهرة مَرَضيَّة وانحراف اجتماعى يجب التصدى له

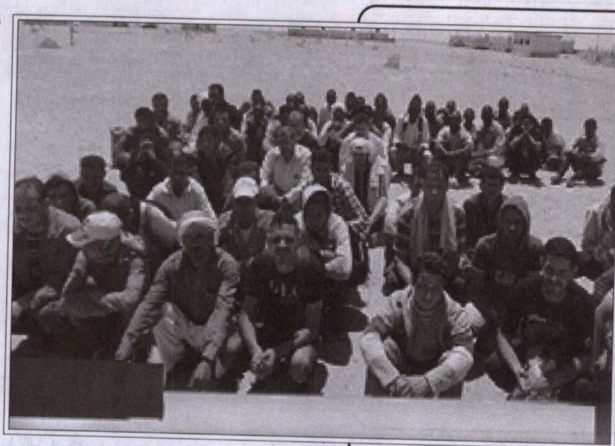

معنى الهجرة غير الشرعية وتداعياتها على الشعب المصرى قائلا: «الهجرة هى الانتقال من مكان إلى آخر بغية تحقيق غايات أو إشباع رغبات تحقق من خلالها أحلام الثروة، أو الحصول على عمل والانتقال إلى مستوى معيشى أفضل، والهجرة إما داخلية فى البلد الواحد أى من محافظة إلى أخرى سعيًا وراء إشباع الحاجات سواء عملاً أو تجارة أو تعليمًا، وهذه الهجرة لا شىء فيها، وهى مسموح بها، أو هجرة خارجية عبر قنوات تتماشى مع القوانين لكل بلد، وما تسمح به هذه القوانين، وهناك الالتفاف على هذه الهجرة من خلال التسلل عبر الحدود، وبدون إذن السلطات وهو ما يطلق عليها الهجرة غير الشرعية التى تخالف كل القوانين وتتعدى على حقوق الآخرين وتقلق سرائرهم؛ لأن هذا المهاجر الوافد دون علم السلطات، والمتسلل قد يكون على درجة من الخطورة فى زعزعة الاستقرار لهذا المهجر الجديد، أو ناقل لمرض يحمله، أو مهرب ينشر الوبال لهذه البلاد، أو قد يضيع على المواطنين فرصًا قد تكون لهم.

والهجرة غير الشرعية فى مفهومها المطلق: هى الانتقال خارج حدود الدولة إلى دولة أخرى عبر وسائل غير قانونية متفق عليها بين الدول، وغالبا ما تكون هذه الهجرة عن طريق وسطاء منتفعين يدغدغون مشاعر الشباب بأحلام الثراء وسهولة وسرعة جنى الثروة والثمار التى يحلمون بها من وراء ذلك، وهى منظمات تتواجد فى الدول الفقيرة والأشد فقرًا مما يجعل المهاجر يقع تحت سيطرة هذا الوسيط ويسلم له نفسه، وهو هنا يقبل أن يغامر ويعرض نفسه للتهلكة إما بالموت غرقًا أو الوقوع فى أيدى السلطات التى تلقى به فى السجون، وهناك من المخاطر من لا يصل إلى المهجر إلا جثة هامدة أو يختفى فى بطون الأسماك، وبذلك تكون هذه الهجرات هى مهالك وضياع ووهم يصنعه عصابات الرق الجديدة.

وعن الأسباب التى أدت إلى انتشار ظاهرة الهجرة غير الشرعية فى السنوات الأخيرة يؤكد د. م عثمان حسن صالح أن هناك العديد من الأسباب التى أدت إلى مثل هذه الهجرات وهى:

أولا: أسباب سياسية ومنها الحروب والنزعات الإقليمية وهى ما تسبب نزوح الأفراد وضياع مواردهم وقلة فرص النجاة، وبحثهم عن بدائل تحقق لهم الحد الأدنى من العيش الكريم، وهنا يظهر دور عصابات الهجرة غير الشرعية.

ثانيا: قلة موارد بعض الدول الفقيرة، وعدم قيام فرص للتنمية فيها، فتنتشر البطالة والضياع بين

د.عبدالصبور فاضل:

ضرورة قيام وسائل الإعلام بتوعية الشباب بمخاطر الهجرة غير الشرعية وإبراز المشكلات التى يتعرض لها المهاجرون

العمود الفقرى لبناء الدول وهم الشباب الذين هم عصب التنمية فيها.

ثالثا: دور الدول المتقدمة والمستعمرة فى إضعاف فكر الشباب فى بلادهم ووصمها بالمتخلفة، وعدم فتح فرص للاستثمار أو تقديم المعونات إلى الدول الفقيرة، وهذه النقاط بعض من كثير من أسباب السعى وراء الهجرة غير الشرعية وتحقيق وهم العمل والثراء.

أما بالنسبة للإجراءات التى تتخذها مصر للحد من هذه الظاهرة فيشير د. عثمان حسن صالح إلى أن مصر اتخذت عدة خطوات مهمة وهى:

أولا: من ناحية العقوبات: شددت الدولة من الرقابة على الأفراد وجعلت الحبس لمن يضبط متسللا إلى خارج البلاد دون إذن كذلك لمن يسهل أو يساعد فى ذلك.

ثانيا: على الصعيد الداخلى تقوم حاليا وزارتا الاستثمار والتضامن الاجتماعى بتمويل المشروعات الصغيرة، وتقديم القروض للشباب ومشاركتهم فى التنمية كل فى مجاله لفتح أبواب الاستثمار والتنمية، وتذليل كل العقبات أمام المستثمرين، وإيجاد فرص للعمل ومحاربة البطالة، وذلك مما يجعل الشباب مطمئنًا لغده.

ويشدد على ضرورة تكاتف العديد من الوزارات مثل الشباب والقوى العاملة، والتضامن الاجتماعى، والداخلية والجيش فى مواجهة هذه الظاهرة من خلال ضبط الحدود البرية والبحرية والقبض على كل من ينتهج هذا النهج الخطير على الشباب.

كما أن لوزارة الإعلام دورًا كبيرًا فى التحذير والتنبيه والإرشاد، وإبراز مخاطر مثل هذه الهجرات، ووزارة الشباب تلعب دورًا مؤثرًا من خلال إقامة ندوات تثقيفية وتوعية ميدانية لإبراز مساوئ الهجرة غير الشرعية.

ويضيف أن هناك اتجاهًا عالميًا للتنسيق بين الدول الأوروبية ودول العالم النامى ومن بينها مصر، فمصر بها الكثير الذى يقلل من مثل هذه الهجرات، فهى مازالت بكرًا فى التنمية، ومن هنا بادرت الدول الأوروبية إلى فتح مجالات للاستثمار فيها، وتقديم العون لها مما سيدفع أبناءها إلى البقاء فيها، وإن كان نجاح البعض من الشباب فى الوصول إلى مبتغاه دافعًا للآخرين ليحذوا حذوهم، فالنجاح معاناة إنسانية جميلة من خلالها نتعلم ونكتسب الخبرات فلا أقل من مثل أعلى لمن حاولوا وجاهدوا فى سبيل الوصول لما تصطفيه أنفسهم ويحققوا آمالهم فى أن يحتذى بهم ممن حولهم، ويحققوا نفس النجاحات لأنفسهم.

ويختتم حديثه قائلا: «آمل أن يأتى اليوم ونرى

السفيرة. نائلة جبر:

وزارة القوى العاملة والهجرة تلعب دوراً متميزاً مع الدول المستقبلة للهجرة غير الشرعية وتدريب شبابنا ليصبحوا مؤهلين للعمل فى الخارج دون التعرض للخطر

حلاً جذريّا للهجرة غير الشرعية خاصة وأن آخر مؤتمر للدول الصناعية الكبرى أوصى أن تقوم الدول التى تعانى من الهجرة غير الشرعية إلى تقديم معونات تساعد الدول التى تحتاج إلى ذلك لإيجاد فرص جديدة للتنمية ومساعدتها فى تجاوز بعض الأزمات تجنبا لاستمرار مثل هذه الهجرات، لكن سيتطلب ذلك بعض الوقت وتضافر الجهود بين الدول الغنية والدول الأشد فقرًا.

وعن وجهة نظر علماء الاجتماع فى الهجرة غير الشرعية وسلبياتها المدمرة على الشباب ماديًا ومعنويًا يقول أ. د. نبيل السمالوطى - عميد كلية الدراسات الإنسانية الأسبق، وأستاذ علم الاجتماع بجامعة الأزهر -: الهجرة غير الشرعية ظاهرة مرضية، وهى انحراف اجتماعى يجب الوقوف على العوامل المؤدية إليه حتى نستطيع مواجهته، فالمواجهة يجب ألا تكون مواجهة أمنية فقط، ولكنها يجب أن تكون شاملة، فهناك العديد من العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والبيئية، والسكانية، أو الديموجرافية التى تؤدى إلى هذه الظاهرة.

فأهم الظواهر الاجتماعية التى تؤدى إليها:

أولا: البطالة، وعدم قدرة المشروعات الاقتصادية والاجتماعية سواء التى يملكها القطاع الخاص أو العام على استيعاب الأعداد المتزايدة التى تدخل سوق العمل فى مصر الذى يستقبل سنويّا حوالى مليون شاب يطلبون العمل، بعضهم أمى لا يقرأ أو يكتب، وبعضهم حاصل على مؤهلات متوسطة، والبعض الآخر حاصل على مؤهلات عليا لكنهم لا يجدون عملا وبالتالى يحاولون البحث عن هذا العمل بطرق مشروعة أو غير مشروعة.

ثانيا: الفقر: فالفقر أمر خطير ليس فقط على المجتمع ومؤسساته وإنما على الأخلاق خاصة فى حالة الفقر المدقع الذى لا يجد معه الإنسان ما يسد به رمقه، هنا يمكن للإنسان أن يلقى بنفسه إلى التهلكة فى سبيل الحصول على لقمة العيش والسكن والعلاج.

ثالثا: ضبابية المستقبل أمام الشباب وعدم قدرة الدولة والمجتمع على تلبية احتياجاتهم المشروعة، فأى شاب رجلا كان أو امرأة يأمل فى أن يكوّن أسرة، وأن يحقق من خلالها السكن والمودة والرحمة، وهذا أمر لا يتيسر لملايين الشباب نظرا لغياب أو ضعف الإمكانيات المادية، ومن هنا يمكن لهؤلاء الشباب أن يلقوا بأيديهم إلى التهلكة أملا فى تحقيق هذا الهدف، ومن بين هذا الهجرة غير الشرعية.

أمر آخر: يفسر الهجرة غير الشرعية وجود أعداد لملايين تسكن العشوائيات فى مصر ليس لديهم أساسيات الحياة الأولية التى تمثل أقل قدر من حقوق الإنسان كالسكن الصالح، ومياه الشرب النقية والكهرباء، وهؤلاء يقدر عددهم فى مصر من ١٢:١٦ مليون نسمة، وبعض هؤلاء لا يتردد فى أن يلقى بنفسه إلى التهلكة فيلجأ إلى الهجرة غير الشرعية.

يضاف إلى هذا كله عامل مهم يجب أن نشير إليه وهو الأمية الدينية والفكرية والثقافية التى تجعل الكثيرين عاجزين عن التفكير السليم فى حل مشكلاتهم بأن يبدأوا بمشروعات صغيرة أو متناهية الصغر، ويندرجوا فيها حتى يصلوا إلى مرحلة إمكانية تحقيق أهدافهم بالعمل والمثابرة، فالكثير من الشباب يتسم بالعجلة، وعدم التريث فيندفع نحو الأساليب غير الشريعة سعيًا وراء الوصول إلى هدفه

غير عابئ بما يؤول إليه مصيره، إلى جانب وجود بعض العصابات التى تغرى هؤلاء الشباب، وتمارس النصب والاحتيال عليهم من خلال وعود كاذبة حيث يحصلون منهم على أموال كثيرة مقابل إيهامهم بالعمل فى أوروبا فيكون مصيرهم إما الغرق، أو القبض عليهم من قبل السلطات الأوروبية ثم ترحيلهم مرة أخرى إلى بلادهم.

ويرى د. نبيل السمالوطى أن حل هذه القضية المهمة يتحقق من خلال تكامل جهود المجتمع المدنى مع رجال الأعمال والمنظمات غير الحكومية فى فتح آفاق جديدة لمشروعات يعمل فيها الشباب، وتغيير خريطة التعليم سواء قبل الجامعى أو الجامعى، حتى يكون صالحًا لتأهيل الخريجين لمتطلبات سوق العمل وبمشاركة الصندوق الاجتماعى الذى يقدم مشروعات للشباب تغنيهم عن الهجرة غير الشرعية إلى الدول الأوروبية.

فمواجهة هذه الظاهرة يجب أن تكون مواجهة شاملة ليست أمنية فقط، بل تربوية وتعليمية واقتصادية وصحية وسياسية واجتماعية.. إلخ.

ويستطرد فى حديثه قائلا: «عندنا فى جامعة الأزهر قمت بالإشراف على رسالة دكتوراه كانت حول أسباب الهجرة غير الشرعية وآثارها المدمرة على الفرد والأسرة، والمجتمع، ويجب على المسئولين الذين يهتمون بعلاج هذه الظاهرة الرجوع إلى هذه الرسائل العلمية من أجل رسم سياسة تربوية واقتصادية واجتماعية قادرة على الحد من هذا المرض الخطير».

توعية الشباب

أما بالنسبة للدور الذى يقوم به الإعلام فى الحد من هذه الظاهرة، وتنبيه الناس إلى خطورتها يقول أ. د. عبدالصبور فاضل - عميد كلية الإعلام جامعة الأزهر - : «هذه المشكلة لها شقان: شق دافعى وهو حاجة الشباب لتلبية احتياجات المعيشة من مسكن وملبس ومأوى، ومصر بلد غنى بثرواتها، وحتى الآن لم تستغل بعد، وحل هذه المشكلة يتمثل فى القضاء على مشكلة البطالة وهو البعد الاقتصادى للمشكلة.

وهناك البعد النفسى وهو الشق الثانى للمشكلة فعندما تتزايد فى مصر المشكلات والاضطرابات والتظاهرات يضيق بعض الناس ذرعا بها، فيلجأون إلى شتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة هربًا من ذلك، ومن ضمنها الهجرة غير المشروعة، لذلك يجب أن تقوم وسائل الإعلام بتوعية الشباب بمخاطر الهجرة غير الشرعية، وأن تظهر أخطاء المشكلات التى يتعرض لها المهاجرون بإبراز حوادث غرق السفن، ومطاردة حرس الحدود فى الدول الأوروبية لمثل هذه السفن، وترحيل الشباب على متنها إلى بلادهم مرة أخرى.

أما من نجح من هؤلاء المهاجرين غير الشرعيين فى الوصول إلى الأراضى الأوروبية تواجهه عقبة جديدة وهى عقبة العمل، فليس كل من ذهب إلى هناك استطاع الحصول على عمل، فهناك عقبات أخرى تواجههم تتمثل فى اللغة والإقامة والأجر الزهيد الذى يحول دون معيشة كريمة، وكلها أسباب تقف أمام الشباب المهاجر بطرق غير مشروعة.

ويضيف د. عبدالصبور فاضل أن القضية ليست فى دور وسائل الإعلام فقط، بل هناك دور

د. سيف رجب قزامل:

إذا أردنا توسعة فى الرزق بالهجرة خارج أرضنا يجب أن يكون هذا السعى فى حدود القوانين المنظمة

للمساجد والمدارس والجامعات.. إلخ، وكل ما يتعلق بوسائل التواصل المختلفة بين الناس كل ذلك له دور فى توعية الشباب بأخطار وعواقب هذه الطريقة فى الهجرة، وعلى الدولة أن تقيم مشروعات جديدة فى المناطق الصحراوية أو فى أماكن مختلفة تستوعب طاقات الشباب، فالشباب هم طاقة البناء التى يجب استغلالها الاستغلال الأمثل لنهضة ورفعة البلد، فنحن ليس لدينا مانع فى سفر الشباب إلى الخارج بحثا عن العمل، فقد أمرنا الله بالسعى فى طلب الرزق، وليس هناك ضرر فى أن يسافر الشباب لكن بالطرق المشروعة، فأغلى ما نملكه هو الإنسان فيجب أن نحافظ عليه وعلى حياته، ولا نسمح بأن يسافر شبابنا ويلقى بنفسه إلى التهلكة، فالشاب الذى يريد أن يأتى بمسكن ومتطلبات حياته واحتياجات معيشته ولا يستطيع تتساوى لديه الحياة والموت، وهذا حرام لأنه يلقى بنفسه إلى المجهول.

وعن دور وزارة الخارجية فى الحد من ظاهرة الهجرة غير الشرعية توضح السفيرة نائلة جبر- رئيس اللجنة الوطنية التنسيقية لمكافحة ومنع الهجرة غير الشرعية - قائلة: «تأسست اللجنة الوطنية لمكافحة الهجرة غير الشرعية والتى أشرف برئاستها، وأتولى أمانتها الفنية منذ مارس سنة ٢٠١٤م، أى ما يقرب من عام، وتضم فى عضويتها ممثلين عن الوزارات والهيئات والجهات المختلفة كالخارجية، والدفاع، والعدل، والقوى العاملة والهجرة، والتضامن الاجتماعى، والتنمية المحلية، والتخطيط، والإعلام، والشباب والرياضة، وممثلين عن النيابة العامة.. إلخ. إلى جانب اثنين من الخبراء يتم ترشيحهما من رئيس اللجنة، وتعقد اللجنة بكامل هيئتها اجتماعاتها كل شهرين، وذلك بخلاف الاجتماعات المستمرة لـ٧ مجموعات عمل فنية منبثقة عن اللجنة وأهمها مجموعة العمل القانونية، وهى مجموعات للعمل المكثف، والهدف الرئيسى للجنة الوطنية هو العمل على تنسيق السياسات والجهود الحكومية فى مجال مكافحة ومنع الهجرة غير الشرعية. كما أنها تتولى التنسيق بين الجهات الحكومية الممثلة فيها وسائر الأطراف غير الحكومية وتعمل كمرجعية استشارية للسلطات والجهات والهيئات الوطنية فى هذا المجال».

وتشير إلى أن هناك ثلاثة أنشطة رئيسية للجنة الوطنية التنسيقية لمكافحة الهجرة غير الشرعية الأول: يتعلق بالجانب التشريعى، والثانى:بالتوعية والنشاط، والثالث: يتعلق بالجانب التوثيقى، وجميع العاملين فى اللجنة فى إطار هذه الجوانب الثلاثة يقومون بعمل تطوعى دون أجر سواء من يتولون صياغة التشريعات أو وضع خطط التوعية، أو من يقومون بأعمال توثيقية حيث يتولون القيام بهذه المهام بالإضافة إلى عمله الأساسى، وهذا جهد وطنى مشكور لهم، وبالنسبة للجانب التشريعى هناك مجموعة عمل قانونية أعضاؤها اخصائيون من وزارة العدل والنيابة العامة والقضاء العسكرى، وقد قامت هذه المجموعة بدراسة التشريعات الوطنية المرتبطة بموضوع الهجرة غير الشرعية ووجدت فجوة خطيرة لأنه لا يوجد نص يمنع تهريب المهاجرين أو يوفر لهم وسائل النقل، واللجنة قامت بتغليظ العقوبات على من يتولى تهريب المهاجرين أو يوفر لهم وسائل النقل، وتم إقرار هذه العقوبة من اللجنة، وأرسلنا ذلك إلى لجنة التعديلات التشريعية فى مجلس الوزراء ليتم اعتمادها بأسرع ما يكون؛

لأن ذلك سوف يكون له تأثير إيجابى على الحد من الهجرة غير الشرعية للمصريين.

أما فيما يتعلق بالعمل التشريعى للجنة أيضا يتم حاليا إعداد أول تشريع وطنى متكامل حول الهجرة غير الشرعية من حيث تعريف الجريمة، ووضع العقوبات الرادعة لها، ووضع الجوانب التنظيمية لهذه الظاهرة بكامل جوانبها.

وأوضحت أنه بالنسبة للمهاجرين غير الشرعيين الذين يتجهون إلى إيطاليا واليونان ويغادرون البلاد فى قوارب متهالكة، ويموت الكثير منهم فى الطريق ومن يصل إلى هناك يتم ترحيله إلى البلاد مرة أخرى.

فوزارة القوى العاملة والهجرة من خلال المكاتب العمالية الملحقة بالسفارات المصرية بالخارج بإمكانها التعرف، ومن خلال العلاقات الثنائية مع هذه الدول على فرص العمل المتوفرة لديهم، ومن ثم العمل على تدريب شبابنا ليصبحوا مؤهلين للعمل بسوق العمل فى الخارج دون التعرض للخطر.

وعن رأى الدين فى الهجرة غير الشرعية يقول أ. د. سيف رجب قزامل - الأستاذ بجامعة الأزهر -: «إن الله أمر المسلم بالسعى فى الأرض كى يعمرها ويبتغى فيها من فضل الله سبحانه وتعالى ولا يتواكل، وعليه أن يعلم يقينا أنه لن ينال أكثر من حقه ورزقه المقدر له قبل أن يولد.. يقول تعالى: ﴿**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**﴾ (الذاريات: آية ٢٢)، وفى الحديث الشريف: «**إذا بلغ الجنين فى بطن أمه ١٢٠ يوماً يأمر الله الملك ينزل فينفخ فيه الروح ويؤمر؟ أربع كلمات: رزقه، أجله، عمله، شقى أم سعيد**».

والإسلام دين العمل الذى يحثنا على الأخذ بالأسباب ووطننا لن يتقدم إلا إذا سعينا جميعا لتعميره كل حسب وسعه وطاقته، ولكى نكون حضاريين ومتقدمين ويحق لنا الانتساب إلى مصر العظيمة.. علينا ألا نسىء إلى سمعتها ومكانتها وألا نضر بأنفسنا لأن الله نهانا عن ذلك، يقول تعالى: ﴿**وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (البقرة: آية ١٩٥).

ومن ثم إذا أردنا أن نبتغى توسعة فى الرزق بالهجرة خارج أرضنا فلا مانع من ذلك شرعا؛ لأن الله أمرنا بالسعى، على أن يكون هذا السعى فى حدود القوانين المنظمة التى قامت الجهات المختصة بتنظيمها وحرصت على ألا تعارض الشرع، من هنا كان احترام هذه القوانين أمراً واجباً على كل مواطن مصرى الالتزام به، وإذا ما خرج هذا المواطن على تلك القوانين والأنظمة التى نظمها ولى الأمر، فإنه يعرض نفسه للمخاطرة ويكون آثما شرعاً فضلا عن المخالفة القانونية.

لذا نهيب بأبنائنا وإخواننا بالسعى الجاد فى تعمير بلدهم، وفى الوقت نفسه نطالب الجهات المختصة بالعمل على فتح أبواب الرزق أمام الشباب حتى يستفيد الوطن من طاقاتهم فى تعميره ونهضته.. وننصح بألا يستعجل الشباب الفرص التى يطمح فى شغلها فقد عمل سيدنا موسى عليه السلام أجيرا لعشر سنوات، وامتهن الرسل - عليهم السلام - حرفا بسيطة.. أى أنه على الشباب أن يقتنع بالعمل اليسير فى مقتبل عمرهم بجد وإتقان مع إيمانهم أن أبواب الرزق ستفتح لهم بإذن الله ويعم الخير أرجاء مصر التى أودع الله فيها خزائن أرضه.

نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية «٧٣»

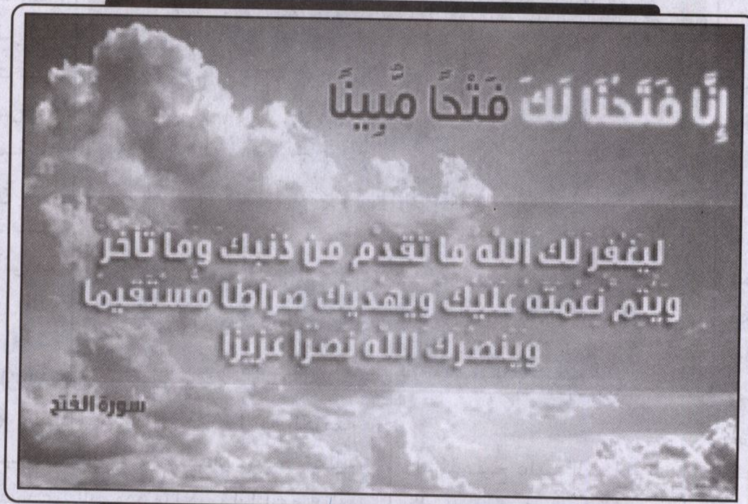

لا يزال الحديث موصولا حول موضع من مواضع النظرات البيانية فى القرآن الكريم وهو الموضع الذى رأينا فيه اجتماع صفتين من صفات الله عز وجل وأسمائه الحسنى مثل اجتماع صفة المغفرة مع صفة الرحمة لله تعالى، مثل قوله سبحانه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣).

د. طه مصطفى أبو كريشة*

ثم عرضنا بعد ذلك لشواهد أخرى اجتمعت فيها صفة العزة مع صفة المغفرة لله تعالى مثل قوله سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢) واجتمعت فيها صفة العزة مع صفة الرحمة لله عز وجل مثل قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (الشعراء: ٢١٧) - ثم انتقلنا بعد ذلك إلى الوقوف عند الشواهد القرآنية التى اجتمعت فيها صفة العزة مع صفة الحكمة لله رب العالمين، مثل قوله تعالى ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (الأحقاف: ٢) وهو الموضع الذى مازلنا نعيش فى رحابه وقد كان الوقوف مع هذه الشواهد من خلال بيان السر البيانى الذى دعا إلى هذا الاجتماع، وهو السر الذى نحاول الكشف عنه من خلال النظر فى السياق السابق أو اللاحق لموضع الشاهد، وهو سر متعدد ومتنوع حسب الموضع الذى اقتضى المجىء بصفة العزة المصحوبة فى الوقت نفسه بصفة الحكمة لله تعالى التى تضع الأمور فى مواضعها على وجه يؤكد تنزيه الله عز وجل عما لا يليق به. وفى هذا المقال نتابع الوقوف مع ما تبقى من شواهد هذا الموضع، مؤكدين أن ما نصل إليه من أسرار إنما هو اجتهاد ذاتى نسأل الله عز وجل أن نكون على صواب فيه،

* عضو هيئة كبار العلماء.

وأن الله تعالى أعلم بمراده.

(٣٣١) فمن الشواهد القرآنية التى اجتمعت فيها صفة العزة مع صفة الحكمة لله عز وجل لداع دعا إلى ذلك فى السياق القرآنى ما جاء فى قول الله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٥٨) إن هذه الآية الكريمة جاءت فى سياق الحديث عن سيدنا عيسى عليه السلام، وكيف ادعى اليهود زورا وبهتانا أنهم قتلوه وصلبوه. إن الحديث عن نفى هذا الادعاء جاء فى سياق الحديث عن المعاصى الكثيرة التى ارتكبها اليهود مع الأنبياء بدءا من سيدنا موسى عليه السلام، فمن هذه المعاصى أنهم سألوا سيدنا موسى أن يريهم الله تعالى جهرة بعيونهم كما جاء الإخبار عن ذلك فى قول الله عز وجل: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ (النساء: ١٥٣) ومنها أنهم صنعوا عجلا ثم عبدوه من دون الله تعالى حين ذهب سيدنا موسى لمناجاة ربه عز وجل، كما جاء الإخبار عن ذلك فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ (النساء: ١٥٣) ومنها ما كان منهم من تحايل على تنفيذ أمر الله تعالى لهم بأن يدخلوا الأرض المقدسة ساجدين فدخلوها زاحفين مع تحايلهم أيضا على ما نهوا عنه بالنسبة ليوم السبت، كما جاء الإخبار عن ذلك فى قوله عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء: ١٥٤) ومنها ما ارتكبوه من نقض المواثيق والعهود وقتل الأنبياء بغير حق،

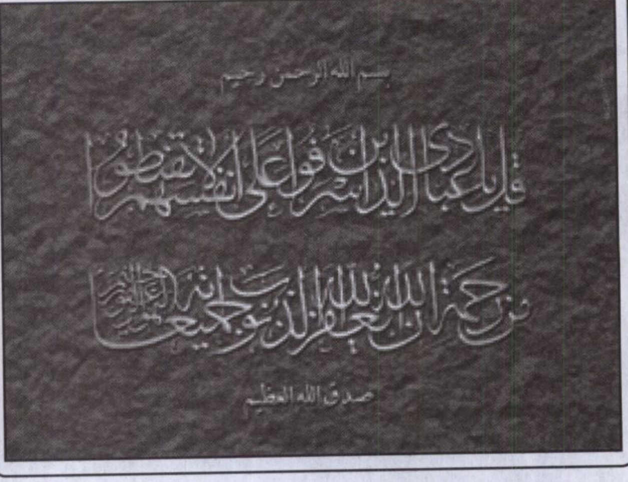

كما جاء الإخبار عن ذلك فى قوله سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ١٥٥) ومنها ما ادعوه على السيدة مريم أم المسيح عليه السلام من البهتان والاتهام فى العرض، كما جاء الإخبار عن ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١٥٦) ومنها اعترافهم بإصرارهم على قتل سيدنا عيسى عليه السلام حين شُبِّه لهم، كما قال عز وجل: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (النساء: ١٥٧) ثم جاءت آية الشاهد وفيها التأكيد على نفى وقوع القتل ليس تبرئة لهم ولكن لتسجيل المعجزة الربانية التى ألقت الشبه على غيره فكتبت له النجاة وحظى بالتكريم عند رب العالمين ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٥٨).

إن النظرة البيانية ترى أن الحديث التفصيلى عن المعاصى التى ارتكبها اليهود على مر التاريخ والتى كان ختامها اعترافهم بأنهم قتلوا سيدنا عيسى عليه السلام حين شبه لهم هو حديث كان ممهدا لبيان قدرة الله عز وجل التى كانت وراء رفع سيدنا عيسى عليه السلام إلى ربه عز وجل وهى قدرة أنبأت عن عزة الله تعالى التى لا تغلب، وهى عزة تصاحبها الحكمة التى اقتضت هذا التكريم لسيدنا عيسى عليه السلام.

(٣٣٢) ومن هذه الشواهد القرآنية التى اجتمعت فيها صفة العزة مع صفة الحكمة لله عز وجل لداع دعا إلى ذلك فى السياق القرآنى ما جاء فى قول الله تعالى: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٦٥) إن هذه الآية الكريمة جاءت فى سياق الحديث عن الوحى الذى أوحاها لله عز وجل إلى سيدنا محمد ﷺ، وإن هذا الوحى هو ذاته الوحى الذى أوحاه الله تعالى إلى سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من قبله، وإن هذا الوحى الذى كان عن طريق الرسل والأنبياء الذين اصطفاهم الله عز وجل من سائر الخلق إنما كان من أجل إنقاذ البشرية وإخراجهم من الظلمات إلى النور، من ظلمات الكفر إلى أنوار الإيمان الصادق الذى يبعدهم عن عبادة الأصنام، ويبعدهم عن الإلحاد والإشراك، وكذلك فإن إرسال الرسل للتبشير والإنذار إنما كان أيضا من أجل قطع المعذرة والاحتجاج الذى كان يمكن أن يحتج به العصاة ويقولون: إننا قد وقعنا فى المعاصى لأنه لم يأت إلينا من يهدينا إلى الصراط المستقيم. إن الحديث عن هذا الوحى الذى كان عن طريق الأنبياء والرسل، وعن الغاية الإيمانية من وراء إرسالهم هو الذى جاء فى قول الله تعالى مع آية الشاهد: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا • وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا • رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٦٣:١٦٥).

إن النظرة البيانية ترى أن الحديث عن طبيعة الوحى الربانى الذى أوحى به إلى سيدنا محمد ﷺ كما أوحى به إلى سائر الأنبياء والرسل من قبله، هو وحى يكشف عن قدرة الله عز وجل التى جعلت الأنبياء جميعا مؤهلين لتلقى الوحى دون غيرهم من البشر، بحيث تلتقى الطبيعة البشرية مع الطبيعة الملائكية دون حاجز يمنع هذا التلاقى وهذا الاتصال، إن هذه القدرة الربانية التى أوجدت هذا الوحى السماوى مع مسيرة جميع الأنبياء والمرسلين هى قدرة نابعة من عزة رب العالمين سبحانه وتعالى، فلا مجال فيها ومعها لإنكار منكر أو تكذيب مكذب، أو أعتراض معترض، على نبوة سيدنا محمد ﷺ، ولذلك جاء بعد آية الشاهد ما يؤكد هذا الإخبار من رب العالمين، وذلك فى قوله عز وجل: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ١٦٦).

(٣٣٣) ومن هذه الشواهد القرآنية التى اجتمعت فيها صفة العزة مع صفة الحكمة لله عز وجل لداع دعا إلى ذلك فى السياق القرآنى ما جاء فى قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (الفتح: ٧).

إن هذه الآية الكريمة جاءت فى سياق الحديث عن صلح الحديبية، وهو الصلح الذى تم عندما ذهب النبى ﷺ بأصحابه إلى مكة المكرمة لأداء العمرة، ولكن مشركى قريش اعترضوه، وحالوا بينه وبين دخول مكة فى عامه الذى قدم فيه، وعرضوا عليه أن يرجع هذا العام على أن يؤدى العمرة فى العام الذى يليه، ورضى النبى ﷺ بذلك، وتحلل من عمرته مع ما أظهره أصحابه من حزن نفسى لرجوعهم دون أن يؤدوا العمرة، فأنزل الله تعالى سورة الفتح التى أنزلت السكينة فى قلوب المؤمنين، وأخبرتهم أن ما تصالحوا عليه هو بمثابة الفتح المبين والنصر العزيز، كما جاء الإخبار عن ذلك فى مفتتح سورة الفتح فى قول الله عز وجل خطابا للنبى ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا • لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا• وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ (الفتح: ١:٣).

أما صحابة رسول الله ﷺ الذين حزنوا لعدم إتمام عمرتهم فإن الله تعالى تفضل عليهم بالسكينة التى امتلأت بها قلوبهم، والتى أنزلها فى هذه القلوب إنزالا فأزاحت ما اعتراها من حزن وشجن، وازدادت فيها درجات الإيمان الصادق الذى ازدادوا من ورائه حبا لنبيهم ﷺ وحبا لدينهم مما جعلهم أهلا لهذه البشرى التى بشرتهم بالخلود فى جنات النعيم، ومع هذه البشرى وهذا الثواب العظيم، فإن هناك وعيدا مصاحبا لذلك وهو الوعيد الخاص بالمنافقين والمشركين الذين يخلدون فى نار جهنم وبئس المصير لنفاقهم وشركهم وإساءة الظن بالله عز وجل. إن هذا السياق السابق على آية الشاهد هو

الذى جاء فى قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا • لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا • وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (الفتح: ٤: ٦).

إن النظرة البيانية ترى أن هذا السياق الذى جاء فيه الإخبار عن السكينة التى أنزلها الله تعالى فى قلوب المؤمنين بعد عودتهم من الحديبية دون أن يؤدوا العمرة، وهى تلك السكينة التى أزالت عنهم أحزانهم التى كانت قد امتلأت بها قلوبهم لعدم أداء العمرة، وكانت عاملا من عوامل زيادة درجات الإيمان هى سكينة أودعتها وأوجدتها القدرة الإلهية التى نبعت من عزة الله عز وجل التى لا تغلب، وحكمته التى اقتضت ثبات وزيادة الإيمان فى قلوب هؤلاء المؤمنين، وهى ذاتها العزة التى توقع العقاب على المنافقين والمشركين الذين يحاربون الله تعالى ورسوله ﷺ، إن لله تعالى جنودا فى عالم الغيب ينفذون إرادة الله عز وجل فى الثواب والعقاب ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (الفتح: ٧).

(٣٣٤) ومن هذه الشواهد القرآنية التى اجتمعت فيها صفة العزة مع صفة الحكمة لله عز وجل لداع دعا إلى ذلك فى السياق القرآنى ما جاء فى قول الله تعالى: ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (الفتح: ١٩).

إن هذه الآية الكريمة جاءت فى سياق الحديث عن الأحوال التى كان عليها المؤمنون مع النبى ﷺ وهم ذاهبون لأداء العمرة وهى الأحوال التى سبقت إتمام صلح الحديبية الذى كان من ورائه الاتفاق على الرجوع وعدم دخول مكة المكرمة فى هذا العام وأن يؤدوا العمرة فى عامهم المقبل إن من هذه الأحوال التى سبقت الصلح ما كان من مبايعة الصحابة للنبى ﷺ حين بلغهم أن مشركى قريش غدروا بمن أرسلهم النبى ﷺ إلى مكة للتفاوض مع المشركين، وهى البيعة التى عرفت ببيعة الرضوان واقتضت عدم الفرار، ولما بلغ المشركين أمر هذه البيعة دخل الرعب والفزع فى قلوبهم وأطلقوا سراح من حجزوهم وحبسوهم عندهم من المسلمين، وارتضوا الدخول فى مفاوضات الصلح، إن هذه البيعة التى جاء الإخبار عنها فى مقام المدح والثناء على صحابة رسول الله ﷺ فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ١٠) وفى قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا • وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (الفتح: ١٨، ١٩) إن الحديث عن هذه البيعة فى هذه الآيات هو حديث فيه إشادة بموقف المؤمنين مع النبى ﷺ فى مواجهة مشركى قريش الذين غدروا وحبسوا من أرسلهم النبى ﷺ ليتفاوضوا معهم، إن من هذه الإشادة أن الله تعالى جعل مبايعة الصحابة للنبى ﷺ هى فى الواقع مبايعة مع الله عز وجل، وهى معية فيها التشريف لهم كل التشريف، والتكريم كل التكريم، وفوق ذلك فإن من التكريم أن تكون يد الله تعالى فوق أيديهم وهو الأمر الذى يقتضى الوفاء كل الوفاء بمحتوى البيعة. وأيضا فإن من الإشادة بالمؤمنين ما جاء التأكيد عليه من أن هؤلاء المبايعين قد حظوا برضاء الله عز وجل عنهم، وما كان من وراء هذا الرضا من الوعد الربانى بأن الله تعالى سوف ينعم عليهم بالفتح القريب وهو الوعد الذى تحقق عن طريق الصلح وعن طريق فتح مكة فى مستقبل الأيام مع ما يصاحب ذلك من مغانم كثيرة مادية ومعنوية.

إن النظرة البيانية ترى أن الحديث عن هؤلاء المبايعين من خلال الإشادة بهم وإعلاء شأنهم مع الوعد بالفتوحات والغنائم هو الذى اقتضى الإشارة إلى أن ذلك كله كان أثرا من آثار عزة الله تعالى التى يعز بها المؤمنين، وهى العزة المصحوبة بالحكمة الربانية التى اقتضت هذا المجىء.

وبهذا الشاهد نأتى إلى ختام الشواهد التى اجتمعت فيها صفة العزة مع صفة الحكمة لله رب العالمين العزيز الحكيم.

التفسير اللغوى للقرآن الكريم (٤٠)

د/ عبد الغفار حامد هلال*

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

(البقرة: الآية ١٤٣)

صلى رسول الله ﷺ والمؤمنون إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا، ثم أمرهم الله تعالى بالتحويل إلى الكعبة المشرفة بمكة المكرمة، وذلك لم يرض الطوائف المعاندة، و تساءلوا عن سبب التحويل فبين الحق سبحانه الأسباب الحقيقية للتحويل.

و قد ذكرنا فى تفسير الآية الكريمة السابقة على الآية التى معنا بيان الرد عليهم واتباع المؤمنين لما أمرهم به مولاهم.

وفى هذه الآية الكريمة التى معنا حديث المولى سبحانه عن عدة أمور:

الأول: الحديث عن اختيار الأمة الإسلامية للقيادة وتفضيلها على سائر الأمم بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر وقيامها على الدعوة للإيمان بالأنبياء جميعاً.

والثانى: عرض سبب آخر لتحويل القبلة وهو تمييز الله تعالى للمؤمنين المصدقين عن غيرهم.

* الأستاذ بجامعة الأزهر.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾

والثالث: بيان أن قبول هذا التحويل كان شاقا على نفوس الطوائف المعاندة مع أنه فى الوقت نفسه كان مواكبا لما تتطلبه نفوس المؤمنين الطائعين الذين هداهم الله تعالى .

والرابع: بيان أن الصلاة إلى بيت المقدس قبل نزول الأمر بالتحويل صحيحة يثاب أصحابها عليها.

فالأمر الأول: ـ وهو اختيار الأمة الإسلامية للقيادة بدعوتها إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقيامها على الدعوة للإيمان بالأنبياء جميعا ـ عبر عنه بقوله جل شأنه ـ: ﴿كَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ تذكر معاجم اللغة أن وسط الوادى خير موضع فيه وأكثره كلأ وماء، وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها، ويقال: فلان من أوسط قومه وإنه لواسطة قومه ووسط قومه أى من خيارهم وأصل الحسب فيهم.

فالمراد بقوله تعالى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ أى خيارًا فى قيامكم على أمر الدعوة إلى الله. كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، وقيل الوسط: العدل وفى القرآن الكريم ـ فى سورة القلم: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ (القلم: الآية ٢٨)، فالمراد: أعدلهم.

وقال زهير :

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم
إذا نزلت إحدى الليالى بمعظم

وروى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أنه قال: (عدلا) .

وتفسير الوسط بالخير أو العدل يؤكد خيرية الأمة الإسلامية وعدالتها بحيث جعلهم المولى سبحانه شهداء على الأمم كلها كما قال تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾.

والمراد بالشهادة شهادتهم للأنبياء على أقوامهم بأنهم بلغوا رسالات ربهم إذ إن هذه الأمة الإسلامية منوط بها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقيام على الدعوة للإيمان برسالات الأنبياء جميعا، وأنهم بلغوا أقوامهم ونصحوا لهم.

والمراد بشهادة الرسول ﷺ لأمته هى شهادته لهم بالإيمان أو شهادته عليهم بأنه بلغهم الرسالة وأدى الأمانة أو شهادته عليهم هى تزكيته لهم فى شهادتهم على الأمم السابقة، وعلى هذا تكون ﴿عَلَى﴾ فى قوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ﴾ بمعنى اللام

كان النبى ﷺ يصلى إلى بيت المقدس ثم أمر باستقبال الكعبة فجعل الله هذا التحويل اختبارًا يكشف نوعيات الناس

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٤٣)

أى يكون مزكيا لكم شاهدا بعدالتكم.

ولسائل أن يسأل لم قال: ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ ولم يقل: «شاهدين أو شهودا على الناس» مثلاً؟

فالجواب: أن ﴿شُهَدَاءَ﴾ جمع (شهيد) وهو صيغة تفيد المبالغة، فهى أقوى فى أداء المعنى المراد بإبراز أمر الشهادة وتأكيدها من التعبير بشاهد وشاهدين وشهود .

ولسائل أن يسأل أيضا: لم عبر بحرف الجر ﴿عَلَى﴾ فى قوله: ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ دون أن يعبر باللام فيقول: «شهداء للناس»؟

فالجواب: إن فى ﴿عَلَى﴾ معنى الاستعلاء وهو أكثر مناسبة للتعبير عن اختيار الأمة الإسلامية لأمر الشهادة وأنه من خصائصها التى تتعلق بالناس وتشملهم شمولاً تامّا لازمًا.

والأمر الثانى: - وهو بيان أحد أسباب التحويل - عبر عنه بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾.

هذا سبب آخر لتحويل القبلة، وهو أن يبين الله تعالى المستجيب لأمره ويظهر المنكر المعاند، فمن اعتقد أن ذلك التحويل من عند الله فقد هدى إلى صراط مستقيم، ومن خالف ذلك وأنكر هذا التحويل فقد أعرض عن طريق الصواب الذى لا يضل عنه إلا هالك، ولكل من المصدق والمكذب جزاؤه إن خيرا فخير وإن شرّا فشر .

والمقصود بـ ﴿الْقِبْلَةَ﴾ هنا هى القبلة الأولى وهى بيت المقدس، وقيل: إنها الثانية وهى الكعبة، وكلاهما جائز.

فقد علمنا - من قبل - أن النبى ﷺ كان يصلى إلى بيت المقدس، ثم أمر باستقبال الكعبة فجعل الله هذا التحويل اختبارا يكشف نوعيات الناس .

ونحن نفهم - بداهة - أن «العلم» هنا فى قوله سبحانه: ﴿لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ ليس مقصودًا به حقيقته فى جانب الله تعالى؛ لأن معرفة المصدقين بأمر التحويل والمكذبين لم يكن خافيًا عليه قبل الأمر به، فإن الله تعالى لا يخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء، لكن قصد بـ «العلم» هنا ظهور أمر الناس على اختلاف ألوانهم ودياناتهم فى هذه القضية التى جدت وهى تحويل القبلة؛ فيتضح

الصلاة علامة الإيمان وأساسه وقبولها من فضل الله ورحمته

ما كان خافيا على الناس ويظهر على الطبيعة تصديق المصدقين وتكذيب المكذبين حتى إذا أخذ الله تعالى المكذبين أخذ عزيز مقتدر لم يكن لهم حجة أو عذر ولم يستطيعوا أن يخفوا طبيعتهم؛ لأن حالهم قد افتضح وأصبح معروفا للجميع، وإذا كافأ الله تعالى المصدقين الطائعين فهذا ثواب تصديقهم وإذعانهم لأوامر ربهم وهذا على حد قوله جل شأنه: ﴿ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران : ١٧٩).

وأراد بـ ﴿ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ : من يصدق بأوامر المولى سبحانه بعامة وبأمر تحويل القبلة إلى الكعبة بخاصة.

وأراد بـ﴿ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ : من يرتد ويرجع إلى الكفر شكًّا فى الدين وظنا أن النبى ﷺ كان فى حيرة من أمره حين تحول إلى استقبال الكعبة، وقد ارتدت لذلك جماعة من المنافقين ونافقت جماعة أخرى.

واستعمال القرآن الكريم «الانقلاب على العقب» للرجوع إلى العقائد الفاسدة أسلوب لغوى دقيق، فإذا رجع الإنسان إلى الخلف بعد أن كان متجها إلى الأمام يكون قد رجع إلى الطريق التى تحول عنها وربما تسبب له ذلك فى العثرة والإصابة.

والأمر الثالث: ـ وهو بيان أن قبول التحويل كان شاقا على نفوس الطوائف المعاندة مع أنه فى الوقت نفسه كان موافقا لطموحات المؤمنين ـ عبر عنه بقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾.

فتحويل القبلة كان شاقا على نفوس أصحاب الظن السيئ من الطوائف المعاندة وأمرا مقبولا بالنسبة لنفوس المؤمنين.

والأمر الرابع: وهو بيان أن الصلاة إلى بيت المقدس قبل نزول الأمر بالتحويل صحيحة يثاب عليها أصحابها ـ عبر عنه بقول المولى تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾.

جاء هذا النص القرآنى إجابة على سؤال أراد به المضلون أن يشككوا المؤمنين فى أمر التحويل بالسؤال عن صلاة المؤمنين الذين كانوا يتجهون إلى بيت المقدس، ثم ماتوا قبل التحويل إلى الكعبة ومفهوم هذه الإجابة القرآنية أن صلاتهم صحيحة لا غبار عليها.

فالمراد بـ «الإيمان» هنا فى قوله: ﴿ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ صلاة من مات من المؤمنين قبل التحويل فبين القرآن الكريم أن صلاتهم مقبولة لا ترد وسيثابون عليها، واستعمل «الإيمان» للصلاة باعتبار السياق الذى وردت فيه، فهى علامة الإيمان وأساسه، وقبول صلاة المؤمنين من فضل الله ورحمته ولذا قال فى نهاية الآية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

والرأفة هى أشد من الرحمة وأعلى، وهما متقاربان فى المعنى، والعادة فى اللغة العربية أنه إذا اجتمع وصفان أحدهما أبلغ من الآخر أن يؤخر الوصف الأبلغ فنقول ـ مثلا ـ محمد عالم نحرير ولا تقول محمد نحرير عالم لأن (نحرير) وصف أبلغ من (عالم) فيؤخر عنه، وعلى هذا كان مقتضى الظاهر أن يقول المولى سبحانه: ﴿ لَرَحِيمٌ رَءُوفٌ﴾ لكنه لم يفعل ذلك وخالف هذا المعتاد ربما للفاصلة التى تقتضى الانسجام الصوتى للآيات ـ كما يرى بعض العلماء ـ ونحن نرى أن استعمال القرآن الكريم ينبغى أن يحتذى فهو دليل على صحة تقديم الوصف الأبلغ على نظيره المتقارب معه فى المعنى وما أحرانا أن نضع القواعد اللغوية على أساس النصوص القرآنية فهى أعلى مثل لغوى.

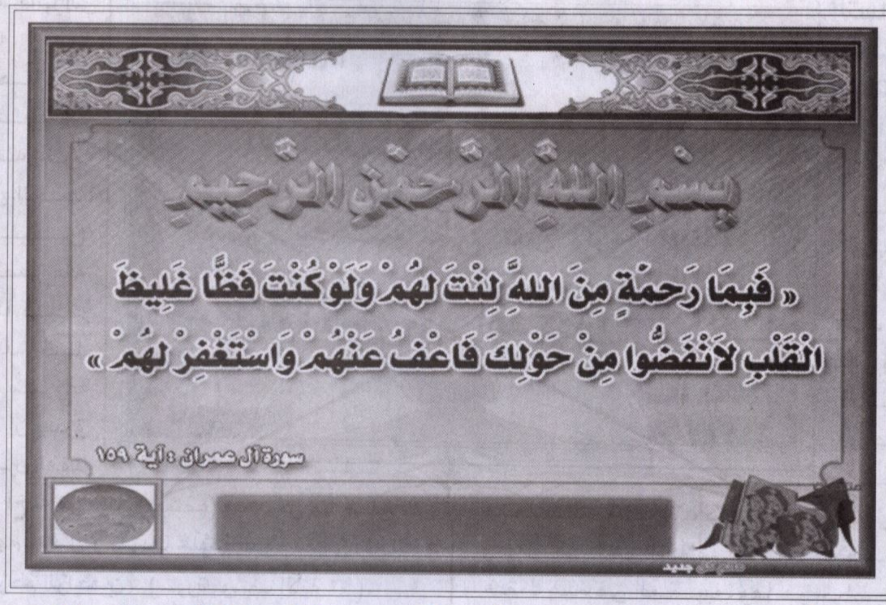

التسامح من كمال الإيمان

د. أحمد عبد اللطيف الكلحى*

التسامح خلق وردت به كل الشرائع السابقة. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (سورة الأحزاب الآية ٢١) وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: الآية ١٥٩) وقال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» هذه أخلاق نبينا محمد ﷺ وكل الأنبياء من قبله. وقد سمى الله عز وجل نفسه الرحيم - الغفور - العفو. وانظروا إلى عفوه سبحانه وتعالى[1]: فقد أمر رجل من بنى إسرائيل أولاده عندما جاءه الموت أن يحرقوا جثته قائلا: لقد عصيت الله ولئن قدر الله على ليعذبنى عذابا ما عذبه أحدا من العالمين - فلما مات فعلوا وأحرقوا جثته؛ فأمر الله أن يجمع فجثى بين يدى الله فسأله ما حملك على ما صنعت قال: خفتك وخفت ذنوبى فغفر الله له وسامحه وعفا عنه.

الله عز وجل يعلم تماما أن الرجل صادق وأنه يخاف عقاب الله؛ لذا فعل ما فعل. وها هو موسى عليه السلام[2] خرج يستسقى هو وقومه فالمطر لم ينزل وأجدبت الأرض لكن المطر لم يسقط فأعاد موسى الصلاة هو ومن معه ولم ينزل المطر فقال كليم الله: يارب لم منعنا المطر؟ فقال تعالى: فيكم من يعصينى أربعين سنة وهو يعصينى كيف أسقيكم وهو فيكم، فقال موسى لقومه: من كان يعصى الله فليخرج ويعتزلنا فقد منعنا المطر بسببه: فقال رجل بعد أن نظر يمينا ويسارا: لعل أحداً يخرج فلم يخرج أحد فعلم أنه هو المقصود يارب سترتنى أربعين سنة فاسترنى الآن وأتوب توبة نصوحا، ونادى موسى ربه: يارب من هو لأخرجه؟ فما خرج أحد، فقال تعالى: يا موسى يعصينى أربعين سنة وأستره فكيف أفضحه

* إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

وقد تاب إلى وقبلته.

وها هو يوسف عليه السلام وضعه إخوته فى الجب (البئر)؛ ليتخلصوا منه، بل ولما كبر وأخذ أخاه بحيلة مشروعة قالوا: إن يسرق (بنيامين) فقد سرق أخ له من قبل (يوسف) وبعد كل ما فعلوه به قال لهم: ﴿قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (سورة يوسف الآية ٩٢).

وقال عليه السلام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة يوسف الآية ١٠٠) أرأيتم لم يذكر حادث البئر ولم يقل لهم قلتم عنى سارقًا، بل قدم خلق التسامح والعفو - وهذه أخلاق الإسلام.

وها هو رسول الله ﷺ(٣) يدخل مكة منتصرا فقال سعد بن عبادة على أبواب مكة: اليوم يوم الملحمة سنقتلهم ونفعل بهم ما فعلوه بنا، فعزله النبى فورا وجعل من عينه مكانه يقول: اليوم يوم المرحمة وجمعهم قائلا(٤): «ما تظنون أنى فاعل بكم» قالوا: خيرا أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

حاربوه فى بدر وأحد والخندق وقتلوا وعذبوا من المسلمين الكثير وردوه عن العمرة قبل الحديبية ويوم الطائف قذفه بعض أهلها وسفهائها بالحجارة حتى دميت قدماه، فعلوا به وبأصحابه ما فعلوا ومع ذلك عندما صاروا فى قبضته تركهم وسامحهم ولم يسجن ولم يقتل ولم يعاقب وقد كان ﷺ قادرا أن يفعل.

قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾

سورة الأحزاب

التسامح خلق الأقوياء والانتقام خلق الضعفاء

وقتل وحشى بن حرب عمه حمزة وكان من أشد المواقف على قلبه ونفسه عندما رأى عمه حمزة وقد فتحت بطنه وأخرجت كبده وجدع أنفه، ولما أسلم وحشى قبل النبى إسلامه وقال: «لا تجعلنى أراك»، فقط هذه هى العقوبة. وها هو حاطب بن أبى بلتعة(٥) أفشى سر الجيش المتجه لمكة، خيانة عظمى كما نسميها الآن وأراد بعض الصحابة قتله (عمر بن الخطاب رضي الله عنه) فقال النبى ﷺ: «لعل الله اطلع على أهل بدر» (وقد كان حاطب منهم) فقال: «اعملوا ماشئتم قد غفرت لكم». وجاء رجل يطلب مالا له وجذب النبى من طرف ردائه، فعلم ذلك فى صفحة عنق النبى ﷺ فأمر النبى بإعطائه ماله وزاده وكان يقول عن نفسه ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة» وأمر ﷺ بالتسامح فى البيع والشراء فقال: «رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى».

المسامحة هى المساهلة

وسامح أبو بكر قريبه لما نزل قوله تعالى ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة النور الآية ٢٢) فقال: أحب أن يغفر الله لى وعفا وتسامح.

الشيخ الصوفى على البكرى قال عن ابن تيمية: كافر، وجمع بعض الناس وضربوه وهو يسير وحده راجعا بيته فاجتمع الناس والعسكر يريدون الفتك بابن البكرى فهرب منهم وخطبهم ابن تيمية قائلاً: الحق إما أن يكون لى أو لكم أو لله فإن كان الحق لى فهو فى حل (أنا مسامح) وإن كان لكم فافعلوا

سامح واجعل المسامحة خلقًا لك تكن ممن اتبع النبى وتخلق بأخلاقه ﷺ

ما شئتم وإن كان الحق لله فالله عز وجل قادر عليه.

ضاقت الأرض بما رحبت على البكرى يهرب من دار إلى دار حتى تعب فلم يجد بيتا يختبئ فيه إلا دار ابن تيمية. وظلمه وحبسه بيبرس ومعه قضاة وفقهاء من الشام ومصر، وزال ملك بيبرس وضم قلاوون مصر ودمشق إلى ملكه

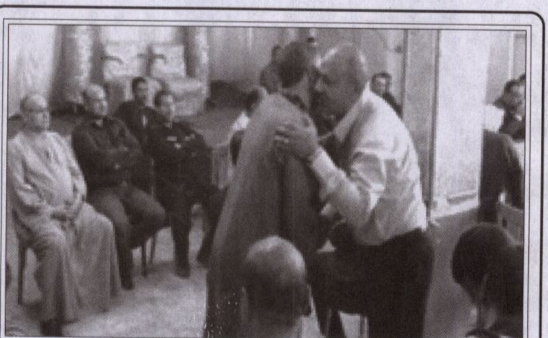

ووجدها فرصة لينتقم من القضاة والفقهاء ـ رجال بيبرس ـ الذين آذوا ابن تيمية وسجنوه فطلب قلاوون فتوى من ابن تيمية بقتلهم فقال له: إن قتلت هؤلاء لا تجد مثلهم بعدهم من العلماء الأفاضل، فقال له السلطان: لقد أرادوا قتلك، فقال: هم فى حل.

وأحمد بن حنبل ضربه المعتصم وجلده ثم مات وتولى المتوكل وفكوا قيوده ورجع سالما إلى بيته، فقال له الناس: أقل شىء هو أن تدعو على المعتصم فأراد أن يسكتهم فقال لهم: إنه قريب رسول الله وأخشى أن آتى يوم القيامة وبينى وبين أحد من قرابته خصومة، وقيل، بل سامحه؛ لأن المعتصم حارب يوم عمورية ونصر الإسلام ودافع عنه.

وقال بعض المعاصرين هذا هو الموقف من الحكام نسامح ونعفو وندعو لهم فبصلاح الحاكم ينصلح حال الناس ولو لإنسان دعوة مستجابة فليدعو بها للحاكم، وأما المبتدعون فقد كان ابن حنبل ـ رحمه الله ـ شديدا عليهم. ما أجمل أن يسامح الوالد ولده والوالدة ولدها، والمعلم يسامح تلميذه. وما أجمل هذا الكلام الذى يظهر فيه التسامح، ربما أساءت لك أختك يوما - سامح ربما أسأت يوما إلى أخيك، اذهب إليه ودق بابه قائلا: لقد أسأت إليك فسامحنى. ومن أعظم المسامحة مسامحة الوالدين، ربما ظلمك أبوك قليلا فأعطى أخاك أكثر فسامح. وكذلك أمك ربما أحبت أخاك أو أختك أكثر منك، سامح وادع لهما بالرحمة والمغفرة. إياك أن تجعل أباك يقول لك: سامحنى يا ولدى، قم فقبل رأسه ويديه وقل له: مثلى لا يسامحك أنت الذى يسامح كذلك أمك برضاهما تدخل الجنة وبدعائهما عليك لن تنجو من العذاب إلا أن تتوب. سامح واجعل المسامحة خلقا لك تكن ممن اتبع النبى وتخلق بأخلاقه ﷺ.

الهوامش:

١ - حديث متفق عليه روايته بالمعنى وكان ابن تيمية - رحمه الله - كثيرا ما يستشهد به وقال: هو متواتر.

٢ - ذكره ابن قدامة فى كتاب التوبة وذكر طرفا منه فى المغنى.

٣ - الحديث رواه البخارى فى كتاب المغازى - وقد ورد الحديث بعدة روايات.

٤ - قال الألبانى - رحمه الله -: الحديث على شهرته ليس له إسناد ثابت وهو معضل عند ابن هشام وضعفه الحافظ العراقى. وأقول: قال أحمد بن حنبل: ثلاثة ليس لها أصل التفسير والملاحم والمغازى يعنى - رحمه الله - أنه ليس لها أسانيد صحاح متصلة وهذا ما أرجحه فلا نأخذ المغازى والملاحم بنفس ضوابط الحديث فالقوم اهتموا بأسانيد الأحاديث دون التفسير والملاحم والمغازى، والله أعلم.

٥ - متفق عليه.

بناء الإنسان ثراء للمجتمع

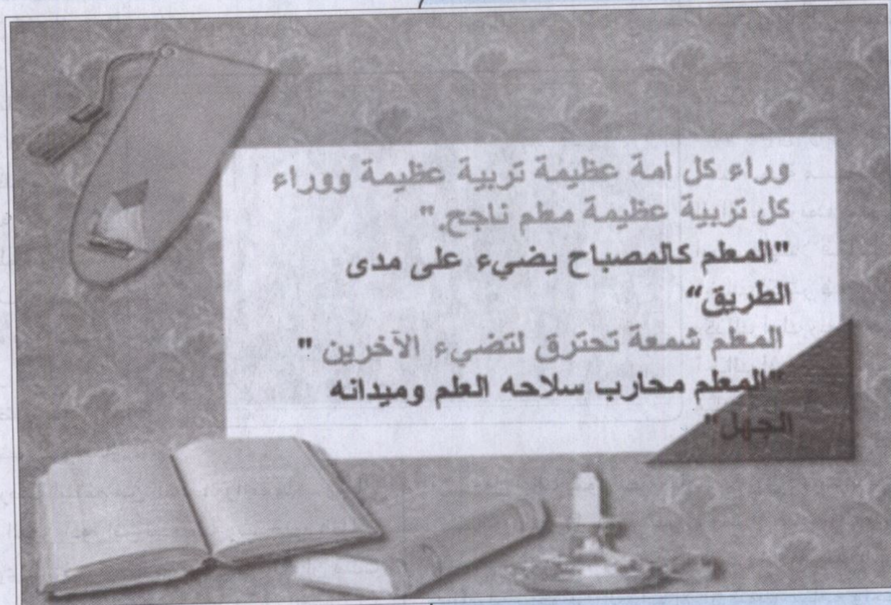

إن المنهج الإسلامى يعتمد بناء الإنسان مقياسا لثراء المجتمع ونهضته ولقد فطن إلى ذلك سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قال لأصحابه يوما: تمنوا فقال رجل: أتمنى لو أن لى هذه الدار مملوءة ذهبا أنفقه فى سبيل الله عز وجل، ثم قال عمر رضي الله عنه: تمنوا فقال: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤا وزبرجداً أو جوهرا أنفقه فى سبيل الله عز وجل وأتصدق به، ثم قال عمر: تمنوا فقالوا: ما ندرى يا أمير المؤمنين، فقال عمر: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة رجالاً مثل أبى عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه. إن بناء الإنسان يكون بالتربية قبل التعليم فالتربية تعنى أول ما تعنى بالأخلاق تهذبها وتقومها حتى إذا سادت الأخلاق بين الأمم نهضت هذه الأمم وعلا شأنها.

فضيلة الشيخ: محمد عبد المجيد زيدان*

وغرس القيم يبدأ من الصغر والأسرة هى أساس التربية غير أن هناك فقرا فى الاهتمام بتربية الأبناء فقيم الاحترام والتوقير قد تكون غير موجودة، وغرس القيم من وجهة نظر الطب السلوكى من سن ثلاث سنوات وأفضل سن لبث القيم حتى خمس سنوات وبعد ذلك تكون المتابعة والتوجيه، غير أن دور الأم التى باتت تعمل من أجل لقمة العيش يحتم إعادة النظر فى دور التربية فى المنزل وأن يقف كل واحد منا وقفة مصارحة مع النفس فيغيّر كل منا فى سلوكه أولا ثم فى أولاده، فإذا كانت كل دول العالم فى حاجة شديدة ودائمة إلى التعليم ولكن أصبحت حاجتنا إلى التربية أشد وأكبر فى هذا الزمان، ومع كل التقدير والاحترام لأهمية التعليم ومنزلة العلماء حتى إن الملائكة وأهل السماوات وأهل الأرض حتى النملة فى جحرها وحتى

* وكيل أول وزارة الأوقاف الأسبق لشئون الدعوة.

الحوت فى البحر ليُصَلّون على معلم الناس الخير كما جاء فى الحديث الشريف فإن العالم الذى لا خلاق له شره أكثر من نفعه نقول هذا ونؤكده ونحن نعلم أن طلب العلم فى الإسلام فريضة واجبة وأن الله سبحانه وتعالى يرفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات ولكن تركيزنا على التربية التى تحض على مكارم الأخلاق هدفه أن نجمع فى دور العلم بين الاثنين معًا ونجعل المقدمة للتربية ولعل فى قوله تعالى فى وصف رسولنا الكريم ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ (سورة القلم: الآية ٤) دليلاً واضحًا على الأهمية العظمى للتربية والأخلاق وقوله ﷺ: **«أدبنى ربى فأحسن تأديبى ونشأت على أحسن الكمالات»** دليل آخر على ما تحظى به التربية والأخلاق الحميدة من أهمية عظمى ورحم الله القائل:

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه

فقوّم النفس بالأخلاق تستقم

لذا فإن الذى قدم التربية على التعليم فى اسم وزارة التربية والتعليم كان يدرك أن التربية هى السياج المتين والحصن الحصين للتعليم وهى التى تجعله علما نافعًا لا يستعاذ بالله منه وفى الدعاء المأثور نقول: «اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ...».

لذا نذكر أولى الأمر والقائمين على أمر التعليم بالأهمية العظمى للتربية لكى يجعلوها فى مقدمة اهتماماتهم وأولويات برامجهم، ونذكر «والذكرى تنفع المؤمنين» بأن كثيرين غيرى من كبار السن مازالوا يذكرون أسماء أساتذتهم فى المدرسة يوم أن كان المعلم نموذجًا فى الترفع والأبوة الحانية وكاد بحق أن يكون رسولا كما قال أمير الشعراء شوقى - يرحمه الله -:

قم للمعلم وفه التبجيلا

كاد المعلم أن يكون رسولا

لم يكن هذا وضع المدرس المصرى فى بلده فقط ولكن كان فى كل الدول العربية لذا نجد كبار المسئولين فى مصرنا الحبيبة يتحدثون بحب وتقدير شديد عن أساتذتهم الذين تعلموا منهم السلوك الراقى والخلق الرفيع، إن هذه النخبة الرائعة من رجال التربية والتعليم فى العصر الذهبى للمدرسة المصرية كان كل واحد منهم ينفق من راتبه ويحفز طلابه المتفوقين بتقديم الهدايا لهم وفى آخر العام كان المعلم يجمع تلاميذه فى بيته أو فى المدرسة ويعيد معهم شرح المناهج بالمجان وكان يكرمهم بتقديم التحية من شاى وحلوى؛ لذا كان المدرس يدخل الفصل وكأننا نؤدى الصلاة فى المسجد حضور طاغ وثقافة رفيعة وأدب جم وهيبة يعمل لها الجميع ألف حساب حيث كان المدرس راقيا فى سلوكه ومظهره وحبه لرسالته لهذا عاش هؤلاء

العمل الجاد هو ركيزة الخلافة فى الأرض والعلم النافع هو ميزان تقدم الأمم

المعلمون المخلصون فى ضمائرنا ونضرب بهم المثل ومازلنا نذكر أياديهم البيضاء، نعم كانوا لنا القدوة الصالحة التى كانت لنا صمام أمان لحمايتنا من أى انحراف ولكن تبدل الحال اليوم فما نراه فى مجتمعنا من أحداث عنف وانفلات قيمى وأخلاقى يعكس «بكل أسف» غياب عامل مهم من عوامل بناء واستقرار المجتمع وهو «القدوة الصالحة» والتى بات الشباب فى غيابها يسيرون عشوائيا دونما هادٍ ولا دليل وهذا ما يؤكد على ضرورة القدوة الصالحة التى أكد عليها ديننا الحنيف، لقد أصاب الجفاف كل شىء عندنا بسبب غياب القدوة الصالحة حتى وصل الجفاف إلى العواطف الإنسانية والقيم النبيلة والرحمة فكلماتنا ... أصبحت جافة ونفوسنا صارت جافة وعلاقاتنا الاجتماعية أصبحت يابسة ومعاملاتنا خشنة وقاسية فلم يترك الجفاف فينا شيئا له قيمة إلا أتلفه وأفسده حتى الكلمة الطيبة التى جعلها الله صدقة أصبحت عسيرة فى نطقها فكيف يكون تبسمك فى وجه أخيك صدقة؟ لقد أصابنا جفاف فى العواطف الإنسانية الجياشة فأين العلاقات الحميمة وأين الرحمة والمودة والشفقة وإرهاب الجماعة وأخواتها يدمّر ويخرّب ويقتل دون رحمة ولا شفقة. فأين الغرائز البشرية الراقية؟ فهل ماتت فينا العواطف واندثرت؟ نرانا وقد غرقنا فى طوفان من الكلام يعوق انطلاقنا إلى العمل والبناء والتقدم فإذا كان المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف فإن سبيل القوة اليوم هو الإيجابية والإقدام لا السلبية والانسحاب ولا موضع بعد هذا لمتردد ولا مكان لعاجز ولا عذر لمتخلف وعلينا أن نعى جيدا أن لله سبحانه وتعالى فى خلقه سنن لا تتبدّل وقوانين لا يعفى أحداً منها وأن نعى أيضا أن النهضة ليست أمنية يتمناها الناس فيجابوا إليها وإنما النهضة لها شروطها التى لا تتخلف من أخذ بها وصل ومن تخلى عنها لم يصل، فيجب تحريك الهمة فرب همة أحيت أمة وهذه الهمة هى التى تنقلنا من السكون إلى الحركة ومن الانكفاء على الماضى إلى التوجه للمستقبل ومن الحيرة والإحباط إلى الأمل واتساع الرجاء، وعلى العلماء الأجلاء أن يبينوا للناس أن الله لا يتغير من أجل المسلمين ولكن يجب على المسلمين أن يتغيروا من أجل الله وصدق الله العظيم حيث يقول ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (سورة الرعد: الآية ١١)، ويقول شوقى - يرحمه الله -:

وإذا فاتك التفات إلى الماضى

فقد غاب عنك وجه التأسى

فالعمل الجاد هو ركيزة الخلافة فى الأرض والعلم النافع التكليفى التجريبى هو ميزان تقدم الأمم والاقتصاد هو أساس قوة الأمم وإن الأمم العظيمة لا تصنعها - عادة - إلا محن عظيمة لذا فإن ما تعرضت له مصر فى الآونة الأخيرة هو ابتلاء عظيم علينا أن نتقبله برضا ولنصطبر ولتكن المقاومة شعارنا بالمال والولد .. بالعلم والفن .. بالفكر والعلم وبكل ما أوتينا من قوة ورباط حتى يتحقق النصر، فهذ الجماعة الإرهابية جمعت بين الغرور الزائف والغباء السياسى الزائد، فقد كانت سببًا مباشراً فى ربط الإرهاب بالإسلام فأساءت للإسلام ومنحت الغرب الفرصة الذهبية لهذه الوصمة، وشاء الله أن يطلع الصبح السافر بعد الظلام الحالك وأن يأتى الربيع الباسم بعد الشتاء العابس، ففى مرارة الحزن تأتى بشائر الفرح والسرور، وفى نهاية النفق المظلم شاء الله عز وجل أن تبزغ شمس الفرحة بمشروع قناة السويس الجديدة، هذا المشروع القومى العملاق الذى يعيد لنا ذكرى أمجاد الأجداد ويبعث فى نفوسنا العزة والإرادة والقوة والكرامة والأهم هى روح الانتماء والتضحية من أجل الوطن وأن ما شهدناه من مظاهر

الفرح على وجوه أبناء الوطن يوم افتتاح هذا المشروع ما هو إلا تعبير عن إحياء نفوسنا بجرعة أمل وفرحة وكأنها قبلة حياة لإنسان كاد أن يكون على مشارف الموت المعنوى الذى لا برء منه حقا: إن جوع الفرحة لا يقل فى ضرره ومضاعفاته عن جوع الجسد وما أصعب أن يعيش الإنسان بلا أمل ولا عمل ولا مستقبل لأن هذا هو الموت البطىء، ونحمد الله عز وجل على ما وصلنا إليه من اكتشاف مواهبنا البشرية التى تحقق الرخاء فى غد مشرق وعلى معرفة حقيقية بخيرات أرضنا وكنوزنا التى حبانا الله بها ومن الدليل على عبقرية هذا الشعب أنه تسابق على الاكتتاب فى هذا المشروع الجديد بمجرد الإعلان عن فتح الباب لشراء شهادات صرحهم الوطنى الجديد وأعادت أجواء التزاحم أمام فروع البنوك الأربعة فى أنحاء الجمهورية مشاعر يفتقدها المصريون منذ فترة لست بالقصيرة؛ فالتلاحم من أجل هدف وطنى مشترك يضخ الأمل فى صدور أثقلها القلق من الغد.

إن هذه الروح الجديدة المفعمة بالأمل فى أول يوم للاكتتاب بوصول حصيلة الشهادات إلى ستة مليارات جنيه فى يوم واحد لهو دليل على وطنية وعبقرية هذا الشعب مما يتطلب نبذ مشاعر اليأس والإحباط وعدم الاستماع إلى دعاة الفرقة والاندفاع بكل جدٍّ وقوة من أجل غد جديد يضاف إلى ما قام به الأوائل لخدمة هذا الشعب العظيم الذى يستحق كل إنجاز وتكريم. يقول أمير الشعراء فى المصريين:

قوم وقار الدين فى أخلاقهم
والشعب ما يعتاد أو يتخلق
واستحدثت دينا فكان فضائلا
وبناء أخلاق يطول ويشهق

وما أحوج المصريين اليوم أن يقال عنهم بعد ذلك أنهم أزاحوا من اختطفوا الدين وسيّسوه لصالح مفاهيم وأهواء خاصة بهم سبق أن حذرنا الرسول الكريم والمربى العظيم من هؤلاء فقال ﷺ: «يخرج قوم من أمتى يقرءون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشىء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشىء ولا صيامكم إلى صيامهم بشىء يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية».

وفى حديث آخر ذكر لنا الرسول ﷺ أوصافهم فقال: «سيخرج قوم فى آخر الزمان حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية يقرءون القرآن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ونصبوا أنفسهم مدافعين عن الإسلام والإسلام براء منهم» إن المنهج الإسلامى فى حل مشكلات الأمة أوضحه لنا الرسول ﷺ فى قوله: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لا تضلوا بعدى أبدا: كتاب الله وسنتى» وصدق الله العظيم حيث بين لنا الطريق القويم فى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (سورة النساء: آية ٥٩).

ومسئولية التأويل هى مسئولية العلماء وأصحاب الرأى وأهل الاختصاص ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (سورة العنكبوت: الآية ٤٢).

- فهل للدم المسفوك ظلما مبرر؟
فويل لهم .. قد روّعوا شائر العباد
- فأى جزاء يرتجيه مروّعٌ
أخاه؟ أهذا يا شقى هو الجهاد؟

من كتاب تهذيب مدارج السالكين للإمام ابن قيم الجوزية

من منازل إياك نعبد وإياك نستعين: «منزلة الذكر»

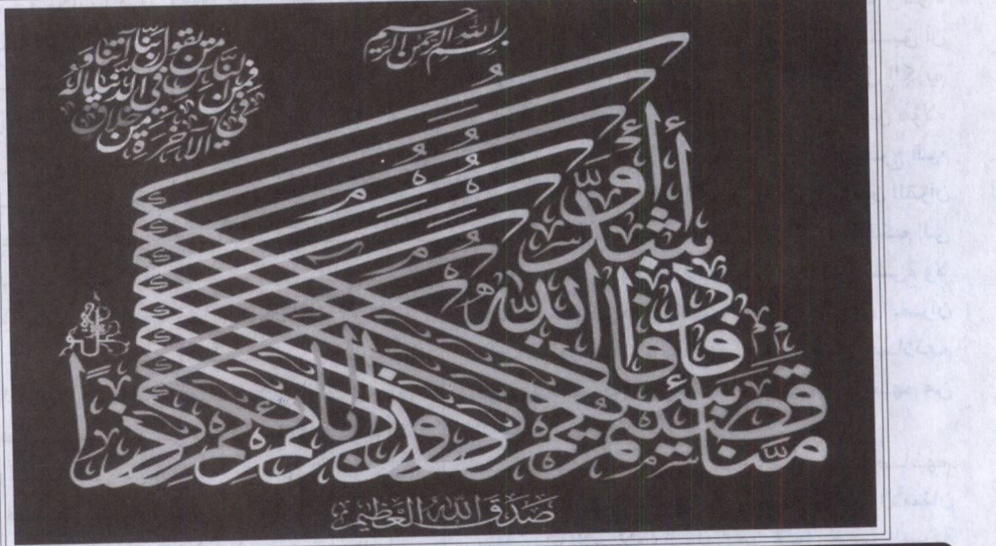

الشيخ: محمد عز الدين عبد الستار*

وهى منزلة القوم الكبرى التى منها يتزودون وفيها يتجرون وإليها دائما يترددون.

و«الذكر» منشور الولاية الذى من أعطيه اتصل ومن منعه عزل وهو قوت قلوب القوم الذى متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة ديارهم التى إذا تعطلت عنه صارت بوراً.

وهو سلاحهم الذى يقاتلون به قطاع الطريق وماؤهم الذى يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسلافهم الذى متى فارقهم انتكست منهم القلوب والسبب الواصل والعلاقة التى كانت بينهم وبين علام الغيوب.

به يستدفعون الآفات ويستكشفون الكربات وتهون عليهم به المصيبات إذا أظلهم البلاء، فإليه ملجؤهم وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التى فيها يتقلبون ورءوس أموال سعادتهم التى بها يتجرون، يدع القلب الحزين ضاحكًا مسروراً ويوصل الذاكر إلى المذكور، بل يدع الذاكر مذكوراً، وفى كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة.

و«الذكر» عبودية القلب واللسان وهى عبودية غير مؤقتة، بل هم يأتمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم فى كل حال قياماً وعلى جنوبهم، فالقلوب بور خراب وهو عمارتها وأساسها وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلاها، وكلما ازداد الذاكر فى ذكره استغراقًا ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقًا، وإذا واطأ قلبه للسانه فى ذكره نسى فى جنب ذكره كل شىء وحفظ الله عليه كل شىء

* وكيل وزارة الأوقاف لشئون الدعوة.

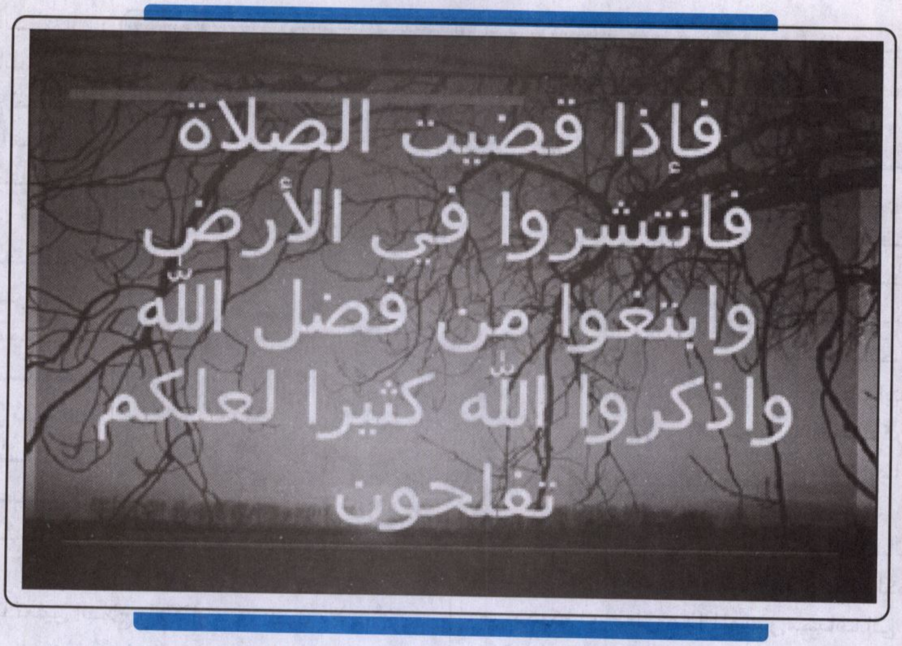

وكان له عوضا من كل شىء.

به يزول الوقر عن الأسماع والبكم عن الألسن وتتقشع الظلمة عن الأبصار.

زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زيّن بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل: كالعين العمياء والأذن الصماء، واليد الشلاء، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته.

قال الحسن البصرى - رحمه الله -: تفقدوا الحلاوة فى ثلاثة أشياء: فى الصلاة، وفى الذكر، وقراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.

وبالذكر: يصرع العبد الشيطان كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان.

وهو روح الأعمال الصالحة: فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذى لا روح فيه.

وهو فى القرآن على عشرة أوجه:

الأول: الأمر به مطلقا ومقيداً.

الثانى: النهى عن ضده من الغفلة والنسيان.

الثالث: تعليق الفلاح باستدامته وكثرته.

الرابع: الثناء على أهله والاختبار بما أعد الله لهم من الجنة والمغفرة.

الخامس: الإخبار عن خسران من لهى عنه بغيره.

السادس: أنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له.

السابع: الإخبار أنه أكبر من كل شىء.

الثامن: أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها.

التاسع: الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الانتفاع بآياته، وأنهم أولوا الألباب دون غيرهم.

العاشر: أنه جعله قرين جميع الأعمال الصالحة وروحها، فمتى فارقته كانت كالجسد بلا روح.

أما الأول: فقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا • وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً • هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: الآيات ٤١ : ٤٣).

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ (الأعراف: آية ٢٠٥).

وفيه قولان: أحدهما: فى سرك وقلبك.

والثاني: بلسانك بحيث تسمع نفسك.

وأما النهي عن ضده: فقوله: ﴿وَلاَ تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف: آية ٢٠٥)، وقوله: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ (الحشر: آية ١٩).

وأما تعليق الفلاح بالإكثار منه، فقوله: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأنفال: آية ٤٥).

وأما الثناء على أهله وحسن جزائهم فقوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: آية ٣٥).

وأما خسران من لهى عنه فقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المنافقون: آية ٩).

وأما جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له فقوله تعالى: ﴿اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: آية ١٥٢).

وأما الإخبار بأنه أكبر من كل شيء فقوله تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (العنكبوت: آية ٤٥) وفيها أربعة أقوال:

أحدها: ذكر الله أكبر من كل شيء، فهو أفضل الطاعات، لأن المقصود بالطاعات كلها: إقامة ذكره فهو سر الطاعات وروحها.

الثاني: أن المعنى: أنكم إذا ذكرتموه ذكركم، فكان ذكره لكم أكبر من ذكركم له، فعلى هذا المصدر مضاف إلى الفعل وعلى الأول: مضاف إلى المذكور.

الثالث: أن المعنى: ولذكر الله أكبر من أن يبقى معه فاحشة ومنكر، بل إذا تم الذكر: محق كل خطيئة ومعصية هذا ما ذكره المفسرون.

ولعل في الآية معنى آخر: أن الصلاة هي أكبر الذكر، فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾ (طه: آية ١٤)، وهي أكبر وأشد زجرًا عن الفحشاء والمنكر.

وأما ختم الأعمال الصالحة به: فكما ختم به عمل الصيام بقوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: آية ١٨٥).

وختم الحج في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (البقرة: آية ٢٠٠).

وختم الصلاة في قوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ (النساء: آية ١٠٣).

وختم به الجمعة في قوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: آية ١٠)، ولهذا

كان خاتمة الحياة الدنيا.

وإذا كان آخر كلام العبد: أدخله الله الجنة.

وأما اختصاص الذاكرين بالانتفاع بآياته، وهم أولو الألباب والعقول، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ● الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران: الآيتان ١٩٠، ١٩١).

وأما مصاحبته لجميع الأعمال واقترانه بها وأنه روحها فإنه سبحانه قرنه بالصلاة كقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾(طه: آية ١٤)، وقرنه بالصيام وبالحج ومناسكه، بل هو روح الحج ولبه ومقصوده، كما قال النبي ﷺ: «إنما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله تعالى».

وقرنه بالجهاد، وأمر بذكره عند ملاقاة الأقران، ومكافحة الأعداء، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأنفال: آية ٤٥).

أنواع الذكر:

وأنواع الذكر ثلاثة: ثناء، ودعاء، ورعاية.

فأما الثناء فنحو «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر».

وأما ذكر الدعاء فنحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: آية ٢٣)، و«يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث» ونحو ذلك.

وأما ذكر الرعاية: فمثل قول الذاكر: الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهدي ونحو ذلك مما يستعمل لتقوية الحضور مع الله، وفيه رعاية لمصلحة القلب ولحفظ الأدب مع الله، والتحرز من الغفلة والاعتصام من الشيطان والنفس.

والأذكار النبوية تجمع الأنواع الثلاثة: فإنها متضمنة للثناء على الله، والتعرض للدعاء والسؤال والتصريح به.

كما في الحديث: «أفضل الدعاء الحمد لله».

قيل لسفيان بن عيينة: كيف جعلها دعاء؟ قال: سمعت قول أمية بن الصلت لعبدالله بن جدعان يرجو نائله:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني
حياؤك؟ إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يومًا
كفاه من تعرضه الثناء

فهذا مخلوق بالثناء عليه من سؤاله، فكيف برب العالمين؟ والأذكار النبوية متضمنة أيضا لكمال الرعاية ومصلحة القلب، والتحرز من الغفلات، والاعتصام من الوسواس والشيطان، وفيها تعليم القلب مناجاة الرب تارة تضرعا تارة، وثناء تارة، واستعظامًا تارة، وغير ذلك من أنواع المناجاة بالسر والقلب.

من مميزات الرسول ﷺ

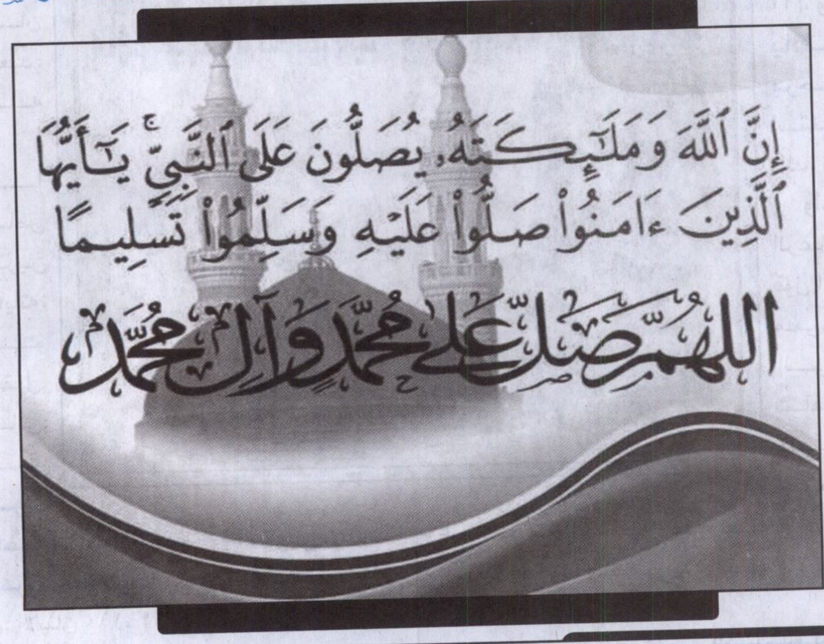

د. طه عبد السلام خضير*

بسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله وبعد، فإننا ما زلنا مع نفحات مولد النبى ﷺ وإن موضوعنا لا يزال متصلا حول كرامته ﷺ على ربه عز وجل، وما اختصه به من مميزات باقية مدى الدهر، تدل على صدق نبوته وختم رسالته.

لقد اختار الله أنبياءه من خيرة خلقه، وأكرمهم بعراقة الأصل ورجاحة العقل، وأيدهم بالمعجزات الباهرات وعصمهم من الدنايا، وحفظ ظاهرهم وباطنهم من الزلات والهفوات، وجملهم بكريم الخصال ؛ ليكونوا سفراء بينه تعالى وبين خلقه، يبلغون رسالاته ويرشدون عباده، وينفذون فى الأرض أحكامه.

ولقد أكرم الله الكثير من رسله بالخصائص والمزايا: اتخذ إبراهيم خليلا، وكلم موسى تكليما، وسخر لداود الجبال يسبحن معه والطير، وألان له الحديد، وأعطى سليمان ملكا لا ينبغى لأحد من بعده، وسخر له الجن والريح تجرى بأمره، وهذا عيسى عليه السلام يكلم الناس فى المهد، ويبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله.

أما محمد ﷺ فإن حظه من هذه المزايا أوفر، ونصيبه من هذه المكرمات أكبر.

لقد أرسله ربه إلى الناس جميعًا وكان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ: ٢٨)، بل لقد أرسله ربه إلى الجن يقول قائل الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا • يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ (الجن: ١، ٢) ونصره بالرعب

* أستاذ بجامعة الأزهر.

لم يخاطب الله نبيه باسمه مجردًا إنما كان بشرف الرسالة وعز النبوة

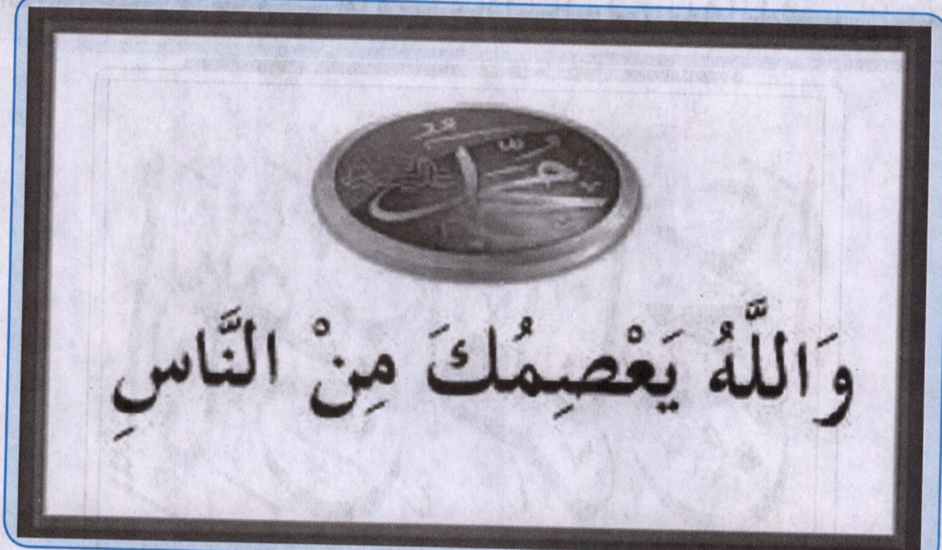

يقذفه الله فى قلوب أعدائه وبينه وبينهم مسيرة شهر وأعطاه جوامع الكلم، وأحلت له الغنائم وما أحلت لنبى قبله، ولقد شرح الله لمحمد صدره، ورفع له ذكره، وقرن اسمه باسمه فى كثير من الأمور : فى قبول الإيمان، فلا يقبل إسلام امرئ حتى يشهد له بالرسالة، بعد أن يشهد لربه بالتوحيد وفى الطاعة والاستجابة يقول تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ٣٢) ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ (الأنفال: ٢٤) وفى الفرائض والأحكام: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ (التوبة: ٢٩) وفى التفضل والإنعام: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ (الأحزاب: ٣٧) كما قرن اسمه باسمه تعالى فى الوعد والوعيد: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ● وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (النساء: ١٣، ١٤).

ومما اختص الله تعالى به رسوله محمدا ﷺ، وامتاز به على سائر الأنبياء أن الله تعالى لم يخاطبه باسمه المجرد كما كان ذلك مع سائر الأنبياء قبله، بل لقد كان كل نبى يخاطبه الله باسمه: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة: ٣٥) ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا﴾ (هود: ٤٨) ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ● قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ (الصافات: ١٠٤، ١٠٥) ﴿يَا مُوسَى إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِى وَبِكَلَامِى﴾ (الأعراف: ١٤٤) ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ (مريم: ٧) ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ (مريم: ١٢) ﴿يَا عِيسَى إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (آل عمران: ٥٥).

أما خاتمهم ﷺ فلم يكن الخطاب إليه باسمه المجرد، وإنما كان بشرف الرسالة وعز النبوة، فيقول

رفع الله نبيه منزلة عظمى وكلما رماه قومه بالأباطيل وافتروا عليه الأكاذيب تولى الله الدفاع عنه

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ (المائدة: ٤١)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥).

أيها المسلم الكريم:

مما اختص الله به نبي هذه الأمة وخاتم الأنبياء أن الله دافع عن حبيبه ومصطفاه، فقد كان كل نبي يلصق به قومه الاتهامات الباطلة؛ فيدافع عن نفسه، فهذا نوح اتهمه قومه بالضلال، كما يحكي القرآن، حيث قالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الأعراف: ٦٠)، فدافع نوح عن نفسه قائلا: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٦١)، وهذا هود عليه السلام، اتهمه قومه بالسفاهة والجنون والكذب؛ إذ قالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (الأعراف: ٦٦)، فدافع عن نفسه قائلا: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٦٧)، وهذا فرعون يقول لموسى: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ (الإسراء: ١٠١)، فيرد عليه موسى قائلا: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ (الإسراء: ١٠٢).

أما خاتم الأنبياء ﷺ فكان كلما رماه قومه بالأباطيل، وافتروا عليه الأكاذيب، تولى الله الدفاع عنه، اتهمه قومه بأنه شاعر أو كاهن فدافع عنه ربه قائلا: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (يس: ٦٩)، وقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ • وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ • وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ • تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الحاقة: ٤٠ : ٤٣)، واتهموه بالضلال والانحراف فدافع عنه ربه قائلا: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى • مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ (النجم: ١ :٢)، ورموه بالجنون فقال ربه عز وجل: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ • مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ (القلم: ١، ٢)، بل لقد تظاهر عليه بعض زوجاته بدافع الحب

قال الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ ﴾

سورة الأحزاب

والغيرة فدافع عنه ربه بقوله: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحريم: ٤)، ثم يبلغ التهديد أقصاه فيقول تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ (التحريم: ٥).

ولقد رفع الله نبيه منزلة عظمى إذ أخذ له من النبيين العهد والميثاق على أنهم إذا أدركوه جميعًا أو أحدهم ليؤمنن به ولينصرنه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾ (آل عمران: ٨١)، فزاد العهد شرفا والميثاق قوة فقال: ﴿فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٨١).

ولقد عصمه الله من كيد الناس فقال له: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧)، ويكفيه شرفًا وفخرًا وتكريمًا وتفضيلاً أنه وصفه ربه بالنور: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (المائدة: ١٥)، وقال: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٦)، أقسم بحياته فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر: ٧٢)، وصلى هو وملائكته على ذاته فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ وأوجب ذلك على المؤمنين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)، ثم هو يوم القيامة أول من تنشق الأرض عنه وأول شافع وأول مشفع وصاحب اللواء المعقود والمقام المحمود وصاحب الحوض المورود، هذا فضلا عن المعجزات الباهرات والعطاء غير المحدود في قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى • وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (الضحى: ٤، ٥) وفى ذلك يقول القائل :

وكم لك معجزات باهرات
كضوء الشمس ليس لها خفاء
وأخلاق تطيب بها القوافى
ويحلو المدح فيها والثناء
خلقت مبرءًا من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء
قرأنا فى الضحى ولسوف ترضى
فسر قلوبنا ذاك العطاء

فليعرف المسلمون لرسولهم قدره وليهتدوا بهديه وليحيوا سنته عسى أن يكونوا من المفلحين وفقنا الله لما يحبه ويرضاه .

إن هذا الدين يسر

د. عبدالفتاح محمود إدريس*

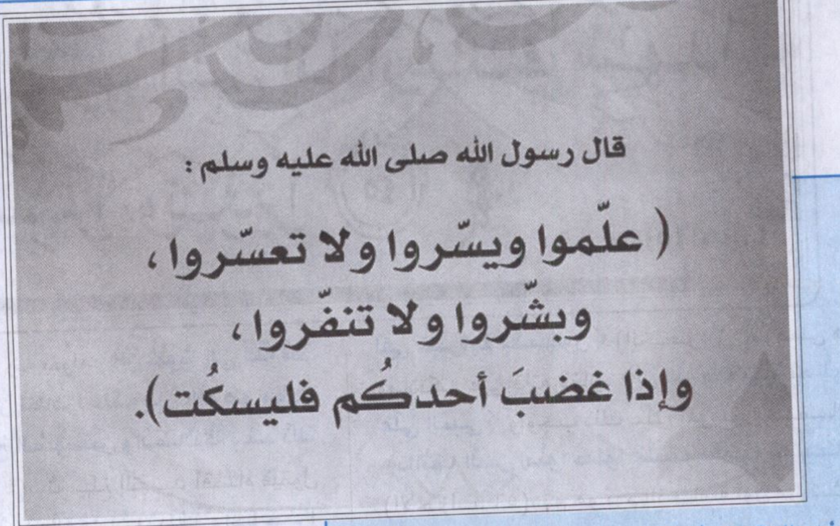

أراد الله تعالى أن يكون الدين الإسلامى دين يسر لكل من اتبعه، والتزم بأحكامه، ومظاهر يسر الدين الإسلامى أكثر من أن تتضمنها هذه العجالة السريعة، لكن أبرز ما وسعنى من جوانب يسر هذا الدين، والذى ينبغى التنبيه إليه أن يسر هذا الدين ليس شعارا يردده أتباعه لترغيب الناس فيه، ولكنه واقع ملموس من تعاليمه وأحكامه ومبادئه السمحة، وأصدر هذا بما روى عن الصادق المصدوق ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى؛ إذ يقول عن هذا الدين، فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة»(١).

وأول مظاهر هذا اليسر عدم افتقار معتنقه إلى طقوس معينة للدخول فيه، إذ يكفيه النطق بالشهادتين، فقد روى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله عصم منى ماله ونفسه، إلا بحقه وحسابه على الله»(٢)، وأنه إذا ما دخل فى الإسلام فقد غفر له ما اقترفه من سيئات قبل إسلامه.

فقد روى عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «أتيت النبى ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه فقبضت يدى، قال: مالك يا عمرو؟ قال: قلت: أردت أن أشترط قال: تشترط بماذا؟ قلت أن يغفر لى، قال: أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله»(٣)، والتيسير على أتباع هذا الدين مقصد شرعى، يدل على هذا قول الحق سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: آية ١٨٥)، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: آية ٧٨)، فقد روى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين أحدهما أيسر من الآخر، إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه»(٤).

* أستاذ الفقه المقارن بكلية الشريعة ـ جامعة الأزهر

شرعت الرخص المختلفة للتيسير على المكلفين وبيان عظمة الإسلام فى دعوة الناس للدين العظيم

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾

سورة النحل

وكان رسول الله ﷺ يحض أصحابه على التيسير على الناس، فقد روى عن أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»(٥). وروى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»(٦)، ولذا شرعت الرخص المختلفة للتيسير على المكلفين إذا وجد السبب المرخص، والتى منها: رخصة الفطر فى رمضان للسفر والمرض، يقول الحق سبحانه: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (البقرة: آية ١٨٥)، ورخصة الجمع بين الصلاتين للمرض والسفر والمطر، فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «صلى رسول الله ﷺ الظهر والعصر جميعا بالمدينة من غير خوف ولا سفر فسئل ابن عباس عن ذلك فقال: أراد أن لا يحرج أحدا من أمته»(٧)، وروى عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «جمع رسول الله ﷺ بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة من غير خوف ولا مطر، فقال وكيع: قلت لابن عباس: لم فعل ذلك ؟، قال: كى لا يحرج أمته»(٨)، وروى عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر إلى وقت العصر، ثم نزل فجمع بينهما، فإن زاغت الشمس قبل أن يرتحل، صلى الظهر ثم ركب»(٩) وروى عن أنس رضي الله عنه قال: «كان النبى ﷺ إذا أراد أن يجمع بين الوقوف فى السفر، أخر الظهر حتى يدخل أول وقت العصر ثم يجمع بينهما»(١٠) ورخصة قصر الرباعية فى السفر، إذ قال الحق سبحانه: ﴿ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾(النساء: آية ١٠١)، وروى عن يعلى بن أمية أن عمر رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: «ما بالنا نقصر الصلاة وقد أمنا؟، فقال: هى صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته»(١١)، ورخصة التناول من المحرم عند الاضطرار إليه، فقد قال الحق سبحانه: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة: آية ٣)، وقال تعالى: ﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ

اليسر علامة مضيئة فى الإسلام ودليل على أن الخالق الوهاب يأمر بالعدل والإحسان

اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام: آية ١٤٥)، ورخصة فعل المحرم عند الإكراه عليه، ومن ذلك النطق بكلمة الكفر عند الإكراه عليها فى قول الله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (النحل: آية ١٠٦)، وروى عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل تجاوز لأمتى عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»(١٢) والتيمم عند فقد الماء أو تعذر استعماله، فقد قال الحق سبحانه: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ (المائدة: آية ٦)، وروى عن أبى ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الصعيد الطيب طهور المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين، فإذا وجد الماء فليمسه بشرته فإن ذلك خير»(١٣)، ورخصة المسح على الخفاف وعلى الحوائل الطبية بالماء عند الاغتسال أو الوضوء، بدلا من غسل الموضع الذى وضعت عليه عند إزالة الحدث، فقد روى عن المغيرة ابن شعبة رضي الله عنه قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ فأمرنا بالمسح على الخفين ثلاثة أيام ولياليها للمسافر، ويوما وليلة للمقيم ما لم يخلع»(١٤)، وروى عن ثوبان رضي الله عنه قال: «بعث رسول الله ﷺ سرية فأصابهم البرد، فلما قدموا على رسول الله ﷺ أمرهم أن يمسحوا على العصائب والتساخين»(١٥)، والتنفل على وسيلة الانتقال فى السفر أيا كان توجهها، روى عن ابن عمر رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يصلى بالليل على راحلته فى السفر شرقا وغربا يومئ إيماء، ويوتر عليها وكان لا يصلى عليها المكتوبة»(١٦)، والترخيص لمن يعجز عن القيام فى الصلاة أو الركوع أو السجود فيها، بالصلاة على الهيئة التى يتمكن معها من الإتيان بالصلاة، دون إجباره على ضرورة القيام فيها أو الإتيان بالركوع أو السجود، مع أن الإتيان بذلك من أركان الصلاة، فقد

روى عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: «كانت بى بواسير فسألت النبى ﷺ عن الصلاة؟، فقال: صل قائما، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلى جنب»(١٧)، إلى غير ذلك من الرخص التى هى وسائل الشارع لرفع الحرج والضيق عن المكلفين والتيسير عليهم فيما كلفوا به، وقد كان منهج الرسول الكريم ﷺ التيسير على الناس ما وسعه ذلك، فقد كان يتجوز فى صلاته إشفاقا على بعض الناس من طول القراءة فيها، فروى عن أبى قتادة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إنى لأقوم فى الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه»(١٨)، وقد نهى معاذ بن جبل رضي الله عنه عن طول القراءة فيها، إذ روى عن جابر رضي الله عنه قال: «كان معاذ يصلى مع النبى ﷺ ثم يأتى فيؤم قومه، فصلى ليلة مع النبى ﷺ العشاء ثم أتى قومه فأمهم فافتتح بسورة البقرة فانحرف أحدهم، ثم صلى وحده وانصرف، فقالوا له: أنافقت يا فلان؟، قال لا والله ولآتين رسول الله ﷺ فلأخبرنه، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إنا أصحاب نواضح نعمل بالنهار، وإن معاذا صلى معك العشاء ثم أتى فافتتح بسورة البقرة، فأقبل رسول الله ﷺ على معاذ فقال: «يا معاذ أفتان أنت اقرأ بكذا واقرأ بكذا»، وفى رواية أخرى: «فلولا صليت بـ «سبح اسم ربك»، و«الشمس وضحاها»، و «الليل إذا يغشى»، فإنه يصلى وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة»(١٩)، وروى عن أبى مسعود رضي الله عنه قال: «قال رجل يا رسول الله إنى لأتأخر عن الصلاة فى الفجر مما يطيل بنا فلان فيها، فغضب رسول الله ﷺ ما رأيته غضب فى موضع كان أشد غضبا منه يومئذ، ثم قال: «يا أيها الناس إن منكم منفرين فمن أم الناس فليتجوز فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة»(٢٠)، ومن مظاهر

يسر هذا الدين كذلك: التخفيف فى القراءة فى قيام الليل بقراءة ما تيسر لمن يقومه من القرآن، وذلك للأعذار التى تكتنف من يقومونه، والتى تقتضى التخفيف عليهم فى ذلك، وقد بينها الحق سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ (المزمل: آية ٢٠)، ومن مظاهر هذا اليسر التخفيف على المكلفين فى قضاء ديون الله تعالى عليهم، ومن ذلك التيسير فى قضاء ما أفطر من رمضان، بحيث يكون لمن يقضى أيام فطره أن يفرق فى القضاء حتى يوفى حق الله عليه، عن محمد بن المنكدر قال: «بلغنى أن رسول الله ﷺ سئل عن تقطيع قضاء صيام شهر رمضان؟، فقال: «ذلك إليك، أرأيت لو كان على أحدكم دين فقضى الدرهم والدرهمين ألم يكن قضاء، فالله أحق أن يعفو ويغفر»(٢١) إلى غير ذلك من المظاهر التى تؤكد يسر هذا الدين، والتى يضيق المقام عن ذكرها.

الهوامش:

١ - أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٣/١.

٢ - أخرجه مسلم فى صحيحه ٥٢/١ .

٣ - أخرجه مسلم فى صحيحه ١١٢/١ .

٤ - أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما (صحيح البخارى ١٣٠٦/٣، صحيح مسلم ١٨١٣/٤).

٥ - أخرجه الشيخان فى صحيحيهما (صحيح البخارى ٣٨/١، صحيح مسلم ١٣٥٩/٣).

٦ - أخرجه البخارى فى صحيحه ٨٩/١ .

٧ - أخرجه مسلم فى صحيحه ٤٩٠/١ .

٨ - المصدر السابق .

٩ - المصدر السابق ٤٨٩/١ .

١٠ - المصدر السابق .

١١ - أخرجه مسلم فى صحيحه ٢٧٨/١ .

١٢ - أخرجه الحاكم فى المستدرك، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأخرجه أبو عوانة فى مسنده والطبرانى فى معاجمه الثلاثة، وابن ماجة والدارقطنى فى سننيهما (المستدرك ٢١٦/٢، مسند أبى عوانة ٧٤/١، المعجم الكبير ٩٧/٢، المعجم الأوسط ١٦١/٨، المعجم الصغير ٥٢/٢، سنن الدارقطنى ١٧٠/٤، سنن ابن ماجة ٦٥٩/١).

١٣ - أخرجه ابن حبان فى صحيحه، والحاكم فى المستدرك وسكت عنه، والترمذى والبيهقى والدارقطنى وأبو داود فى سننهم وسكتوا عنه (صحيح ابن حبان ١٤/٤ المستدرك ٢٨٤/١، سنن الترمذى ٢١٢/١، السنن الكبرى ٧/١، سنن الدارقطنى ١٨٦/١، سنن أبى داود ٩١/١) .

١٤ - أخرجه البيهقى والدارقطنى وابن ماجة فى سننهم، والبزار وأبو يعلى، بإسناد حسن (السنن الكبرى ٢٩٠/١، سنن الدارقطنى ١٩٥/١، سنن ابن ماجة ١٨٣/١، الدراية ٧٢/١).

١٥ - أخرجه أحمد والرويانى والطبرانى فى مسانيدهم، والحاكم فى المستدرك، والبيهقى وأبو داود فى سننيهما، وقال أبو داود: رجال هذا الحديث ثقات مرضيون (مسند أحمد ٢٧٧/٥، مسند الرويانى ٤٢٠/١ مسند الشاميين ٢٧٤/١، السنن الكبرى ٦٢/١، سنن أبى داود ٣٦/١، تلخيص الحبير ٨٩/١، الدراية ٧٢/١).

١٦ - أخرجه مسلم فى صحيحه ٤٨٧/١ .

١٧ - أخرجه البخارى فى صحيحه ٣٧٦/١ .

١٨ - أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما (صحيح البخارى ٢٥٠/١، صحيح مسلم ٣٤٣/١).

١٩ - أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما (صحيح البخارى ٢٤٩/١، صحيح مسلم ٣٣٩/١).

٢٠ - أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٤٩/١ .

٢١ - أخرجه البيهقى والدارقطنى فى سننيهما والطبرانى فى الكبير والأوسط بإسناد حسن (السنن الكبرى ٢٥٩/٤، سنن الدارقطنى ١٩٤/٢، المعجم الكبير ١٥٠/٧، المعجم الأوسط ٢٩/٧، تلخيص الحبير ٢٠٦/٢).

أهمية التدبر للمسألة الإيمانية

اعتمد كتاب ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ فى برهنته على صدق رسول الله ﷺ فى دعوته ونبوته على العقل الإنسانى وما يستخلصه من فهمه واستيعابه للقرآن الكريم كنص به إعجاز بلاغى، وإعجاز علمى، وإعجاز فى تنبؤه بقضايا تقع فى المستقبل، وإعجاز فى إخباره عن الماضى السحيق حيث تكلم القرآن الكريم فى قضايا ومسائل لم يكن للنبى ﷺ أن يتحدث فيها بقول أو يقول فيها برأى لو لم يكن مدعومًا بوحى السماء.. من ثم فقد أوصى القرآن بتدبره وتأمله على النحو الذى سنشير إليه لاحقًا.

﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين * فلما جنَّ عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين * فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين * فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون * إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾ (الأنعام: ٧٥ ـ ٧٩)

د. أمان محمد عبد المؤمن قحيف

والحق أن هذا الأمر يوضح لنا ثقة القرآن الكريم فى أنه لا توجد به تناقضات ولا يحتوى بين دفتيه على مغالطات عكس ما يتبين لنا من خلال تحليل ودراسة إبداع العديد من المثقفين والمفكرين الكبار. والدليل على ذلك أن مطالعتنا لمؤلفات كبار فلاسفة الدنيا وعباقرة التاريخ تكشف لنا النقاب عن وجود العديد من نقاط الاختلاف والتناقض أو الهشاشة الفكرية - عند كثير منهم - فى بعض المواضع.

فلو توقفنا مثلاً مع الفيلسوف اليونانى الذى وضعه الفلاسفة على رأس كبار المفكرين وأطلقوا عليه المعلم الأول «أرسطو طاليس» الذى نعترف له بأنه فيلسوف الدنيا الأكبر، ونقر له بمكانته التى لا ينكرها إلا جاهل معرفيًا أو غافل فكريًا، ونؤكد أنه فيلسوف عظيم، وعقل جبار ما فى ذلك من شك ولا ريب، وعندنا أن من ينكر مكانة أرسطو فى الفلسفة هو كمن ينكر دور الماء فى رى الجسد الإنسانى. إن

* باحث وكاتب إسلامى.

فضل أرسطو على الفكر والمفكرين، لاسيما فى علم المنطق هو فضل وجود، بمعنى أنه إن لم يوجد أرسطو ما وُجِدَ التفكير المنطقى، أو فى أحسن الحالات لتأخرت صياغة علم التفكير العقلانى المنطقى ربما إلى بضعة قرون، ولحرمت الإنسانية من التقدم الفكرى الحضارى المنظم والتفكير العقلانى المستنير عشرات وربما مئات السنين.

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا

هذا قولنا فى أرسطو، وهذا رأينا فى مكانته. غير أن ذلك لا يمنع البتة من تناول فكر مفكرنا وفلسفة فيلسوفنا بالنقد والتحليل كيما تتطور الأفكار وتتعدد الرؤى .

الفكر البشرى أيّا كان مصدره لابد أنك تجد فيه بعض الثغرات والهنّات لا محالة

وإذا كان المقام ليس مقام تقديم رؤية نقدية عن فيلسوف أثينا وكبير المفكرين فى تاريخ الأفكار غير أن الأمر يقتضى فقط تناول جزئية معينة تخدم قضيتنا وهى البرهنة على أن الفكر البشرى أيّا ما كان مصدره وأيا ما كانت عبقرية مبدعه ومؤلفه لابد أنك واجد فيه بعض الثغرات والهنات لا محالة أو على الأقل نقاط هشة لا تصمد أمام العقلانية والتفكير السليم.

لقد ذهب أرسطو فيلسوف الحضارة اليونانية الكبير بأن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ خلق العالم، لكنه تركه ولم يقم على إدارته أو تدبيره، وإذا سألناه : كيف يتحرك العالم؟ أفادتنا فلسفته أن العالم يتحرك ذاتيّا، أى أنه يُحرك ذاته، غير أنه يتحرك شوقًا ومحبة وتطلعًا إلى الله تعالى!

والحق أننا نرى فى تلكم الرؤية قدرًا ملحوظًا من الضعف والهشاشة، ولنسأل أرسطو العظيم: إذا كان الله قد خلق الكون وتركه، فما السبب فى إيجاده له من الأصل؟ إن كل فعل له غاية وهدف، فما الهدف الذى ابتغى الله ـ عز وجل ـ تحقيقه من إيجاده لهذا الوجود الذى انتهت علاقته به عند حدود مرحلة الخلق والإيجاد؟ وإذا وُجِد هذا الهدف فهل يقتضى تحقيقه أن يدبر الله أمر هذا العالم أم يمكن أن يتحقق هذا الهدف دون تدبير إلهى ورعاية سماوية؟! هذه واحدة، أما الثانية فهى: هل يصلح إله هذا الذى يخلق العالم ثم يترك إدارته وتدبيره لغيره؟ ألا يُعد إله أرسطو ـ على هذا النحو ـ إلهًا منزوع الصلاحية ومعدوم الفعالية؟ أما الثالثة: فتتمثل فى كون العلم الحديث قد كشف النقاب عن خطأ العديد من الآراء العلمية التى قال بها أرسطو سواء فى مجال الآثار العلوية (الفلك) أم فى مجال دراسته للحيوانات والطبيعيات.

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ *
ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾

(الملك: ٣ : ٤)

نحن لا نقول بهذا لنعيب على أرسطو إبداعه، لكن نقوله من باب البرهنة على أن الفكر البشرى قاصر بطبيعته، ولا يمكنه بحال أن يغطى مختلف قضايا الوجود البشرى دون وجود نقاط تقصير، أو اختلافات أو تناقضات، أو هشاشة فكرية، أو تأثر بالبيئة المحلية أو الأجواء الثقافية التى تربى فيها صاحب الإبداع.

لقد تفلسف أرسطو واجتهد واستفرغ جهده وأبدع ما أبدع فى إطار ما كان متاحًا فى زمانه من آليات التفكير وقدرات معرفية، وقبل هذا وبعده إنه تفلسف فى إطار كونه بشرًا.

ولما كان القرآن الكريم قد تناول كل تلك القضايا التى تتعلق بخلق الله تعالى لهذا الكون وقيامه على تدبيره وتنظيم حركته وحللها وعالجها بمنهج إلهى متفرد لم تطله عقول السابقين ولم تدركه أفهام المتقدمين. ولما كان العلم الحديث قد تقدم بشكل مذهل وصورة مدهشة، ولما كان البحث المعملى التجريبى المعاصر قد توصل فى العديد من الأبحاث إلى نتائج تتوافق من حيث إطارها العام، مع ما ورد فى القرآن الكريم، ولم يُثبت العلم الحديث - رغم تقدمه الرهيب - أن معلومة واحدة فى القرآن الكريم جاءت على غير ما هو حقيقى وواقعى وصحيح ومتعين فى هذا الكون الفسيح، فحق لنا أن نقول: بأن القرآن الكريم هو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. وأنه منزَّل من عند الله تبارك وتعالى وإلا لكنا قد وقفنا على وجود مناطق ضعيفة أو هشة أو متناقضة فيه، وصدق الله تعالى القائل: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢). وصدق الله العظيم القائل: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤).

من هنا فقد تبين لنا أمران:

أولهما: إن القرآن الكريم مُنَزَّل من عند الله تعالى بدليل أنه لا توجد به اختلافات أو تناقضات أو مناطق بها هشاشة فى الطرح والتناول والمعالجة الفكرية، كما لاحظنا ذلك فى الإنتاج الفكرى لكبار فلاسفة الدنيا وعباقرة التاريخ.

ثانيهما: إن القرآن الكريم لا يرفض تساؤلات المتسائلين ولا حتى اعتراض المعترضين أو شكوك المتشككين إذا كان ذلك يحدث بهدف الوصول إلى الحقيقة وإدراك اليقين.. والقرآن يحض الناس على تأمله وتدبره مشيرًا إلى أنه لو لم يكن منزلاً لكان فيه قدر كبير من الاختلاف والتناقض والتباين، نظرًا لتعدد سوره وكثرة آياته، وضخامة وعظم الموضوعات والقضايا التى تناولها من حيث أبعادها التاريخية والعقدية والاجتماعية، قال تعالى:﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

والحق الذى لا مرية فيه أنه لو كان النبى ﷺ هو من ألَّف القرآن الكريم وزعم أنه مُنزل عليه كما

طلب القرآن الكريم من المؤمنين به أن يتدبروه ويقفوا على أوجه العظمة فيه

يتوهم الماديون لوقع فى الكتاب الكريم العديد والعديد من التناقضات والاختلافات الكثيرة والمتعددة؛ لأن القرآن تناول من القضايا ما يعجز أى عقل عن معالجته وبيانه دون الوقوع فى تناقضات، أو اختلافات، أو أخطاء، أو مغالطات؛ فهو قد تناول قضايا الألوهية، والنبوة، والملائكة، وقصة الخلق، وعالم الغيب، وقصص الأنبياء، وتاريخ كثير من الأمم. مشيرًا إلى بعض القضايا فى علوم الطب والفلك والزراعة والأحياء. وتحدث عن البحار ومياهها، والأمطار ومسبباتها، والرياح وتحركاتها، وتنبأ ببعض الموضوعات المستقبلية والأحداث الحربية والتاريخية والسياسية التى لم تكن معلومة للناس وقتذاك، وتكلم عن العقول وتصاريفها، والنفوس ووظائفها وأنواعها، وتناول العقيدة ومكوناتها، والمعاملات وحيثياتها، والشريعة ومقاصدها، والآداب ومراميها وأهدافها.

كل هذا التنوع الزاخر والتعدد اللانهائى من التفصيلات والموضوعات والقضايا ورد الحديث عنه فى القرآن الكريم، ولم تقف العقول الإنسانية بما فيها عقول الخصوم على تناقض واحد، أو اختلاف واضح فى الطرح والتصور والمعالجة بين قضاياه على كثرتها البائنة وتنوعها الملموس!! .. الأمر الذى يثبت ويبرهن على علوية مصدر القرآن الكريم وعلى إتيانه من عقل كلى أسمى وأعلى وأقدر من العقل الإنسانى .

والحق الذى لا مرية فيه أن المتصفح لكتاب الله تعالى بأجزائه الثلاثين لا يقف فيه على آية واحدة تدعو إلى كبح جماح العقل البشرى أو تعطله عن ممارسة وظيفته التى خلقه الله تعالى من أجلها ألا وهى التدبر والتأمل والبحث والتنقيب، من أجل أن يدرك الإنسان صحة القضية الإيمانية وسلامة العقيدة الإسلامية .

ولم يكتف القرآن الكريم بإباحة التدبر والتأمل فى كتاب الله تعالى، وكذا كونه الفسيح، بل ذهب إلى أبعد من هذا حينما أمر العقل الإنسانى بأن ينظر فى جنبات الكون وأركان الوجود، مؤكدًا له أنه لن يستطيع الوقوف على خطأ واحد أو على شكل واحد من أشكال الخلل فى خلق الموجودات، كل الموجودات.. وصدق الله العظيم القائل: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ • ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (الملك: ٣،٤).

وإذا كان القرآن الكريم قد طلب من المؤمنين به، ومن غيرهم، أن يتدبروه ويحاولوا الوقوف على أوجه العظمة فيه، وأمرهم كذلك أن ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض، فإن أنبياء الله تعالى السابقين قد مارسوا التأمل، والتدبر، والتفكر ما فى ذلك من شك .. ولا يخفى علينا صور التفكر والتدبر العديدة التى رواها القرآن الكريم عن سيدنا إبراهيم أبى الأنبياء عليه السلام .. قال ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ فى سورة الأنعام: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ • فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ • فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ • فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ • إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ٧٥ : ٧٩)

وإذا كان القرآن الكريم قد حض العقل الإنسانى على التدبر والتفكر فذلك راجع لكون الإيمان القائم على الوعى الدينى الحقيقى يكون إيمانًا صادقًا قويًا لا تؤثر فيه الشبهات ولا تعتريه الشكوك.

بسم الله الرحمن الرحيم

(ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف)

صدق الله العظيم

النساء شقائق الرجال

إعداد : د/ إلهام شاهين

- دور المرأة كزوجة فى الإسلام
- «تعلمت منها» أسماء بنت عميس
- فقه المرأة المسلمة

للتواصل مع الباب يرجى المراسلة على العنوان الآتى :

E- mail Address : Islamic _council _eg @ yahoo.com

أو العنوان البريدى : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٩ ش النباتات - جاردن سيتى

فاكس المجلة : ٢٧٩٥٨٦٦٣ - ٢٧٩٥٨٦٦٢

دور المرأة كزوجة فى الإسلام

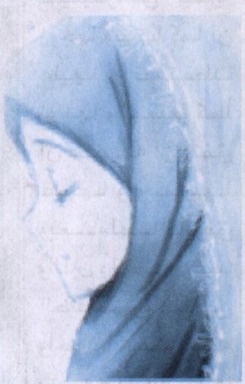

فى صدر الإسلام نماذج عديدة مشرفة للمرأة كزوجة، حيث رافقت زوجها فكانت خير رفيق مسترشدة بمبادئ الإسلام التى أمر الله بها فى كل أحوالها، من ذلك قوله تعالى حاضًا على المودة والرحمة والأمانة بينهما: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (سورة النساء الآية ١) ويقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ (سورة الأعراف الآية ١٨٩).

د. سامية منيسى

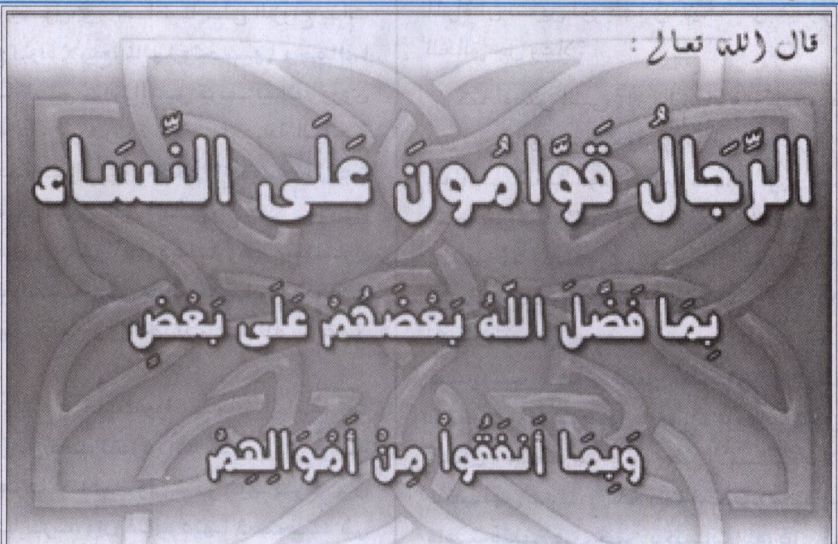

ويقول جل وعلا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الروم الآية ٢١)، فكل منهما سكن ومودة ورحمة للآخر، وستر له ومانع للحرام. يقول تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ (سورة البقرة الآية ١٨٧).

ويقول تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (سورة النساء الآية ٣٤) فالرجل له القوامة على المرأة؛ لأنه قائد الأسرة والمسئول عنها، مقابل ذلك على الزوجة واجبات: أن تحفظ غيبته وتحفظ ماله وأولاده يقول تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ

﴿حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (سورة النساء الآية ٣٤). كما أن للزوجة دورًا عظيمًا فى تذكير زوجها بالحلال والحرام للبعد عن الغواية والشيطان وكذلك الزوج ولتأثير الزوجة على زوجها وأولادها أثر كبير فى الأسرة والمجتمع أيضًا؛ لذا فقد كان فى حديث رسول الله ﷺ ما يشير إلى الدور المثالى للزوجة المتمسكة بأهداب الدين؛ لذلك يقول ﷺ حاضًا على الزواج بذات الدين: **«تنكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»** وروى الحديث عنه ﷺ أبو هريرة رضي الله عنه. ولرعاية الزوجة لبيتها وزوجها يقول ﷺ: **«كلكم راع ومسئول عن رعيته فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهى مسئولة عنهم»** وقد روى الحديث عبدالله بن عمر عن النبى ﷺ.

كما قال ﷺ فى حديث رواه عنه أبو أمامة: **«ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرًا من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته فى نفسها وماله»** والهدف فى قوله نصحته فى نفسها أى حفظت عرضه فى غيابه.

ومقابل قوامة الرجل على بيته ينبغى أن يعامل زوجته بالحسنى، ففى حديث رسول الله ﷺ رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه قال: **«أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم خلقًا»**. كما قال ﷺ: **«خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى»** رواه ابن عباس رضى الله عنهما.

وبذلك أعطى الإسلام المرأة دورًا كبيرًا فى رعاية زوجها وبيتها كما أن عليها أن تستقطب زوجها وتسعده، كما أن عليه أن ينفق عليها ويحميها ويعاملها بالرفق واللين والحزم عند الضرورة فمن واجباتها حفظ غيبته وشرفه وماله ودينه، فخير متاع الحياة الدنيا المرأة الصالحة وقد أمر ﷺ المرأة أن تتزين لزوجها وتطيعه فى غير معصية للخالق جل وعلا.

كما أوصى النبى ﷺ بالنساء فى كل موقف، حتى فى حجة الوداع: **«استوصوا بالنساء خيرًا»** ومن ذلك قوله فى حجة الوداع: **«أما بعد... أيها الناس فإن لكم على نسائكم حقًا، ولهن عليكم حقًا، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع، وتضربوهن ضربًا غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنهن عندكم عوان** - جمع عانية، وهى الأسيرة - **لا يملكن لأنفسهن شيئًا، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولى، فإنى قد بلغت..»** لذلك كانت المرأة على وعى تام بدورها فى هذا الصدد، وكانت المرأة الصحابية تحاول أن تعرف دورها تمامًا من النبى ﷺ، من خلال لقائها بالنبى ﷺ فى المسجد، ومنه ما روى عن أسماء بنت يزيد الأشهلية الأنصارية، ومندوبة النساء إليه ﷺ تسأله قائلة: بأبى وأمى يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، إن الله -عز وجل- بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمنا بك

أعطى الإسلام المرأة دوراً كبيراً فى رعاية زوجها وطاعته فى غير معصية للخالق جل وعلا

وبإلهك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقتضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله عز وجل، وإن الرجل إذا خرج حاجًّا أو معتمراً أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، أفنشارككم فى هذا الأجر والخير، فرد عليها معجبًا بسؤالها، قائلاً: «افهمى أيتها المرأة، وأعلمى من خلفك من النساء، أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلب مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله» فانصرفت أسماء وهى تهلل وتكبر وقد أعلمت النساء مدى حقوقهن وواجباتهن تجاه أزواجهن.

وفى صدر الإسلام نماذج عديدة من النساء اللاتى كن سكنًا ومودة ومؤازرة لأزواجهن، فمنهن: أم المؤمنين خديجة -رضى الله عنها- التى آزرت رسول الله ﷺ منذ الوهلة الأولى لنزول الوحى على قلبه، وحتى لاقت ربها، بعد أن حوصرت معه ومع المسلمين فى شعب أبى طالب، وأنفقت مالها كله فى سبيل الله؛ لذا فقد قال ﷺ فى شأنها: «آمنت بى إذ كفر الناس، وصدقتنى وكذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله منها أولاداً إذ حرمنى النساء»، لذا فقد بشرها الله تعالى ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب؛ أى لا تعب فيه ولا ضوضاء. كما جعلها النبى ﷺ ضمن أربعة هن خير نساء العالمين: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد، فهى نعم الزوجة للرسول ﷺ ونعم الأم.

كذلك كان لفاطمة بنت محمد رضى الله عنها، دور بارز فى الرعاية لبيتها وأبنائها وزوجها، كذلك كن أخواتها: زينب، ورقية، وأم كلثوم، نعم الزوجات لأزواجهن.

أما عن فاطمة فقد تزوجت من ابن عم أبيها على بن أبى طالب، وكان محدود الدخل ليس لديها خادم، تقوم بكل أعمال البيت بنفسها تقم البيت وتربى الأولاد وتعد الطعام وتسقى بالقربة حتى أثرت فى عنقها وتطحن بالرحى حتى أثرت بيدها وأوقدت القدر حتى دكنت ثيابها وهى صابرة على ذلك، فلما سألت النبى ﷺ خادمًا من السبى نصحها وزوجها أن يسبحا، ويكبرا، ويهللا، وتصبر، ففعلت صابرة حتى توفيت، ولم يمنحها الخادم.

ومن أدوار الصحابيات البارزة فى هذا المجال دور أسماء بنت أبى بكر الصديق، التى خدمت فى بيت زوجها الزبير بن العوام، حتى فتح الله عليه ومنهن أيضًا (العميصاء) أم أنس بن مالك رضي الله عنه، وهى أم سليم بنت ملحان الأنصارية، والتى اشترطت على زوجها أبى طلحة الأنصارى، أن يكون مهرها إسلامه، فأسلم وتزوجته، وكانت نعم الزوجة والأم لأولادها، وكانت تعلم ابنها أنس حفظ سر رسول الله ﷺ؛ وكانت المرأة تتحرى الحلال من زوجها وترفض أى مصدر فيه شبهة حرام، فكانت نعم الزوجة الصالحة.

هذا وقد أبطل الإسلام زواج الابن من امرأة أبيه؛ كرامة لها، أو أن يعضلها لتتزوج ممن تريده. كذلك أمر الله تعالى بأن يكون ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾، وكان الطلاق قبل الإسلام بلا حدود، كما أبطل الظهار وهو قول الرجل لامرأته «أنت على كظهر أمى» فلا يقربها ولا يطلقها، تعذيبا لها.. وغير ذلك من الأمور التى أنصف الإسلام فيها الزوجة والمرأة بصفة عامة، وبذلك أصبح للمرأة دور مؤثر وركيزة أساسية فى مجتمع المسلمين.

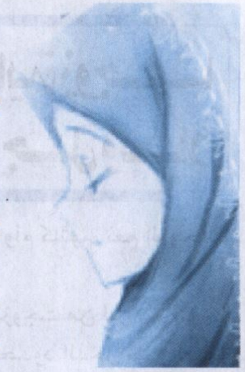

تعلمت منها: أن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها .

تعلمت بأن أضع الشىء فى موضعه، أن أقول الكلمة المناسبة فى الوقت المناسب، بالقدر المناسب، مع الشخص المناسب.

تعلمت منها: كيف تكون المرأة حكيمة فى أقوالها وأفعالها .

وقد قدمت المرأة المسلمة فى العصر الأول صورا رائعة فى خدمة الدين ونشره، وقدمت كل نافع ومفيد للمجتمع المسلم .

هذه المرأة الحكيمة هى أسماء بنت عميس صحابية عاشت هى وأخواتها فى بيت النبوة والخلافة وكبار قادة الدولة الإسلامية فكن خير معين لأزواجهن على خدمة الإسلام والمسلمين بحكمة واقتدار .

«تعلمت منها»

أسماء بنت عميس

د . إلهام شاهين

قال الله تعالى :

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾

سورة البقرة

أبوها عميس بن معبد من بنى خثعم، وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث الكنانية، وأخواتها: سلمى بنت عميس الخثعمية وكانت تحت حمزة وخمس من بنى هلال: ميمونة بنت الحارث كانت تحت النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأم فضل عند العباس واسمها هند والقميصاء أم خالد بن الوليد وعزة كانت فى ثقيف عند الجاح بن علاط وحمدة لم يكن لها عقب.

تعلمت منها : كيف تكون المرأة سابقة بالخيرات ولذا فقد كانت أسماء من الأوائل فى كل شىء طيب، أسلمت وهاجرت مع زوجها جعفر بن أبى طالب مع المهاجرين الأوائل الهجرة الأولى إلى الحبشة، كانت من المسلمات الأوائل، ومن اللواتى هاجرن الهجرتين، حيث أسلمت قبل دخول الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ دار الأرقم بمكة، وهاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبى طالب، ثم هاجرت

إلى المدينة المنوّرة .

ومنذ وصولها إلى المدينة حرصت على معرفة أقوال الرسول ﷺ وأفعاله واستشارته فى كل الأمور التى تطرأ عليها ولا تعرف الحكم فيها ولذا كانت من رواة الحديث عن النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - وروى عنها جماعة من الصحابة والتابعين.

روت عن النبىّ - صلى الله عليه وآله وسلم - ستين حديثًا، وقال الدارقطنى: «انفرد بالإخراج عنها مسلم، ولم يذكر عدد ما أخرج لها».

روى عنها ابناها عبدالله وعون ابنا جعفر بن أبى طالب، وحفيدها القاسم بن محمّد بن أبى بكر، وحفيدتها أم عون بنت محمّد بن أبى جعفر، وسعيد ابن المسيب، وعبيدالله بن رفاع،

وأبو بردة بن أبى موسى، وفاطمة بنت على بن أبى طالب، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن شدّاد ابن الهاد وهو ابن أختها، وأبو زيد المدنى، وعمر بن الخطاب، وعروة بن الزبير، وأبو موسى الأشعرى.

أزواجها

تزوجت من شهيدين وخليفتين، فقد تزوّجها أوّلاً جعفر بن أبى طالب، وهاجر وهى معه إلى أرض الحبشة، فولدت له هناك عبدالله ومحمّدًا وعونًا، وقدِمَ بها جعفر المدينة عام خيبر، ثم قتل عنها بمعركة مؤتة شهيدًا فى جمادى الأولى سنة ٨ من الهجرة، فتزوّجها أبوبكر، فولدت له محمّدًا، نَفست به بذى الحليفة، وفى رواية بالبيداء، وهم يريدون حجّة الوداع، فهم أبو بكر بردها فرفضت ذلك وطلبت من أبى بكر أن يستشير النبى ﷺ فى أمرها وكيف يتسنى لها أداء الفريضة ولا ترجع فأمرها رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أن تستثفر بثوب ثم تغتسل وتحرم وهى نفساء ومنها تعلمنا حكم النفساء فى الحج والعمرة.

ثم توفّى عنها أبوبكر فتزوّجها على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - فولدت له يحيى وعونًا.

وكان لمحمّد بن أبى بكر يوم توفّى أبوه ثلاث سنين أو نحوها، فربّاه على بن أبى طالب ، فهو ربيبه فى حجره .مع أولادها الثلاثة من أخيه جعفر.

تعلمت منها أن المرأة المسلمة تمتثل لأمر الله ورسوله وتلتزم به مهما صادفتها متاعب ومهما كانت حجم المصائب، فقد تزوجت من ثلاثة هم من خيرة رجال الأمة الإسلامية وفقدتهم الواحد تلو الآخر فما كان منها إلا الصبر الجميل ومن ذلك ما روته هى عن موقفها يوم استقبلت نبأ استشهاد زوجها جعفر بن أبى طالب قالت: أصبحتُ فى اليوم الذى أصيب فيه جعفر وأصحابه، فأتانى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ولقد هنأت - يعنى دبغت - أربعين إهابًا من أدم، وعجنت عجينتى، وأخذت بنىَّ فغسلت وجوههم ودهنتهم، - أى كانت فى شدة الإرهاق والتعب مما قامت به من جهد فى ذلك اليوم - قالت: فدخل علىَّ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال: يا أسماء أين بنو جعفر؟. فجئت بهم إليه، فضمّهم وشمّهم، ثم ذرفت عيناه فبكى.

فقلت : يا رسول الله لعله بلغك عن جعفر شىء؟

قال: «نعم، قتل اليوم»، فقمتُ أصيح، فاجتمع إلى النساء، فجعل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول: «يا أسماء لا تقولى هجرا ولا تضربى صدرا» - فالتزمت وامتثلت لأمر الله ورسوله - ودخل على ابنته فاطمة وهى تقول: واعماه، فقال - صلى الله عليه وآله وسلم -: «على مثل جعفر فلتبكِ الباكية، ثم قال: اصنعوا لآل جعفر طعامًا فقد شُغلوا عن أنفسهم اليوم».

تعلمت منها كذلك

أن المرأة المسلمة هى التى تشعر بمسئولية تجاه أمتها فتقدم ما تستطيع للتعاون مع من حولها وتبادر لسد الفجوة التى تراها فى المجتمع ومع الأهل والجيران بحب وحكمة؛ ولذا نجد أن أسماء بنت

المرأة المسلمة مسئولة تجاه أمتها فتقدم ما تستطيع للتعاون مع من حولها وتبادر لسد الفجوة التى تراها فى المجتمع

عميس لم تكن تجد مجالا ولا مناسبة يمكن فيها أن تقوم بواجب تجاه مجتمعها المسلم وأولهم آل بيت النبى إلا قامت به دون أن تدعى إليه ومما يروى فى ذلك ما رواه أهل الآثار فى خبر تزويج فاطمة الزهراء بنت رسول الله من على، فقد روى أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أمر النساء بالخروج فخرجْنَ مسرعات إلاّ أسماء بنت عميس، فدخل النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قالت أسماء: فلما رأى سوادى قال: «من أنتِ؟».

قلت: أسماء بنت عميس.

قال: «ألم آمرك أن تخرجى؟».

قلت: بلى يا رسول الله وما قصدت خلافك، ولكنى كنتُ حاضرة وفاة خديجة، فبكتْ خديجة عند وفاتها، فقلت لها : أتبكين وأنت سيّدة نساء العالمين، وأنت زوجة النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومبشّرة على لسانه بالجنة.

فقالت: ما لهذا بكيت، ولكن المرأة ليلة زفافها لابدَّ لها من امرأة تفضى إليها سرّها وتستعين بها على حوائجها، وفاطمة حديثة عهد بصبا وأخاف ألا يكون لها من يتولّى أمرها حينئذ.

قالت أسماء بنت عميس: فقلت لها : «سيّدتى لك عهد الله علىّ إن بقيت إلى ذلك الوقت أن أقوم مقامك فى ذلك الأمر».

فبكى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقال: «أسأل الله أن يحرسك من فوقك ومن تحتك ومن بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان الرجيم».

ففى الأفراح تقوم بواجب التوجيه والنصح والإرشاد لفاطمة بديلا لأمها وذلك وفاء لصديقتها خديجة، وفى الأحزان تجدها قوية تقدم النافع للمرأة المسلمة الساتر لها المحقق لأهداف دينها، وفى ذلك تعلمت منها أن المرأة إذا خرجت عن بلادها فإنها تكون سفيرة لبلادها نموذجا فى القول والفعل وإذا وجدت ما ينفع بلادها ويتفق مع أصول ومقاصد دينها نقلته لأمتها وبلادها ليستفيد منه المسلمون وتلك هى الحكمة التى يأخذها المؤمن أنى وجدها، وللعلم فإن أسماء بنت عميس أول من صنعت نعشًا كان لفاطمة الزهراء، وهو أوّل نعش صنع فى الإسلام، وحضرت تغسيلها، ومما يروى فى ذلك أنّ فاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قالت لأسماء بنت عميس: «إنّى استقبحت ما يصنع بالنساء، إنّه يطرح على المرأة الثوب فيصفها وهى ملقاة على سرير الموتى».

فقالت أسماء: يا بنت رسول الله ألا أريك شيئًا رأيته بأرض الحبشة، فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوبًا.

فقالت فاطمة: «ما أحسن هذا وأجمله، تعرف به المرأة من الرجل». وأوصتها بأن تقوم على غسلها مع زوجها على. قال الشعبى: أول من أشار بنعش المرأة ـ يعنى المكبة ـ أسماء، رأت النصارى يصنعونه بالحبشة.

ومما يدلّ على حكمتها ورجاحة عقلها

أن عمر بن الخطاب كان يسألها عن تعبير المنام، ونقل عنها أشياء من ذلك وتعلمت منها أن الحكمة تقتضى ألا نتسرع فى القول والرد ومن ذلك أنها لم تتجاوز فى حديثها مع عمر ولم تبادل عمر بن الخطاب قولا بقول ولكن سارعت لتعرض على النبى قول عمر وتطلب معرفة حكم النبى فيما يدعيه عمر

حرصت أسماء بنت عميس منذ وصولها إلى المدينة على معرفة أقوال الرسول ﷺ وأفعاله واستشارته فى كل الأمور حتى روت عنه ستين حديثا

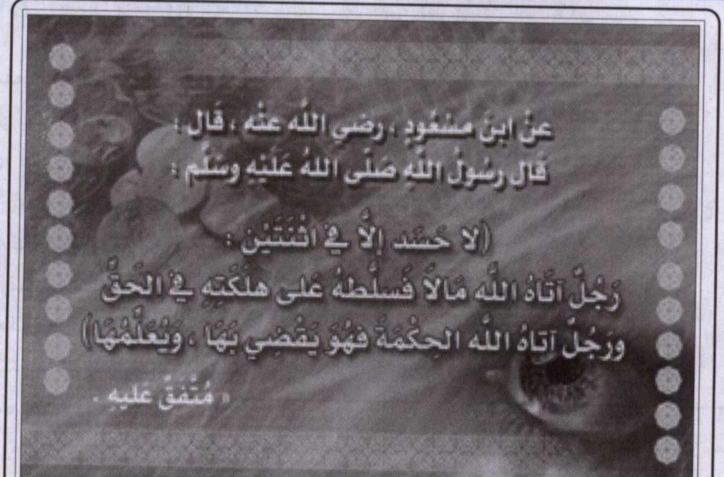

وذلك مما روى فى الطبقات الكبرى لابن سعد: أنّه لما قدمت أسماء من أرض الحبشة قال لها عمر: يا حبشية سبقناكم بالهجرة.

فقالت: إى لعمرى لقد صدقتَ، كُنتم مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يُطعم جائعكم ويعلّم جاهلكم، وكنّا البعداء الطرداء، أما والله لآتين رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فلأذكرن له ذلك. فأتت النبىّ - صلى الله عليه وآله وسلم - فذكرت له ذلك فقال: «للناس هجرة واحدة، ولكم هجرتان».

وتتجلى حكمتها فى تعرضها لموقف يحرج أى امرأة تتزوج بأكثر من رجل ولكن تصرفها وردها نتعلم منه كيف تكسب المرأة احترام زوجها وحبه وتقديره وهى تمدح أزواجها السابقين فتثبت وفاءها للسابقين وقدرتها على كسب ود وقلب زوجها الحالى وهو يستمع لها، فعن زكريا بن أبى زائدة: سمعت عامرا يقول: تزوج على أسماء بنت عميس، فتفاخر ابناها: محمد بن أبى بكر، ومحمد بن جعفر، فقال كل منهما: أنا أكرم منك، وأبى خير من أبيك. قال: فقال لها على: اقضِ بينهما. قالت: ما رأيت شابا من العرب خيرا من جعفر، ولا رأيت كهلا خيرًا من أبى بكر. فقال على: ما تركت لنا شيئا؛ ولو قلت غير الذى قلت لمقتُّك. قالت: إن ثلاثة أنت أخسُّهم خيار.

وعاشت بعد على بن أبى طالب إلى أن قتل ولدها محمد بن أبى بكر وماتت حزنا عليه وهى تصلى فى مسجد بيتها.

وفى الإصابة: لمّا بلغها قتل ولدها محمّد بمصر، قامت إلى مسجد بيتها وكظمت غيظها حتى شخبت ثدياها دمًا وصبرت واحتسبت وأصابت فى أقوالها وأفعالها وشهد لها الرسول ﷺ بذلك ودعا لها ولذا آتاها الله الحكمة.

فالحكمة تؤتى ولا تؤخذ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا قال تعالى ﴿يُؤْتِى الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ٢٦٩)، والحكمة هى الإصابة فى القول والفعل يؤتيها الله لمن يشاء من عباده، ومن يؤت الإصابة فى ذلك منهم، فقد أوتى خيرا كثيرا.

رضى الله عن أسماء بنت عميس، وألهمنا وآتانا الحكمة فى القول والفعل.

د. أمانى عبدالقادر عبدالفتاح محمد

• فتاة تسأل عن دعاء الاستخارة متى يقال؟ خارج الصلاة أم أثناء الصلاة؟

- المشروع للمسلم إذا صلى صلاة الاستخارة أن يدعو بعد السلام منها لقوله ﷺ: «إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: «اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال: عاجل أمرى وآجله فاقدره لى ويسره لى، ثم بارك لى فيه وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال: عاجل أمرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان، ثم رضِّنى به ويسمى حاجته» وهذا يدل على أن الدعاء يكون بعد السلام من الصلاة والأفضل أن يرفع يديه لأن رفعهما من أسباب استجابة الدعاء، وقد قال جابر بن عبدالله رضى الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كالسورة من القرآن».

• ما حكم الاستجمار - أى استعمال ما سوى الماء فى إزالة النجاسة - بالمناديل الورقية؟

- يجوز الاستجمار بكل شىء يحصل به إزالة الأذى من الطاهرات كالحصى والمناديل الطاهرة والأوراق الطاهرة التى ليس فيها شىء من ذكر الله تعالى وغير ذلك مما يحصل به المقصود ما عدا العظام والأرواث؛ لأن الرسول ﷺ نهى أن يستنجى بهما وقال: «إنهما لا يطهران»، وروى مسلم فى صحيحه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يستنجى بعظم أو روث»، ولا يجزئ الاستنجاء بأقل من ثلاثة أحجار.

• ما حكم خروج المادة البنية - الصفرة والكدرة - قبل الحيض؟

- إذا كانت هذه المادة البنية منفصلة عن الدم فليست من الحيض وعلى المرأة أن تصلى وتصوم وتتوضأ لكل صلاة لأنها فى حكم البول وليس لها حكم الحيض، فهى لا تمنع الصلاة ولا الصيام ولكنها توجب الوضوء لكل وقت حتى تنقطع مثل دم الاستحاضة، أما إذا كانت متصلة بالحيض فهى من جملة الحيض فلا تصلى ولا تصوم، وهكذا لو جاءت هذه الكدرة أو الصفرة بعد الطهر من الحيض فإنها لا تعتبر حيضًا، بل حكمها حكم الاستحاضة وعلى المرأة أن تستنجى منها كل وقت وتتوضأ وتصلى وتصوم ولا تحتسب حيضًا وتحل لزوجها لقول أم عطية - رضى الله عنها -: «كنا لا نعد الكدرة والصفرة بعد الطهر شيئًا».

الحض على التوبة والاستغفار

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾

سورة الحجرات

د/ أحمد الحوفى «يرحمه الله»*

الاستغفار هو طلب الغفران، وإذا كان بأصل الوضع لا يؤدى معنى الندم والإقلاع عن الذنب والعزم على عدم معاودته، فإنه فى الاصطلاح ركن من أركان التوبة لا تكتمل إلا به، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ (هود:٣)، وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ (هود: ٥٢).

وكثيرا ما تردد الحض على التوبة وعلى الاستغفار فى القرآن الكريم والحديث الشريف.

١- قال تعالى بعد النهى عن رذائل كانت شائعة فى الجاهلية: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٣١) وذلك أن العبد لا يكاد يقدر على طاعة أوامر الله تعالى ونواهيه، مهما يجتهد، ولا يكاد يسلم من تقصير، فأمر الله المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار أملا فى الخلاص من العقوبة على ذنوبهم.

ولهذا أمرت الآية الكريمة بترك ما كان عليه أهل الجاهلية من رذائل، وأمرت بالتوبة مما اقترفه المسلمون قبل أن يسلموا.

* هذا المقال نشر فى عدد شهر شعبان ١٣٩٥هـ - أغسطس ١٩٧٥م أى ما يقرب من أربعين عاماً.

أمر الله - عز وجل - بالتوبة الحقيقية الصادرة عن إخلاص التائبين على ألا يعاودوا ذنوبهم

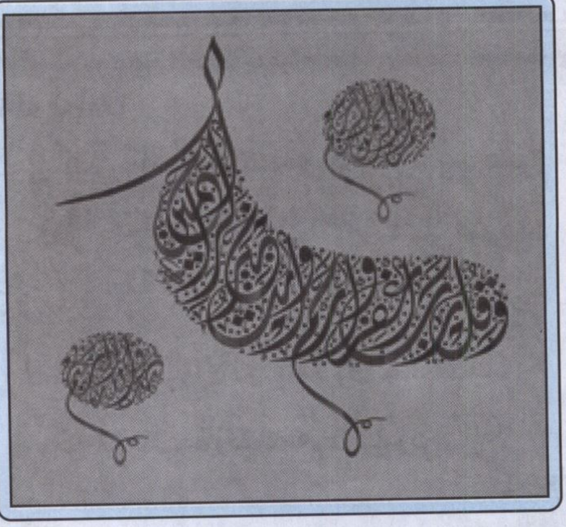

وفى آية أخرى نهى الله سبحانه وتعالى عن عدة رذائل، وأمر بالتوبة منها، ووصف الذين لا يتوبون بأنهم ظالمون لأنفسهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات:١١).

وأمر عز وجل بالتوبة الحقيقية الصادرة عن إخلاص التائبين فى توبتهم، إذ يأتون بها متداركة لما فرط منهم، ماحية لسيئاتهم، مصحوبة بندمهم، مقترنة بعزمهم على ألا يعاودوا ذنوبهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ (التحريم:٨).

وقال سبحانه وتعالى فى الإرشاد إلى الدعاء لمحو الذنب وستره عن الناس: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (المؤمنون: ١١٨)، وقال سبحانه: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٩٩).

ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ • إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور: ٤، ٥).

٢- وأمر النبى - عليه الصلاة والسلام - أن يستغفر ليكون مع عصمته قدوة لأمته، ولأن الاستغفار عبادة وهو إمام العابدين، قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٩٩)، وقال له: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ • وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا • فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (النصر: ١: ٣)، وقال له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ (غافر: ٥٥).

وطلب منه أن يستغفر لصنف من المؤمنات فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الممتحنة: ١٢).

٣- وإنه سبحانه وتعالى ليريد أن يبين لعباده ما خفى عليهم من مصالحهم ومنافعهم، وأن يهديهم مناهج من كانوا قبلهم من الأنبياء والصالحين ليقتدوا بهم، ويرشدهم إلى ضروب من الطاعات إن قاموا بها جعلها كفارات لسيئاتهم فيتوب عليهم

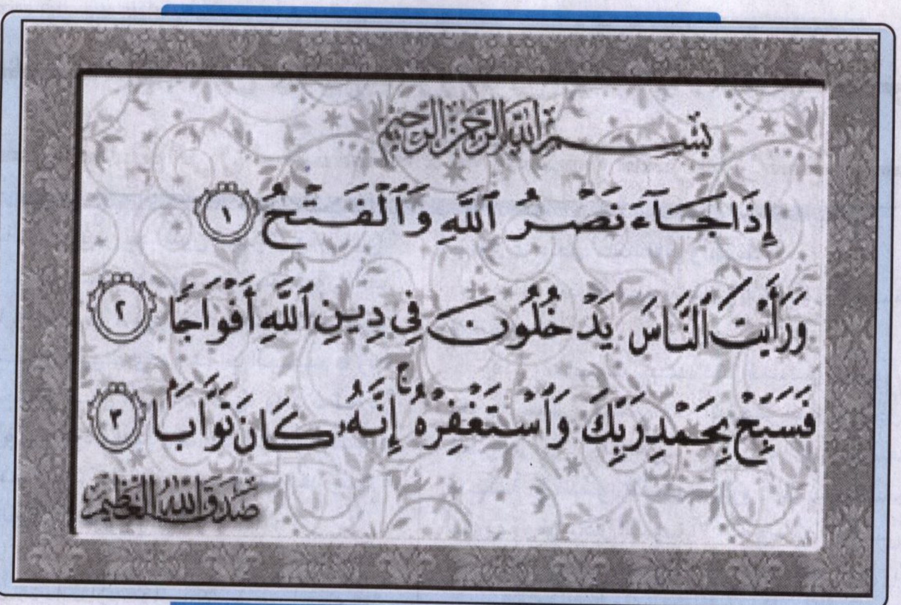

ويمحو ذنوبهم، وهو عز وجل يحب أن يتوبوا وأن يفعلوا ما يستحقون به رحمته، لأنه الرحيم بعباده، على حين أن الفجار الذين يتبعون الشهوات ويقترفون المعاصى يريدون أن ينحرف الناس معهم عن الحق والخير والطاعة، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ • وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا﴾ (النساء: ٢٦، ٢٧).

٤- لهذا دعا نوح عليه السلام بالمغفرة لنفسه ولوالديه والذين صدقوه، قال تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾ (نوح: ٢٨).

وطلب من قومه أن يرجعوا عن كفرهم ومعاصيهم وأن يستغفروا ربهم ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا • يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا • وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح: ١٠: ١٢).

ورغبهم فى التوبة وفى الاستغفار ليحقق الله لهم ما يريدونه من منافع الدنيا وخيراتها مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (الجن: ١٦).

وفى دعاء إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ وهما يرفعان قواعد البيت الحرام: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ • رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٦، ١٢٧).

وفى دعاء إبراهيم لأبيه: ﴿وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (الشعراء: ٨٦).

وجاء على لسانه فى إقراره أمام قومه بوحدانية الله وقدرته: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الشعراء: ٨٢). أى لا يقدر على غفران الذنوب غير الله، فهو سبحانه وتعالى الذى أطمع أن يغفر لى ما سبق من ذنب.

ولا شك أن المراد بالخطيئة هنا الصغيرة من الصغائر، لأن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ معصومون.

وجاء فى دعاء هارون: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٥١).

٥- وورد دعاء من الملائكة بالمغفرة للتائبين فى

العبد ينبغي أن يدعو وهو راجٍ إجابة الله تعالى غير قانط من رحمته لأنه يدعو كريمًا رحيمًا

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ • رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ • وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (غافر: ٧: ٩).

٦- أما الأحاديث النبوية فى استغفار النبى - عليه الصلاة والسلام - فإنها كثيرة، منها قوله ﷺ: «إنه ليغان على قلبى، وإنى لأستغفر الله فى اليوم مئة مرة»(١).

وقوله: «والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة»(٢).

وعن ابن عمر: كنا نعد لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مئة مرة من قبل أن يقوم: «رب اغفر لى، وتب على، إنك أنت التواب الغفور»(٣).

وكان يقول فى دعائه: «اللهم اغسل عنى خطاياى بماء الثلج والبرد، ونق قلبى من الخطايا ما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب»(٤).

وكان يكثر من قوله: «سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لى»(٥).

وكان من استغفاره قوله: «اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى، اللهم اغفر لى هزلى وجدى وخطئى وعمدى وكل ذلك عندى»(٦).

٧- وقد أرشد المسلمين إلى التوبة والاستغفار فى أحاديث شتى، كقوله ﷺ: «إن الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد فى الجنة فيقول: يارب أنى لى هذه؟ فيقول عز وجل: باستغفار ولدك لك»(٧).

وقوله: «التائب حبيب الله، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له»(٨).

وقوله: «مامن عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلى ركعتين، ثم يستغفر الله عز وجل إلا غفر له، ثم تلا قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ • أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٥).

وقوله: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها»(٩).

وقوله للسيدة عائشة: «إن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه، فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار»(١٠).

وقوله: «إذا أسلم العبد فحسن إسلامه يكفر الله الله عنه كل سيئة كان زلفها، وكان بعد ذلك القصاص بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها»(١١).

وقوله: «إن عبدا أصاب ذنبا فقال: رب أذنبت ذنبا فاغفر لى، فقال ربه: أعلم عبد ى أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ به، غفرت لعبدى. ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبا فقال: رب أذنبت ذنبا فاغفره، فقال: أعلم عبدى أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ به، غفرت لعبدى. ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنبا فقال: رب أصبت آخر فاغفر لى، فقال: أعلم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدى ثلاثا، فليعمل ما شاء»(١٢).

٨- ولم يقتصر الإرشاد النبوى على التوبة، بل

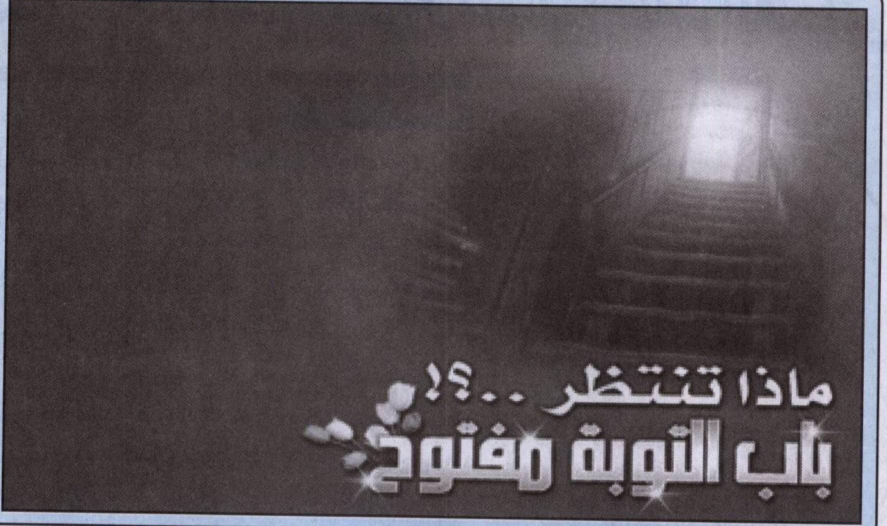

تعدى الإرشاد إلى بيان نوع من الدعاء يقوله العبد فى توبته وفى استغفاره، كقوله ﷺ: «**سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربى، لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك على، وأبوء بذنبى، فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**».

من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة(١٣).

كما نهى النبى ﷺ عن الاستعجال فى قوله: «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: دعوت فلم يستجب لى**».

وكما نهى عن الدعاء المصحوب بالشك فى قوله: «**لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لى إن شئت، اللهم ارحمنى إن شئت، ليعزم المسألة فإنه لا مكره له**»(١٤).

وذلك أن العبد ينبغى أن يدعو وهو راجٍ إجابة الله تعالى، غير قانط من رحمته، لأنه يدعو كريما رحيما.

الهوامش:

(١) صحيح مسلم ٧٢/٨ - يغان على قلبى: تغطيه الغفلة والسهو.

(٢) صحيح البخارى ٨٣/٨ وفتح المبدى ٣٧٠/٣.

(٣) رواه أبو داود والترمذى وقال: حديث حسن صحيح. الترمذى على تحفة الأحوذى ٣٩٣/٩.

(٤) فتح المبدى ٣٧٦/٣.

(٥) إحياء علوم الدين ٢٨١/١.

(٦) فتح المبدى ٣٧٦/٣.

(٧) الإحياء ٢٨٢/١.

(٨) الإحياء ٤/٤.

(٩) الإحياء ٣٢/٤.

(١٠) الإحياء ٢٨١/١.

(١١) فتح المبدى ٦٨/١. زلفها: قدمها.

(١٢) فتح المبدى ٣٨٨/٣.

(١٣) فتح المبدى ٣٦٩/٣ على عهدك ووعدك: على ما عاهدتك عليه وواعدتك من الإيمان بك وإخلاص الطاعة لك أو العهد الذى أخذه تعالى على عباده حيث أخرجهم أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى فأقروا بربوبيته وأذعنوا له بالوحدانية. أبوء: أعترف، ويفهم من الحديث الشريف أن النبى سماه سيد الاستغفار لأنه يشتمل على الإقرار لله بالعبودية وبأنه الخالق، وعلى الرجاء بما وعد، والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه وإضافة النعم إلى الله وإضافة الذنب إلى العبد ورغبته فى المغفرة والإقرار بأنه لا يقدر أحد على الغفران إلا الله.

(١٤) فتح المبدى ٣٧٣/٣.

المصلح الاجتماعى عند الإمام أبى حامد الغزالى

يبدأ دور المصلح عند أبى حامد الغزالى بإصلاح نفسه أولا قبل أن يحاول إصلاح غيره، يقول الغزالى: «وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك»(١)، وعلى المصلح بعد ذلك أن يصلح أهل بيته ثم جيرانه، وأهل محلته، ثم أهل بلده، وبعد ذلك أهل السواد أى المناطق الحضرية والزراعية ثم أهل البادية، وهكذا إلى أقصى العالم.

يقول فى ذلك: «فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات، ثم يعلم أهل بيته، ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه، ثم إلى أهل محلته، ثم إلى أهل بلده، ثم إلى أهل السواد ببلده، ثم إلى أهل البوادى من الأكراد والعرب وغيرهم .. وهكذا إلى أقصى العالم»(٢).

د . عامر يس النجار*

ودعا الغزالى إلى أهمية تنوير الناس وتعريفهم وتعليمهم أمور دينهم، ودعا العلماء أن يقوموا بدورهم فى إرشاد الناس وتفقيههم فقال: «اعلم أن كل قاعد فى بيته أينما كان، فليس خاليًا فى هذا الزمان من منكر من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف. فأكثر الناس جاهلون بالشرع فى شروط الصلاة فى البلاد، فكيف فى القرى والبوادى. ومنهم الأعراب والأكراد والتركمانية وسائر أصناف الخلق وواجب أن يكون فى كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم، وكذا فى كل قرية، وواجب كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية أن يخرج إلى من يجاور بلده من أهل السواد، ومن الغرب والأكراد وغيرهم. ويعلمهم دينهم وفرائض

* أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة قناة السويس.

شرعهم ويستصحب مع نفسه زادًا يأكله، ولا يأكل من أطعمتهم، فإن أكثرها مغصوب»(٣).

ولم يكن الغزالى مصلحًا اجتماعيا وتربويا فقط بل كان مصلحًا سياسيا أيضًا فقد كان الإمام الغزالى يعتبر أن من أهم وظائف الفقه الدنيوية وظيفته السياسية والحياتية فنتيجة لتنازع الشهوات كما يقول الإمام الغزالى تولدت الخصومات بين الناس «فمست الحاجة إلى سلطان يسوسهم، واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به، فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم لتنتظم باستقامتهم أمور الدنيا»(٤).

وكان الغزالى يرى أن فساد الشعوب والأمم السياسى والاجتماعى يقع فى المقام الأول على العلماء ورجال الدين، لأن العلماء ملح الأمة، وإذا فسد الملح فما الذى يصلحه. يا معشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد؟

ويرجع الغزالى فساد الحكام والملوك والرعية والعمال إلى سوء العلماء والقضاة وفسادهم يقول: «بالجملة إنما فسدت الرعية بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، فلولا القضاة السوء، والعلماء السوء، لقل فساد الملوك، خوفا من إنكارهم»(٥).

ويقرع الغزالى العلماء ويفضح الذين يتقاعسون عن أداء فريضة الأمر بالمعروف ويبين أنهم وقعوا

فى حب الدنيا وطلب المنزلة الرفيعة والجاه والشهرة ونظروا إلى عطاء الملوك والأمراء، ونسوا أن الله تعالى هو الرازق وأن العطاء عطاؤه، وأن الأعمار بيده لا بيد الحكام والملوك، وبعد أن يقدم قصصًا من التاريخ الإسلامى تبين شجاعة علماء السلف وقولهم كلمة الحق فى وجه الحكام والملوك دون خشيتهم يقول: «وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا، وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا، ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا ففساد الرعايا بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل، فكيف على الملوك والأكابر؟ والله المستعان على كل حال»(٦).

إن الغزالى وضع إصبعه على أحد أسرار فساد الشعوب والأمم.

إنهم العلماء حين يستولى عليهم حب المال والجاه والدنيا والطمع فيما فى أيدى الناس والحكام. حين ينصرفون عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلى الانشغال بالأمور الحياتية، وبدلاً من الخوف من الله خافوا من الناس، وسطوة الحكام، فظلموا الناس وظلموا أنفسهم وأفسدوا الملوك والرعية، فالتبعة فى ذلك تقع على علماء الدين لأنهم ملح الأمة، وإذا فسد الملح فما الذى يصلحه.

ويهتم الغزالى بعمل العالم وسلوكه فينبغى ألا

استطاع الغزالى أن يعرف عادات الحياة وتقاليدها لاتصاله الوثيق بالقاعدة العريضة للمجتمع

يخالف فعله قوله، بل لا يأمر بالشىء ما لم يكن هو أول عامل به، قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ (سورة البقرة آية ٤٤) وقال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة الصف آية ٣) وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: «ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات».

وصدق من أنشد:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا
إذ عبت فيهم أمورًا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدًا
فالموبقات لعمرى أنت جانيها
تعيب دنيا وناسًا راغبين لها
وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وقال آخر:

لا تنه عن خلق وتأتى مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

والغزالى يرى أن من أهم آفات علماء السوء إتيان الأمراء والحكام، ويستشهد فى ذلك بطائفة من أقوال الصالحين ويعلق عليها فيقول: قال أبو ذر لسلمة: يا سلمة لا تغش أبواب السلاطين، فإنك لا تصيب شيئًا من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه، وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لاسيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو إذ لا يزال الشيطان يلقى إليه: أن فى وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع إلى أن يخيل إليه أن الدخول عليهم من الدين ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف فى الكلام ويداهن ويخوض فى الثناء والإطراء وفيه هلاك الدين.

وكان يقال: «العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شغلوا، فإذا شغلوا فقدوا، فإذا فقدوا طلبوا، فإذا طلبوا هربوا»(٧).

كذلك يرى الغزالى أن من آفات علماء السوء المسارعة إلى الفتيا والإجابة دون تحقيق أو روية على كل استفسار خشية أن يتهم بالجهل وعدم المعرفة. يقول الغزالى: «منها أن لا يكون مسارعًا إلى الفتيا بل يكون موقفًا ومتحرزًا ما وجد إلى الخلاص سبيلاً، فإن سئل عما يعلمه تحقيقًا بنص كتاب الله أو بنص حديث أو إجماع أو قياس جلى أفتى، وإن سئل عما يشك فيه قال: لا أدرى، وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه، وأحال على غيره إن كان فى غيره غنية. هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم، وفى الخبر العلم ثلاث: كتاب ناطق، وسنة قائمة، ولا أدرى(٨). قال الشعبى: لا أدرى نصف العلم، ومن سكت حيث لا يدرى لله تعالى فليس بأقل أجرًا ممن نطق لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضى الله عنهم»(٩).

ويقول الغزالى: «كان ابن عمر - رضى الله عنهما - يسأل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع، وكان ابن عباس - رضى الله عنهما - يسأل عن عشر مسائل فيجيب عن تسع ويسكت عن واحدة، وكان فى الفقهاء من يقول: (لا أدرى) أكثر مما يقول (أدرى) منهم سفيان الثورى، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل، والفضيل بن عياض، وبشر ابن الحارث»(١٠).

وكان بعض العلماء يحللون أخذهم عطايا الأمراء والحكام بقولهم إن كثيرًا من السلف والتابعين قبلوا أموال الأمراء وهباتهم وعطاياهم.

ولكن الغزالى يبين مدى اجتراء هؤلاء العلماء على الحق ويكشف مدى ضلالهم وخبثهم، ويفضح قياسهم الخاطئ حين يقول: «إن الظلمة فى العصر الأول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا

مستشعرين من ظلمهم، ومتشوفين إلى استمالة قلوب الصحابة والتابعين، وحريصين على قبولهم عطاياهم يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به، وكانوا يأخذون منهم ويفرقون، ولا يطيعون السلاطين فى أغراضهم ولا يغشون مجالسهم ولا يكثرون جمعهم، ولا يحبون بقاءهم، بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان، وينكرون المنكرات منهم عليهم، فما كان يحذر أن يصيبوا من دينهم بقدر ما أصابوا من دنياهم، ولم يكن يأخذهم بأس.

فأما الآن، فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية إلا لمن طمعوا فى استخدامهم والتكثر بهم، والاستعانة بهم على أغراضهم، والتجمل بغشيان مجالسهم، وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء، والتزكية والإطراء فى حضورهم ومغيبهم فلو لم يدل الآخذ نفسه بالسؤال أولاً، والتردد فى الخدمة ثانيًا، والثناء والدعاء ثالثًا، والمساعدة له على أغراضه عند الاستعانة رابعًا، وبتكثير جمعه فى مجلسه وموكبه خامسًا، وبإظهار الحب والموالاة والمناصرة له على أعدائه سادسًا، وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوئ أعماله سابعا، لم ينعم عليه بدرهم واحد ولو كان فى فضل الشافعى - رحمه الله - مثلاً، فإذا لا يجوز أن يؤخذ منهم فى هذا الزمان ما يعلم أنه حرام أو يشك فيه، فمن استجرأ على أموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين، فقد قاس الملائكة بالحدادين»(١١).

وهذه صرخة حق مدوية يعلنها الغزالى فى وجه كل حاكم ظالم وكل عالم مداهن منافق يتكسب من هؤلاء الحكام الظلمة، بل أكثر من ذلك فإن الغزالى يطالب العلماء ببغض الظلمة وكراهية بقائهم واعتزال المتقربين إليهم والمتصلين بهم «فعليه أن يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم، ولا يثنى عليهم، ولا يستخبر عن أحوالهم، ولا يتقرب إلى المتصلين بهم»(١٢).

وفى فترة اتصاله الوثيق بالقاعدة العريضة من المجتمع الإسلامى الذى كان يعيش فيه استطاع الغزالى أن يعرف عادات الحياة وتقاليدها وأساليب الحياة فى هذه البيئات، ووضع يده على عيوب الطبقات المختلفة، ووضع فى (إحياء علوم الدين) بابًا كاملا هو الباب الثالث من كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر(١٣)، فتحدث من خلاله عن المنكرات المألوفة فى العادات مثل منكرات المساجد، ومنكرات الأسواق ومنكرات الشوارع ومنكرات الضيافة والمنكرات العامة.

وفى كتاب «التبر المسبوك فى نصيحة الملوك» يتحدث الغزالى عن الحكومة الإسلامية كيف تدار وسياسة الحكام كيف تساس بعدل وحكمة.

وفى إحياء علوم الدين يقدم قصصًا لعلماء السلف العظام مع الحكام فها هو سفيان الثورى - رحمه الله - يكتب إلى هارون الرشيد قائلاً له: «من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثورى إلى العبد المغرور بالآمال هارون الرشيد الذى سلب حلاوة الإيمان»(١٤).

وهذا الحسن البصرى يصيح بعامر الشعبى حين ألان الحديث للحجاج فيقول: «إليك عنى ياعامر! يقول الناس عامر الشعبى عالم أهل الكوفة، أتيت شيطانًا من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه فى رأيه، ويحك عامر هلا اتقيت الله».

من ذلك كله يتضح لنا كيف كان الغزالى مصلحًا سياسيا واجتماعيا من الدرجة الأولى.

الهوامش:

١ - إحياء علوم الدين جـ ١، ص ٣٩.
٢ - الإحياء جـ٢، ص ٣٣٦.
٣ - الإحياء جـ٢ ص ٣٣٦.
٤ - الإحياء جـ١، ص ١٨.
٥ - الإحياء جـ١، ص ٧٢.
٦ - الإحياء، جـ٣، ص ١٢.
٧ - الإحياء، جـ١، ص ٦٩.
٨ - أخرجه الخطيب فى أسماء من روى عن مالك موقوفًا على ابن عمر، ولأبى داود وابن ماجة من حديث عبدالله بن عمر مرفوعًا نحوه مع اختلاف.
٩ - الإحياء، جـ١، ص ٧٠.
١٠ - الإحياء، جـ١، ص ٧٠.
١١ - الإحياء، جـ٢، ص ١٢٢، ١٢٣.
١٢ - الإحياء، جـ٢، ص ١٢٨.
١٣ - وهو الكتاب التاسع من ربع العادات الثانى.
١٤ - الإحياء جـ٢، ص ٣٤٨.

تطــــور التشــــريع الإســـلامى

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾

سورة الحجر

د. محمد نبيل غنايم*

أولاً: التشريع فى عهد الصحابة:

ويبدأ هذا العهد من وفاة النبى ﷺ ويستمر إلى نهاية القرن الأول الهجرى حين توفى أواخر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

وقد شهد هذا العهد عدة شواهد وحوادث كان لها أثر كبير فى تطور التشريع، فقد طرأت على المسلمين أمور لم يألفوها فى عهد الرسول ﷺ وكان لابد من الحكم فيها، ووقعت وقائع وفتوحات تفرق فيها الصحابة واستشهد فيها بعضهم، وجرت بين الصحابة أنفسهم خلافات ومنازعات أدت إلى بعض الحروب بينهم مما كان له أثر فى اختلاف التشريع وتنوعه.

وطرأت على مصادر التشريع بعض الطوارئ التى لم تكن قبل ذلك فكان لها أيضًا آثار أخرى. وكانت الخلافة واختيار الخليفة على رأس ما واجه الصحابة من أمور لا عهد لهم بها، ولكنهم بحمد الله وتوفيقه وتعلمهم فى مدرسة النبى ﷺ استطاعوا التغلب على تلك المشكلة، وأجمعوا على اختيار أبى بكر الصديق رضي الله عنه وفوجئوا بارتداد بعض المسلمين عن الإسلام وإدعاء بعضهم النبوة، وهى مشكلة أخرى لا عهد لهم بها ولكنهم بما عندهم من القرآن والسنة استطاعوا أن يجمعوا الرأى على قتال هؤلاء المرتدين والانتصار عليهم بعد موقعة صعبة وحرب ضارية راح ضحيتها سبعون من كبار الصحابة وحفاظ القرآن الكريم فأثار

* أستاذ الشريعة بجامعة القاهرة

قال الله تعالى:

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

سورة البقرة / ٢٢٨

ذلك فيهم اتجاها نحو جمع القرآن الكريم، وهو أمر لم يسبقوا إليه.

إلى غير ذلك من الأمور التى اقتضت منهم نظرا وتشاورات واجتهادا وتأملا مما كان له أثر كبير فى تطور التشريع ونموه،. يقول كولسون: وهكذا شهد العهد المدنى نموا فقهيا كبيرا يقوم فى أساسه على مبادئ القرآن التشريعية بفضل جهود النبى ﷺ وخلفائه الراشدين فى حدود ما تطلبته الوقائع التى واجهها المسلمون فى المدينة وقد نجح المسلمون فى التوفيق بين الأوضاع التقليدية لحياتهم السابقة ومتطلبات عقيدتهم الجديدة، وقد حدث ذلك التطور والنمو فى جميع المجالات وإليك ذلك فى الفقرات الآتية:-

(أ) كان رسول الله ﷺ المرجع الأكبر والوحيد، يرجع إليه الصحابة فى كل ما يهمهم أما الآن فقد أصبح جمهور الصحابة وكبارهم المرجع للخليفة، فلم يكن يتخذ قرارًا ولا يمضى أمرا إلا بسؤالهم واجتماعهم فإن تبين عند أحدهم شىء من سنة رسول الله ﷺ أخذوا به وإلا فالرأى لهم، ولهذا ظهر فى هذا العصر عدد من المفتين من كبار الصحابة فى مقدمتهم الخلفاء الأربعة والعبادلة الأربعة وأبى بن كعب وزيد بن ثابت وعائشة ومعاذ بن جبل وأبو موسى الأشعرى وعبادة بن الصامت وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وأبو عبيدة بن الجراح.. وغيرهم وقد أحس هؤلاء الصحابة بمسئوليتهم تجاه الأمة ومن بعدهم فلم يبخلوا بشىء وبذلوا قصارى جهدهم فى تقديم كل ما حملوه عن رسول الله ﷺ من قرآن أو سنة لمن جاء بعدهم.

وفى هذا يقول ابن قيم الجوزية: «ثم قام بالفتوى بعد رسول الله ﷺ برك الإسلام وعصابة الإيمان وعسكر القرآن وجند الرحمن، أولئك أصحابه ﷺ، ألين الأمة قلوبا وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا وأحسنها بيانًا، وأصدقها إيمانًا وأعمها نصيحة وأقربها إلى الله وسيلة، وكانوا بين مكثر منها ومقل ومتوسط، والذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول لله ﷺ مائة ونيف وثلاثون نفسا ما بين رجل وامرأه وكان المكثرون منهم سبعة: عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعبدالله بن مسعود وعائشة أم المؤمنين وزيد بن ثابت وعبدالله بن عباس وعبدالله ابن عمر، قال أبو محمد بن حزم: «ويمكن أن تجمع من فتوى كل واحد منهم سفرا ضخماً، قال: وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب ابن أمير المؤمنين فتيا عبدالله بن عباس رضى الله عنهما فى عشرين كتاباً».

ثم ذكر المتوسطين فى الفتوى من الصحابة المقلين وفضل كل منهم.

(ب) وقد أحس الصحابة بمسئوليتهم هذه فكانوا يجتهدون فى كل جديد، وقد أخذ اجتهادهم هذا صورتين، صورة يتفقون فيها على الحكم وهو ما يسمى بالإجماع وتلك كانت الصورة الغالبة، وأحيانا كان بعضهم يخالف بعضًا فى الاجتهاد فتبقى الأمور فى نطاق الاجتهاد الفردى وهذا وذاك أثرى التشريع

قام الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بخدمة مصادر التشريع بجمع القرآن الكريم فى مصحف واحد بعد أن كان الاعتماد على ما فى الصدور

حيث أضاف مصدرًا حديثًا من المصادر إلى القرآن الكريم والسنة لم يكن موجودًا من قبل بالإضافة إلى الاجتهاد الفردى الذى لم يعد عنه رجوع بعد رسول الله ﷺ، أى أن المجتهد الآن لا يجد من يرجع إليه ويراجعه عند اجتهاده كما كانوا يفعلون فى عهد النبى ﷺ فأصبح لكل منهم أن يتمسك باجتهاده وكان ذلك نواة للمذاهب فيما بعد.

(ج) وقد قام الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بخدمة مصادر التشريع خدمة كبرى فقد قاموا أولا بجمع القرآن الكريم بمعنى ربط صفحه وضم سوره وآياته فى إطار واحد بعد أن كان الاعتماد على ما فى الصدور، وذلك أن موقعة اليمامة – حروب الردة – كما سبق أن بينا كانت صعبة على المسلمين وقد استشهد فيها من كبار الصحابة وحفاظ القرآن عدد كبير فهال ذلك عمر بن الخطاب فأشار على أبى بكر بجمع القرآن وظل يراجعه فى ذلك حتى شرح الله صدره لهذا فأرسل إلى زيد بن ثابت وهو من أشهر كتاب الوحى وحفاظ القرآن وعرض عليه المهمة ومازال يراجعه حتى شرح الله صدره لذلك فجلس على باب المسجد ينادى فى الناس من عنده آية أو سورة وبينة عليها فيتقدم حتى انتهى من الجمع المادى مطابقًا لما كان محفوظًا من لدن رسول الله ﷺ فى الصدور، وظلت نسخة القرآن هذه فى بيت أبى بكر ثم عمر ثم حفصة، وفى خلافة عثمان بن عفان اختلف القراء فى الشام والعراق فقدم حذيفة بن اليمان من الشام وطلب من عثمان أن يدرك الأمة حتى لا يقتتلوا بسبب قراءة القرآن فشكل عثمان لجنة بقيادة زيد بن ثابت أيضا لكتابة نسخ القرآن الكريم من النسخة الأولى الموجودة عند حفصة وأضاف: إذا اختلفتم فى شىء فاكتبوه بلغة قريش فبها أنزل ولما تم ذلك العمل أعاد الأصل لحفصة وأرسل منه نسخة لمكة ونسخة للكوفة ونسخة للبصرة ونسخة للشام ونسخة لمصر واحتفظ عنده بنسخة وأمر بما سواه من المصاحف فأحرق، وهذا هو ما بين أيدينا اليوم والمسمى «الرسم العثمانى» وصدق الله العظيم. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر الآية ٩) وبهذا العمل أصبح القرآن الكريم ميسرا للتابعين وغيرهم ولسائر الأمم التى دخلت فى الإسلام بعد الفتوحات الجديدة.

(د) وقد حاولوا أيضا جمع السنة النبوية، وفكر عمر بن الخطاب فى ذلك ثم تراجع حتى لا يختلط شىء منها بالقرآن الكريم فبقى كل صحابى بما سمعه عن رسول الله ﷺ من الأحاديث يعمل بها ويجتهد فى ضوئها، وكانوا لا يقبلون حديثًا من واحد إلا مع بينة أو شاهد كما فعل أبو بكر فى توريث الجدة، ومع هذا فقد كان لبعض الصحابة صحائف مدونة من السنة النبوية فمن ذلك صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص «الصادقة» وصحيفة أبى شاة، مما يدل على أنه كانت هناك بواكير لتدوين السنة النبوية[٩]، وقد أدى عدم التدوين الكامل للسنة إلى وقوع الاختلاف فى روايتها وفى متونها أيضا. وكما لم تدون السنة النبوية أيضًا، فإن الصحابة لم يدونوا آراءهم سواء ما أجمعوا فيه أو ما اختلفوا عليه.

(هـ) وكان لتفرق الصحابة فى الأمصار الجديدة حين اتسعت الفتوحات أثر فى وقوع الاختلاف بينهم فى الأحكام الفقهية ظهر ذلك فى مكة على يد عبدالله بن عباس وفى المدينة على يد عبدالله بن عمر وفى الكوفة على يد بن مسعود وفى مصر على يد عبدالله بن عمرو بن العاص وكذا حيث كان كل صحابى يفتى ويجتهد فى ضوء ما يحفظ من أحاديث الرسول ﷺ دون أن يطلع على ما عند الباقين من أحاديث أو أحكام وكان ذلك نواة لتكون

المدارس الفقهية فيما بعد.

وقال ابن القيم: «والدين والعلم والفقه انتشر فى الأمة عن أصحاب ابن مسعود وأصحاب زيد بن ثابت وأصحاب عبدالله بن عمر، وأصحاب عبدالله ابن عباس، فعلم الناس عامتهم عن أصحاب هؤلاء الأربعة، فأما أهل المدينة فعلمه عن أصحاب زيد بن ثابت وعبدالله بن عمر، وأما أهل مكة، فعلمهم عن أصحاب عبدالله بن عباس وأما أهل العراق فعلمهم عن أصحاب عبدالله بن مسعود».

(و) وكان من أسباب اختلافهم أيضًا أن معظم آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ ليست قطعية فى دلالتها ولكنها ظنية فدلالته فى قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٢٨). على الحيض أو الطهر دلالة ظنية ولذا وجدنا بعض الصحابة يفسرها بالحيض لقول الرسول ﷺ: «دعى الصلاة أيام أقرائك»، وبعضهم يفسرها بالطهر لقوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ (سورة الطلاق الآية ١)، كما كانت البيئات التى تفرق الصحابة فيها ذات ثقافات وأعراف وأوضاع غير البيئات الأخرى فكان من الطبيعى أن يوجد مثل ذلك الاختلاف ولكنه لم يكن واسعًا لما سبق أن أشرنا من أن الغالب فيما لا نص فيه أن يكون إجماع على الحكمة.

(ز) وفى هذا العصر أيضًا حدث شىء خطير كان له أثر كبير فى التشريع وذلك هو الانقسام الحزبى أو السياسى حين تولى على بن أبى طالب لخلافة ثم قامت السيدة عائشة وطلحة بن عبيد الله والزبير بالسير من مكة لملاقاته فى موقعة الجمل بسبب دم عثمان بن عفان ثم بعد ذلك قيام معاوية بجيش من الشام لملاقاته عند صفين لنفس الغرض، ونتج عن ذلك قبول التحكيم اختلاف فى الرأى وفتنة بين المسلمين راح ضحيتها كثير من الأرواح وأسفر الأمر عن انقسام حزبى سياسى، ففريق تشيع للإمام على وآل بيت النبى ﷺ وهؤلاء هم الشيع التى انقسمت فيما بعد إلى عدة فرق كما سبق أن بينا.

وجماعة خرجوا على «على ومعاوية» وكونوا لأنفهسم جيشًا خاصًا يقوم على فكر خاص وقرروا مهاجمة كل من على لقبوله التحكيم مع معاوية وعمرو بن العاص لما قاموا به نحو على، وهؤلاء هم الخوارج وكان من مبادئهم انتخاب الخليفة وعدم طاعته إلا فى الطاعة واستخدام العنف والقوة فى علاج الأمور وإزاء هؤلاء وأولئك كانت هناك الغالبية العظمى من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة الذين كانوا يقبلون ما روى عن النبى ﷺ من هؤلاء جميعًا ويلتمسون العذر لكل من وقع فى الفتنة ويعتذرون عمن شارك فيها بينما كان الخوارج يخطئون عليًا ومعاوية ولا يقبلون ما روى عنهما ولا عن الشيعة من أحاديث كما كان الشيعة كذلك مما كان له أثر كبير فى التشريع حيث أصبح لكل فرقة فقه خاص بها على ضوء ما قبلته من أحاديث وما رفضته من أحاديث الفرقة الأخرى، وكان ذلك سببًا آخر فى نشأة المدارس الفقهية فيما بعد.

يقول الدكتور سلام مدكور: «على أن الإسلام فيما بعد دهمته ريح عاتية غيرت وجه الاتجاهات الروحية فظهرت فتنة التشيع للإمام على بوضوح بعد مقتل عثمان كما وجدت فتنة الخروج على الإمام على بعد انتهاء الحرب بينه وبين معاوية بقبول التحكيم ثم كانت الأحزاب التى اختلفت اتجاهات فزادت أمر الخلاف الفقهى تعددًا وتكثرا وربما وجدت آراء لم تستكمل أدوات الاجتهاد الذى أساسه البناء على النظر السليم من الهوى والعصبية وتجلى ذلك فى طائفتين.

١- طائفة دخلت فى الإسلام للفت فى عضد المسلمين والعمل على التفرقة بين صفوفهم بإدخالهم فى الإسلام ما ليس منه متظاهرين فى ذلك بالتدين.

٢- وطائفة تغالت فى فهم آيات القرآن وتنطعت فى تطبيقها بما أخرجها عن دائرة العدالة والتنكب عن الأسلوب الوسط الذى جعله الله ورسوله معيارًا لهذا الدين، وكان هذا حافزًا للفقهاء على التوفر للفقه لتخليص الأحكام الفقهية وتقديمها نقية من الشوائب جهد الاستطاعة مما ترتب عليه أن بدأ الفقه يستقل عن غيره وينحاز إلى جانب منفرد بعلمائه وأئمته.

تلك أبرز التطورات التى طرأت على التشريع فى عهد الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ وبهذا نصل إلى مرحلة أخرى.

فضائل الحمد ومنزلة الحامدين

تحدثنا فى حديث سابق عن إحدى خصائص النبى: ﷺ (وسميت أحمد).

وهذا الأمر يقتضى من المسلمين أن يتعرفوا على فضائل حمد الله - عز وجل - وأن يقوموا بحمد الله تعالى دائماً وفى كل وقت حتى يكونوا من الحامدين الله تعالى والشاكرين له على نعمه التى لاتعد ولا تحصى..

وعن هذا الموضوع سيكون لنا هذه الوقفات فنقول وبالله التوفيق.

(الوقفة الأولى) فضائل الحمد:

لقد أمر الله - عز وجل - فى كتابه الكريم بحمده وشكر نعمه، وقد تكرر هذا الأمر فى كثير من الآيات سنذكر بعضا منها مما فيه أمر بحمد الله تعالى.

١ - أول ما يقرؤه المسلم عندما يفتح المصحف الشريف ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، بل ويكرر المسلم ذلك فى كل ركعة من الصلاة فرضا كانت الصلاة أو نفلا.

٢ - قال تعالى ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ (الإسراء: الآية ١١١).

٣ - ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ (النمل: الآية ٥٩).

٤ - افتتح الله تعالى بعض سور القرآن الكريم بالحمد كما مر فى سورة الفاتحة، وأيضا فى أول الأنعام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الأنعام: الآية ١).

وفى أوائل الكهف وسبأ وفاطر، كل ذلك وغيره يدعو المسلم إلى العناية بهذا الموضوع العظيم علماً وعملاً..

د.مختار مرزوق عبدالرحيم*

حديث السنة المشرفة عن الحمد

لقد ورد فى السنة المشرفة بيان لفضل حمد المسلم لله رب العالمين وأن هذا العمل من أجلِّ الأعمال:

أولاً: سورة الحمد أعظم سورة فى القرآن.

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل القرآن الحمد لله رب العالمين» (رواه الحاكم والبيهقى فى الشعب وهو حديث صحيح، انظر صحيح الجامع رقم ١١٢٥).

ثانيا: كلمة (الحمد لله) من الكلمات التى اصطفاها الله تعالى:

عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «إن الله اصطفى من الكلام أربعا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فمن قال: سبحان الله كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة، ومن قال: الله أكبر فمثل ذلك، ومن قال: لا إله إلا الله فمثل ذلك، ومن قال: الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه كتب له ثلاثون حسنة أو حط عنه ثلاثون سيئة» (انظر المسند ج ٢٢ ص١٣٥ وصححه المحقق، ورواه الحاكم وهو

* عميد كلية أصول الدين بأسيوط.

الأمة الإسلامية تمتاز بأنها أكثر الأمم حمداً لله عز وجل

حديث صحيح، انظر صحيح الجامع ج ١ ص ٣٥٣).

ومعنى «من قبل نفسه» أى أنه قصد الإنشاء لا الإخبار، والمراد أنه استحضر نعم الله تعالى عليه فحمد الله تعالى وقال: الحمد لله رب العالمين مستشعرا عظمة تلك النعم..

> قال الله تعالى:
> وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِىٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١)
> سورة الإسراء

ثالثا: الحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماوات والأرض.

عن أبى مالك الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» (انظر صحيح مسلم أول كتاب الطهارة).

ومعنى «والحمد لله تملأ الميزان» عظم أجرها يملأ الميزان .

والمراد بالميزان حقيقته أى ما توزن به الأعمال إما بأن تجسم الأعمال، أو توزن صحائفها فتطيش بالسيئات وتثقل بالحسنات.

والسبب فى أن «الحمد لله» تملأ الميزان؛ لأن معانى الباقيات الصالحات فى ضمنها .

١ - لأن الثناء تارة يكون بإثبات الكمال.

٢ - وتارة بنفى النقص.

٣ - وتارة بالاعتراف بالعجز.

٤ - وتارة بالتفرد بأعلى المراتب.

٥ - والألف واللام فى «الحمد» لاستغراق جنس المدح والحمد مما علمناه وجهلناه، وإنما يستحق الإلهية من اتصف بذلك فاندرج الجميع تحت «الحمد لله»، لذلك وغيره كانت «الحمد لله» تملأ الميزان.

والسبب فى أن «سبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض، ». أن «سبحان الله» تنزيه لله تعالى من كل نقص. و «الحمد لله»، وصف الله تعالى بكل كمال فقد جمعت الكلمتان بين التخلية والتحلية، فالتسبيح تنزيه الله تعالى عما لا يليق به فى أسمائه وصفاته وأحكامه، والله تعالى يحمد على كل حال فالجملة الكريمة فيها وصف لله - عز وجل - بكل كمال. (راجع شرح رياض الصالحين لابن عثيمين).

رابعا: الحمد لله تعالى على النعم أفضل من النعم.

عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «ما أنعم الله على عبد نعمة فحمد الله عليها إلا كان ذلك الحمد أفضل من تلك النعمة» (رواه ابن ماجة والطبرانى والبيهقى فى الشعب بسند حسن انظر سنن ابن ماجة رقم ٣٨٠٥، وانظر صحيح الجامع رقم ٥٠٢٥).

فائدة .

ورد أن جعفر الصادق فقد بغلة له فقال: إن ردها

الله على لأحمدنه بمحامد يرضاها فما لبث أن جيء بها بسرجها ولجامها فركبها فلما استوى عليها رفع رأسه إلى السماء فقال «**الحمد لله**» ولم يزد.

فقيل له في ذلك.

فقال: وهل تركت أو أبقيت شيئا؟

جعلت الحمد كله لله.. (انظر فيض القدير ج ٥ ص ٥٤٧).

خامسا: من صيغ الحمد التى علمها النبى ﷺ لأصحابه.

١ ـ عن مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه أن أعرابيا قال للنبى ﷺ علمنى دعاء لعل الله أن ينفعنى به.

قال ﷺ : قل: «**اللهم لك الحمد كله وإليك يرجع الأمر كله**» (رواه البيهقى فى السنن بسند حسنه المنذرى فى الترغيب، وانظر صحيح الترغيب رقم ١٥٧٦).

٢ - عن أبى أمامة رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: «**ألا أدلك على ما هو أكثر من ذكر الليل والنهار؟**»

تقول : «**الحمد لله عدد ما خلق. الحمد لله ملء ما خلق. الحمد لله عدد ما فى السماوات وما فى الأرض. الحمد لله عدد ما أحصى كتابه. والحمد لله على ما أحصى كتابه. والحمد لله عدد كل شىء والحمد لله ملء كل شىء. وتسبح الله مثلهن. تعلمهن وعلمهن عقبك من بعدك**» (رواه الطبرانى بسند صحيح، انظر صحيح الجامع

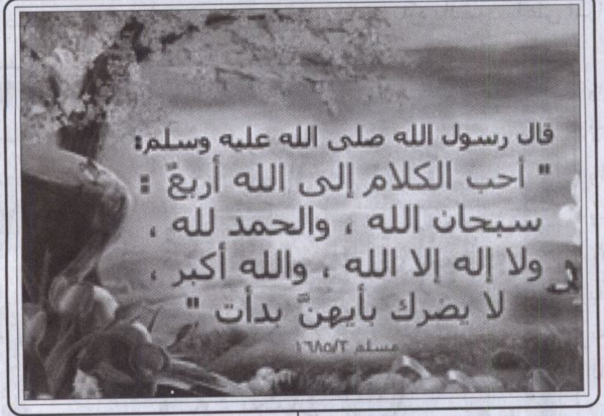

رقم ٢٦١٥).

سادسا: محبة الله تعالى للحمد.

ورد فى السنة المشرفة أن الله تعالى يحب الحمد.

١ ـ عن الأسود بن سريع قال: قلت: يارسول الله إنى قد مدحت ربى ـ عز وجل ـ بمحامد .

فقال ﷺ: «**أما إن ربك يحب الحمد**» (انظر الأدب المفرد ٨٥٩ وحسنه المحققان د مزيد والشيخ على عبدالمقصود).

٢ ـ عن أبى سعيد رفعه (إذا قال العبد الحمد لله كثيرا. قال الله تعالى: «**اكتبوا لعبدى رحمتى كثيرا**» (صحيح الترغيب ١٥٧٨).

٣ ـ قال ﷺ: «**التأنى من الله، والعجلة من الشيطان، وما أحد أكثر معاذير من الله وما من شىء أحب إلى الله من الحمد**» (رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح كما قال المنذرى، وانظر صحيح الترغيب رقم ١٥٧٢ وحسنه).

الوقفة الثانية: فضيلة الحمادين.

الحمادون هم الذين يكثرون حمدهم لله ـ عز وجل ـ لهم منزلة عظيمة، فهم من القليل الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سورة سبأ: الآية ١٣).

وإليك بعض الروايات التى تبين فضل من يحمد الله تعالى ويشكره.

١ ـ عن مطرف قال: قال لى عمران بن حصين: (إنى أحدثك بالحديث اليوم لينفعك الله به بعد اليوم

طبّق النبى ﷺ حمد الله وشكره على نعمه التى لا تعد ولا تحصى

اعلم أن خير عباد الله تبارك وتعالى يوم القيامة الحمادون). (انظر المسند رقم ١٩٩٠٩، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين).

تنبيه

هذا الحديث موقوف على الصحابى ولكن له حكم الرفوع.

٢ ـ الأمة الإسلامية تمتاز بأنها أكثر الأمم حمدا لله ـ عز وجل ـ كما أن نبيهم ﷺ هو أكثر الناس حمدا لله تعالى، ولذلك سمى فى القرآن بـ (أحمد) وبـ (محمد):

روى الدارمى بسنده إلى كعب الأحبار. قال: (نجده مكتوبا: محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر وأمته الحمادون يكبرون الله ـ عز وجل ـ على كل نجد ويحمدونه فى كل منزل) (انظر سنن الدارمى ج ١ ص ١٦، وقال حسين سليم أسد: مرسل، وإسناده صحيح).

٣ – أثنى النبى ﷺ على الجن حين حمدوا الله تعالى عند كل نعمة ذكرت فى سورة الرحمن وذلك عندما سمعوها من المصطفى ﷺ.

عن جابر رضي الله عنه قال: (خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا.

فقال: لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم.

كنت كلما أتيت على قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا: ولا بشىء من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد) (انظر سنن الترمذى أبواب التفسير رقم ٣٢٩١، وهو حديث حسن، انظر صحيح الجامع رقم ٥١٣٨).

الوقفة الثالثة: التطبيق.

لقد طبق النبى ﷺ حمد الله تعالى وشكره على نعمه التى لا تعد ولا تحصى، وإليك هذه النماذج التى تدل على ذلك:

أولا: كان النبى ﷺ يحمد الله تعالى على كل أحيانه. عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا أتاه الأمر يسره، قال: «**الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات**»، وإذا أتاه الأمر يكرهه قال: «**الحمد لله على كل حال**» (رواه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة ورواه الحاكم وسنده صحيح، انظر صحيح الجامع رقم ٤٦٤٠).

ثانيا: محبة النبى ﷺ لحمد الناس لله رب العالمين.

١ ـ عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أصبحت يا فلان؟**»، قال: أحمد الله إليك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: : «**ذلك الذى أردت**» (رواه الطبرانى بسند حسن، انظر الصحيحة رقم ٢٩٥٢).

٢ ـ عن أنس بن مالك أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه سلم عليه رجل فرد السلام، ثم سأل عمر الرجل كيف أنت؟

فقال: أحمد الله إليك.

فقال عمر: هذا الذى أردت منك. (انظر الأدب المفرد رقم ١١٣٢، وصححه الدكتور مزيد والشيخ على عبد المقصود، وأشارا فى عزوهما إلى الموطأ والبيهقى فى الشعب).

ومعنى «**هذا الذى أردت منك**» فى كلام النبى ﷺ وفى كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أى هذه الكلمة المتضمنة لحمد الله تعالى أردت أن تقولها

وأن تتخلق بها.

وليتنا نطبق ذلك عمليا فى حياتنا وأن يذكر بعضنا بعضا بنعم الله تعالى علينا وأن نتواصى بالإكثار من حمد الله عز وجل.

ثالثا: أحواله ﷺ مع الحمد.

سنعرض هنا لبعض أحواله ﷺ مع حمد الله ـ عز وجل ـ :

الحالة الأولى: حمده ﷺ عند النوم.

١ ـ عن أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: **«الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافى له ولا مؤوى»** (انظر صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء باب ما يقال عند النوم).

ومعنى **«آوانا»** هيأ لنا المساكن التى نسكن بها من الحر والبرد ونأوى إليها.. **«فكم ممن لا كافى له ولا مؤوى»** أى كثير من الناس لا يحصل لهم هذا الشىء ويحرمون من هذه النعمة، ونحن قد من الله علينا بهذه النعم، فنحن نشكره تعالى على ذلك.

٢ ـ عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا أخذ مضجعه: **«الحمد لله الذى كفانى وآوانى وأطعمنى وسقانى، والذى منَّ علىّ فأفضل، والذى أعطانى فأجزل، الحمد لله على كل حال، اللهم رب كل شىء ومليكه وإله كل شىء، أعوذ بك من النار»** (انظر سنن أبى داود كتاب الأدب باب ما يقال عند النوم، وصححه النووى فى الأذكار ص١٢٤).

الحالة الثانية: عند قيامه ﷺ من النوم للتهجد.

عن عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ﷺ كان إذا قام من الليل يتهجد قال: **«اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد ملك السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق ولقاؤك حق وقولك حق»** (رواه الشيخان).

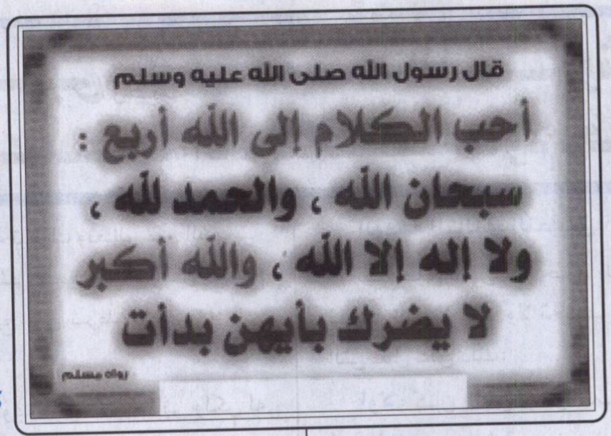

الحالة الثالثة: كان ﷺ يحمد ربه عند الاستيقاظ من النوم.

١ ـ عن حذيفة بن اليمان قال: كان النبى ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: **«باسمك اللهم أموت وأحيا»** وإذا قام قال: **«الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»** (انظر صحيح البخارى كتاب الدعوات باب ما يقول إذا نام. ج ٢٣ ص ١٣٥)..

٢ ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إذا استيقظ أحدكم من منامه فليقل: **«الحمد لله الذى رد على روحى وعافانى فى جسدى وأذن لى بذكره»** (رواه ابن السنى بسند صحيح،انظر الأذكار ص ٣٩ وحسنه فى صحيح الجامع ج ١ ص ٣٦٠).

وفى الحديث الشريف تذكير بثلاث نعم عند الاستيقاظ من النوم وأن المسلم الحق يجب أن يحمد الله تعالى عليها.

النعمة الأولى: «رد على روحى» وهى فرصة للتزود من العمل الصالح فكم من ميت يتمنى لو رجع إلى الدنيا ليتزود منه.

النعمة الثانية: «عافانى فى جسدى» وهى نعمة عظيمة ظاهرة يدركها حقا من حرم منها أو عرف حق الله تعالى عليه فيها.

النعمة الثالثة: «وأذن لى بذكره» وما أعظمها من نعمة لمن وفقه الله تعالى لها فما عمل آدمى عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله كما صح ذلك عن سيدنا رسول الله ﷺ.

الحالة الرابعة: حمد النبى ﷺ ربه بعد قضاء الحاجة.

١ ـ قال الإمام النووى: روينا عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: كان النبى ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: «**الحمد لله الذى أذاقنى لذته وأبقى فى قوته ودفع عنى أذاه**» (انظر الأذكار ص ٤٨، وقال الحافظ بن حجر: فى السند ضعف وانقطاع ولكن للحديث شواهد، انظر روضة المحدثين رقم ٥٠٣٦).

٢ ـ عن أنس قال: كان النبى ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: «**الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى**» (رواه ابن ماجة وصححه السيوطى فى الجامع الصغير ج ٥ ص ١٥٥).

الحالتان الخامسة والسادسة: عند لبس الثوب وأكل الطعام.

١ ـ عن معاذ بن أنس أن النبى ﷺ قال: «**من أكل طعاما فقال: الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن لبس ثوبا فقال: الحمد لله الذى كسانى هذا من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه**» (رواه الترمذى وأبو داود وابن ماجة وحسنه الترمذى وابن حجر كما فى تخريج الأذكار، وانظر المستدرك ج ٢ ص ١٨٦).

٢ ـ قال النووى: وعند أبى داود عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبا سماه باسمه. عمامة أو قميصا أو رداء، ثم يقول: «**اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له**» (رواه الترمذى وأبو داود والنسائى، وقال الترمذى: حديث حسن، انظر الأذكار ص٤٠).

الحالة السابعة: إذا أكل أو شرب.

مضت رواية عن الحمد على الطعام ونزيد عليها ما يلى:

١ ـ عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال: «**الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين**» (رواه أبو داود فى سننه ج ١٠ ص٢٣٥).

٢ ـ عن أبى أيوب قال كان رسول الله ﷺ إذا أكل أو شرب قال: «**الحمد لله الذى أطعم وسقى وسوغه وجعل له مخرجا**» (رواه أبو داود ج ١٠ ص٢٣٦، وصححه النووى فى الأذكار ص ٢٩٠ وعزاه أيضا للنسائى).

فائدة الشرب ثلاثا

عن نوفل بن معاوية قال: «كان ﷺ يشرب ثلاثة أنفاس يسمى الله فى أوله ويحمد الله فى آخره» (رواه ابن السنى وسنده صحيح، انظر صحيح الجامع رقم ٤٩٥٦).

هذا وقد ذكر العلماء فى العصر الحالى إعجازا نبويا فى هذا الحديث، حيث قالوا: إن الماء حين ينزل فجأة بكامله قد يحدث تليفا حادا، ولكن إذا شرب الإنسان ثلاثا، فالأولى تنبه الكبد بدخول الماء، والثانية يدخل الماء إلى الكبد بفائدة جديدة هى تهيئة الكبد وتليينه لاستقبال الماء، والثالثة تقى الكبد من التليف. هذا بالإضافة إلى البسملة والحمد عند كل مرة.

الخاتمة

بعد عرضنا لما تقدم من بعض الحالات التى كان النبى ﷺ يحمد ربه ـ عز وجل ـ عليها نقول: إن المسلم الحق هو الذى يحمد الله تعالى على كل أحيانه مقتديا بالمصطفى ﷺ الذى كان يحمد الله ـ عز وجل ـ على كل أحيانه وقد مضى ذكر ذلك.

ونختم بما وصف الله تعالى به أهل الجنة ـ ونسأل الله تعالى أن نكون من أهلها: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ● دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (سورة يونس الآيتان ٩، ١٠).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

خطب الجمعة لشهر جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ

الإتقان سبيل الأمم المتحضرة

الجمعة ٧ جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ ـ ٢٧ مارس ٢٠١٥م

أولا : العناصر :

١ ـ دعوة الإسلام إلى إتقان العمل.

٢ ـ إتقان العمل واجب دينى ووطنى.

٣ ـ الإتقان سبيل رفعة البلاد.

٤ ـ المراقبة والمتابعة طريق الإصلاح.

ثانيًا : الأدلة :

الأدلة من القرآن الكريم :

١ ـ يقول الله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة:١٠٥).

٢ ـ ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٣٠).

٣ ـ ويقول تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٨٨).

٤ ـ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ (آل عمران: ١٩٥).

٥ ـ ويقول تعالى: ﴿... إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: ٩٠).

٦ ـ ويقول تعالى: ﴿... وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ١٢٨).

٧ ـ ويقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود: ١١٧).

الأدلة من السنة والآثار:

وعَنْ عَائِشَةَ (رضى الله عنها) أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ (عز وجل) يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ»، وفى رواية : «إن

الله تعالى يُحب من العامل إذا عمل العمل أن يُحسن» (رواه البيهقى فى الشعب).

وعَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ الجَرْمِىِّ قَالَ: حَدَّثَنِى أَبِى كُلَيْبٌ أَنَّهُ شَهِدَ مَعَ أَبِيهِ جَنَازَةً شَهِدَهَا رَسُولُ الله ﷺ وَأَنَا غُلامٌ أَعْقِلُ وَأَفْهَمُ، فَانْتَهَى بِالجَنَازَةِ إِلَى القَبْرِ وَلَمَّا يُمكَن لَهَا، قَالَ فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «سَوُّوا لَحْدَ هَذَا» حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ سُنَّةٌ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّ هَذَا لاَ يَنْفَعُ المَيِّتَ وَلاَ يَضُرُّهُ، وَلَكِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنَ الْعَامِلِ إِذَا عَمِلَ أَنْ يُحْسِنَ» (شعب الإيمان للبيهقى).

و عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِى عَنِ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً». قَالَ صَدَقْتَ.... قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ...» (متفق عليه).

وعَنْ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» (صحيح مسلم).

وقال أبو بكر رضي الله عنه: «إن عليك من الله عيونًا تراك» (مجمع الأمثال للميدانى).

وقال عمر رضي الله عنه: «إلى الله أشكو ضَعْفَ الأمين وخيانة القوى» (مجمع الأمثال للميدانى).

ثالثًا- الموضوع:

إن الإتقان فى العمل والاهتمام به والمحافظة عليه والتميز فيه من أهم القيم والمبادئ التى دعا إليها الإسلام، فهو أساس نهضة الأمة ,به يعلو شأنها ,وتستقيم حياتها ,وبه يكون بناؤها بناءً قويًا شامخًا ,والإتقان هو الذى تقوم عليه الحضارات، ويعمر به الكون وكذلك هو هدف من أهداف الدين يسمو به المسلم ويرقى به إلى مرضاة الله تعالى والإخلاص له، لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، وإخلاص العمل لا يتم إلا بإتقانه.

ولقد لفت الله تعالى أنظارنا إلى الإتقان، حيث خلق كل شىء بإتقان مُعجز، يقول تعالى:﴿...صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٨٨)، وأوجب على الإنسان السعى نحو الإحسان والإجادة، ونهاه عن الإفساد فقال: ﴿...وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥)، وقال: ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِى الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧).

ولقد دعانا القرآن الكريم فى كثير من آياته إلى إتقان العمل وتجويده والإخلاص فى أدائه طلبًا لمرضاة الله تعالى، ونصحًا لعباده، وخدمة وتعاونًا بين أفراد المجتمع، ووعد على ذلك الثوابَ العظيمَ والثناء الحسن فى الدنيا والآخرة، وبيَّن أن الإنسان وهو يزاول عملًا ما يكون تحت رقابة الله العليم بمكنونات الصدور وخفايا القلوب، وأنه لا يغيب عنه مثاقيل الذر من أعمال العباد، فهو سبحانه يسطرها لهم ويسجلها عليهم ويجازيهم بها يوم يلقونه، قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى الأَرْضِ وَلاَ فِى السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (يونس:٦١)، فالله تعالى مطلع على جميع أحوالكم فى حركاتكم وسكناتكم، فراقبوا الله تعالى فى أعمالكم وأدوها على وجه النصيحة والاجتهاد فيها، فعلى كل عامل أن يتقن عمله ويبذل فيه الجهد لإحسانه وإحكامه تعبدًا وتقربًا إلى الله تعالى قبل أى شىء آخر، فالله عز وجل هو الذى يراه ويراقبه فى عمله ,يراه فى مصنعه وفى مزرعته وفى مجال من مجالات سعيه، يقول تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥).

يقول الشوكانى رحمه الله: قوله: ﴿وَقُلِ اعملوا فَسَيَرَى الله عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ والمؤمنون﴾، فالأمر فيه تخويف وتهديد: أى إن عملكم لا يخفى على الله، ولا على رسوله ولا على المؤمنين، فسارعوا إلى أعمال الخير، وأخلصوا أعمالكم لله ـ عزّ وجلّ ـ وفيه أيضًا ترغيب وتنشيط، فإن من علم أن عمله لا يخفى سواء أكان خيرًا أم شرًا رغب إلى أعمال الخير، وتجنب أعمال الشرّ، وما أحسن قول زهير:

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

والمراد بالرؤية هنا: العلم بما يصدر منهم من الأعمال، ثم وعد سبحانه بوعيد شديد فقال: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أى: وستردّون بعد الموت إلى الله سبحانه، الذى يعلم ما تسرّونه وما تعلنونه، وما تخفونه وما تبدونه» (فتح القدير).

وفى السنة النبوية دعوة إلى محاولة الوصول إلى الأفضل والأحسن والأتقن، ففى الصلاة يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، وفى قراءة القرآن يقرؤه الماهر به الذى بشره الرسول ﷺ بأنه مع السفرة الكرام البررة، وفى قصة مشروعية الأذان حينما رأى عبد الله بن زيد الرؤيا قال له الرسول ﷺ: «أَلْقِهِ عَلَى بِلَالٍ، فَإِنَّهُ أَنْدَى مِنْكَ صَوْتًا» (سنن البيهقى)، ويأمر من يلى أمر الميت بقوله: «إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ» (رواه مسلم).

وهكذا بينت السنة النبوية أن كل عمل يعمله الإنسان لابد وأن يكون حسنًا متقنًا، وأن يراعى الله

تعالى فيه؛ لأن الله مطلع على قلوب العباد ويحصى عليهم أعمالهم دقَّت أو جلَّت.

فالإحسان والإتقان والحرص على بلوغ الكمال فى العمل قربة وطاعة لله عز وجل، وإن لم ينتفع الإنسان بذلك فى الدنيا ؛ لأنه فعل شيئًا يحبه الله تعالى، فعَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ الجَرْمِيِّ قَالَ:

حَدَّثَنِى أَبِى كُلَيْب أَنَّهُ شَهِدَ مَعَ أَبِيه جَنَازَةً شَهِدَهَا رَسُولُ الله ﷺ وَأنَا غُلامٌ أَعْقِلُ وَأَفْهَمُ، فَانْتَهَى بِالجَنَازَةِ إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُمكِن لَهَا، قَالَ فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «سَوُّوا لحْدَ هَذَا» حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ سُنَّةٌ، فَالْتَفَتَ إِلَيهِمْ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّ هَذَا لاَ يَنْفَعُ المَيِّتَ وَلاَ يَضُرُّهُ، وَلَكِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنَ الْعَامِلِ إِذَا عَمِلَ أَنْ يُحْسِنَ» (شعب الإيمان)، فهاهو رسول الله ﷺ يأمر بالإتقان فى موضوع لا ينفع ولا يضر، لكنه يريد أن يُربىَ المسلمين على الإجادة والإتقان، يريد تربية الشخصية المسلمة على تَلَمُّسِ طريق الكمال.

والذى يتقن عمله ويحسنه لن يضيع سعيه وجهده، بل سينال جزاءً حسنًا فى الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ (الكهف:٣٠)، ويقول تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ (آل عمران: ١٩٥)، فالذى يسعى نحو الإجادة والإتقان فى كل عمل يعمله صالحٌ فاضلٌ، نورُ الهدى ساطع فى قلبه، حريص على حقوق الله وحقوق الناس، معتصم بالفضيلة يضع كل شىء فى مكانه الجدير به واللائق له، فالمسلم مطالب بالإتقان فى كل أعماله التعبدية والسلوكية وما يتصل منها بالمعايش لأن كل عمل يقوم به المسلم يعد عبادة ما دام مقرونًا بنيّة التعبد لله تعالى يُجازى عليه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢).

أما الذى لا يتقن عمله ولا يراقب الله تعالى فيه فإنه آثم، آثم بقدر ما يتسبب فيه من ضياع الأموال وإهدار الطاقات، فهذا الموظف الذى يقصر ويهمل ولا يتقن عمله ويرضى لنفسه أن يتقاضى أجرًا حرامًا يخاصمه فيه الشعب كله يوم القيامة، فهذا عمر رضي الله عنه يقول لمعيقيب عامله على بيت المال الذى أعطى ولده درهمًا وجده وهو يكنس بيت المال: «ويحك يا معيقى»! أوجدتَ علىَّ فى نفسك شيئًا؟ قال قلت: ما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: أردت أن تخاصمنى أمة محمد ﷺ فى هذا الدرهم؟!» (الورع لابن أبى الدنيا).

فهذا الذى يعمل فى رصف الطرق فلا يراعى الله فى عمله فيتسبب فى فساد الطرق آثم بقدر ما يتسبب فيه من حوادث وقتل، وهذا الفلاح الذى لا هَمَّ له إلا جمع المال وفى سبيله يُهلك أجسام الناس بالمبيدات السامة غشاش قاتل يأثم بقدر كل كبد أفسده وبقدر كل كُلْيَة أفشلها، وهذا الصانع الذى لا يتقن صنعته فينتج سلعة مغشوشة آثم غشاش يدخل فيمن تبرأ منهم النبى ﷺ حين قال: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» (صحيح مسلم).

فمن كانت هذه صفتهم يتحملون وزر تأخر الأمة وتخلف البلاد، نشكوهم إلى الله تعالى، يقول عمر

رضي الله عنه: «إلى الله أشكو ضَعْفَ الأمين وخيانة القوى» أما يعلم هؤلاء جميعًا أن الله يراهم، ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (العلق: ١٤)، ألم يعلموا أن الرقيب عليهم هو الله تعالى؟! ﴿...إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١).

إن من أشد أسباب تأخرنا وإهدار الطاقات والثروات فى بلادنا وجود نوعية من الموظفين أو من العاملين فى المجالات المختلفة لا يبالون بما وقعوا فيه من تقصير أو تأخر أو غياب، يخرجون من أعمالهم قبل إنهاء ما كلفوا به من أعمال وأداء ما حُمِّلوه من أمانة، متناسين أن هذه الأعمال أمانة سيسألون عنها يوم القيامة، ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (الصافات: ٢٤).

إن وطننا الحبيب لن ينهض ويحقق آماله إلا بعد أن يزكى كل عامل قلبه بالإخلاص وينقى لُبَّهُ بالإحسان، ويعلم أنه لن تعلو مرتبته إلا بحسن العمل وجودة الإنتاج ,وسلامة الصنع ونبل المقصد، وسيجد المجتمع عند ذلك فى إتقان العمل ما يوفر الجهد والمال والوقت وما يحفظ الحقوق من الضياع والإهمال، وهنا تسعد البلاد وتنعم بهذا الإتقان ويجنى من ثمار عقول وسواعد أبنائها ما يغنيها عن غيرها ويحفظ لها عزتها وكرامتها، أما حين يسود الإهمال ويستبدُّ الكسل والخمول وينعدم الضمير فسيتجرع المجتمع مرارة ذلك، ويسهم ذلك فى تخلف الأمة برمتها.

إن من أسباب تقدم غيرنا فى الميادين المختلفة إتقان العمل وإحسانه وقيام كل فرد بواجبه وما يناط به من عمل على خير وجه، فمن أتقن وأحسن تقدم وإن كان كافرًا، ومن أساء وقصر شقى وتأخر وإن كان مسلمًا، يقول ابن تيمية (رحمه الله): «إِنَّ اللَّهَ يُقِيمُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً، وَلاَ يُقِيمُ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً» (فتاوى ابن تيمية)، فهذه سنة الله فى خلقه، وقد قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ﴾ (هود: ١٥)، وفى نفس السورة يقول عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود: ١١٧)، فالله سبحانه لا يخلف سننه مع من يصلحون بها دنياهم ولو كانوا أهل إشراك، فإذا ما أدرك المسلم أهمية الإتقان وضرورته وما يؤدى إليه من نتائج جيدة، وإذا أدرك كذلك عاقبة الإهمال والتقصير وخطورته وما يؤدى إليه من عواقب وخيمة دفعه ذلك إلى الإتقان وإجادة ما يقوم به من أعمال لينفع نفسه ومجتمعه.

ما أحوجنا اليوم إلى أن نربىَ أجيالاً على مراقبة الله تعالى، فالمراقبة تكسب الأمة المسلمة الإخلاص فى العمل، كما أنها تجرد العمل من مظاهر النفاق والرياء، فكثير من الناس يتقن عمله ويجوّده إن كان مراقبًا من رئيس له، أو قصد به تحقيق غايات له أو سعى إلى السمعة والشهرة لأنه يفتقد المراقبة الداخلية التى تجعله يؤدى عمله بإتقان فى كل الحالات دون النظر إلى الاعتبارات التى اعتاد بعضهم عليها.

فأين نحن من مراقبة الله تعالى؟! وأين نحن من الإحسان الذى ذكره النبى ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، ورحم الله ابن المبارك حيث قال لرجل: «رَاقِبِ اللهَ تعالى، فسأله عن تفسيره فقال: كن أبدًا كأنك ترى الله ـ عز وجل ـ » (إحياء علوم الدين)، ويقول أبو بكر رضي الله عنه: «إن عليك من الله عيونًا تراكس فالمسلم يستشعر دائمًا أن الله تعالى يراه ويطلع عليه فيتقن عمله إرضاءً لله تعالى، بغض النظر عمن يراه ويراقبه من الخلق.

إن تَمَثُّلَ هذه المعانى الإيمانية هو المخرج مما يعانيه المجتمع، فإنه من الصعب بل ربما كان من المستبعد أو المستحيل أن نجعل لكل إنسان حارسًا يحرسه، أو مراقبًا يراقبه، وحتى لو فعلنا ذلك فالحارس قد يحتاج إلى من يحرسه، والمراقب قد يحتاج إلى من يراقبه، لكن من السهل أن نُربىَ فى كل إنسان ضميرًا حيًا ينبض بالحق ويدفع إلى الخير لأنه يراقب من لا تأخذه سنة ولا نوم.

عناية الإسلام بالضعفاء والأيتام وذوى الاحتياجات الخاصة

الجمعة ١٤ من جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ - ٣ أبريل ٢٠١٥م

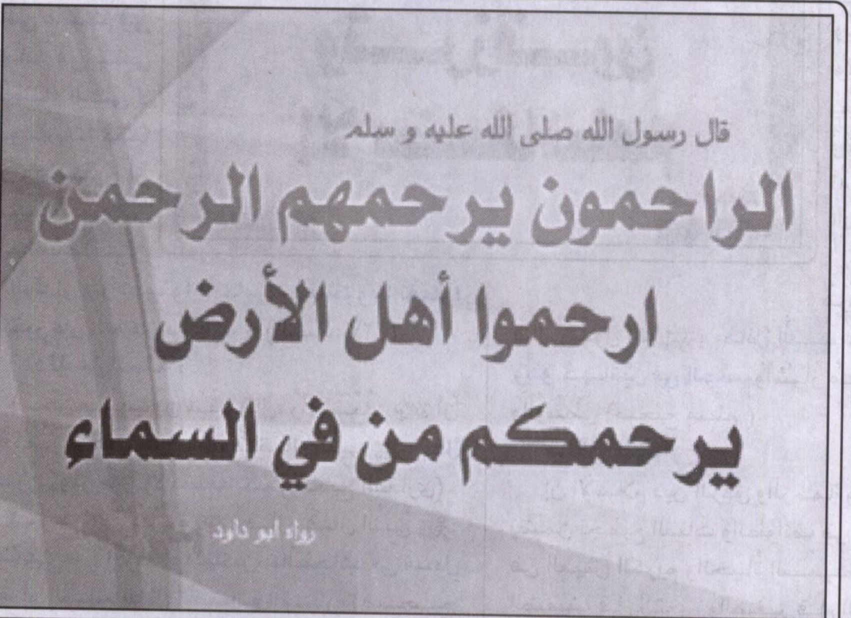

أولاً: العناصر:

١ - الإسلام دين الرفق والرحمة.

٢ - مكانة الضعفاء عند الله تعالى.

٣ - مراعاة الإسلام لذوى الاحتياجات الخاصة وحقوقهم.

٤ - مراعاة الإسلام لحقوق اليتامى والمساكين.

ثانيًا: الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١ - قال تعالى: ﴿...وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦).

٢ - وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ • وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ • إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: ٩١:٩٣).

٣ - وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٢٠).

٤ - وقال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا • إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ٩، ١٠).

٥ - وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم

رواه البخاري

٦ - وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ (النساء: ١٢٧).

الأدلة من السنة:

١ - عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: رَأَى سَعْدٌ رضي الله عنه أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلاَّ بِضُعَفَائِكُمْ» (صحيح البخارى).

٢ - وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ» (صحيح البخارى).

٣ - وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي غَزَاةٍ، فَقَالَ: «إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلاَ وَادِيًا إِلاَّ وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ» (صحيح البخارى).

٤ - وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رضى الله عنهما) يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ اللَّهُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ» (رواه الحاكم فى المستدرك).

٥ - وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَغُلاَمٌ أَسْوَدُ يُقَالُ لَهُ: أَنْجَشَةُ يَحْدُو، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ» (رواه مسلم).

٦ - وعن يَحْيَى بْنِ عُقَيْلٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه يَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيُقِلُّ اللَّغْوَ، وَيُطِيلُ الصَّلاَةَ، وَيُقَصِّرُ الخُطْبَةَ، وَلاَ يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الأَرْمَلَةِ، وَالْمِسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ الحَاجَةَ» (سنن النسائى).

٧ - وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ» وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى (صحيح مسلم).

ثالثاً - الموضوع:

إن الإسلام دين الرفق والرحمة والمحبة والمودة، يضمن لجميع الفئات والطوائف فى المجتمع حقها فى العيش الكريم والحياة السعيدة، ويُراعى فيه الضعيف قبل القوى، والصغير قبل الكبير، والمريض قبل الصحيح، بل إن شئت فقل يراعى حق الحيوان، وذلك لأنّ رحمة الله عزَّ وجلَّ لم تقتصر على الإنسان فحسب، بل وسعت كلّ شىء، قال تعالى: ﴿...وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦).

وهذا ما يتضح من توجيهات النبى ﷺ وتعاليمه، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَسَقَتْهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلاَ هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ» (صحيح البخارى)، فهذا أعظم ميثاق جعله الإسلام ضمانًا للعيش الكريم، حتى فى حق الحيوان، فما أعظمها من رحمة!

وتتجلى رحمة الإسلام فى تشريعاته التى من

أهمها مراعاة الفئات الضعيفة التى لا تقوى على قضاء حوائجها، أو السعى فى مصالحها، وهى فئات مهمة فى المجتمع لا يمكن أن يغفلها، لأنّ الإسلام لا يعرف ما يسمى بالفئات المهمشة، فالجميع فيه سواء الرّجل والمرأة، الصغير والكبير، الغنى والفقير، إنه دين يُحدث التكامل ويقيم التوازن بين أفراد المجتمع، فينعكس أثر ذلك على المجتمع بأسره حبًّا وحنانًا ومودة وسعادة.

وحين يعطى الإسلام الضعفاء مزيدًا من الرعاية والعناية، فإن ذلك ينصب فى مصلحة الأقوياء والأصحاء والأغنياء، إذ يزول الحقد والحسد والمرض النفسى، وتعمُّ روح الوئام والسلام، ويظهر المجتمع بصورة ترضى الله (عز وجل) وتستوجب رحمته، فالخير والبركة لا تحلُّ إلا بسبب مراعاة هؤلاء الضعفاء والقيام على قضاء حوائجهم، فعَنْ مُصْعَبِ ابْنِ سَعْدٍ قَالَ: رَأَى سَعْدُ بن أبي وقاص رضي الله عنه أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلاَّ بِضُعَفَائِكُمْ»**.

وهذه حقيقة يؤكدها النبى ﷺ مبينًا فضل هؤلاء الضعفاء أطفالاً كانوا أو شيوخًا، مرضى أو فقراء، أو حتى نساءً، فلقد جعلهم الله تعالى محل نظره وسبب رحمته، فمن أرضاهم رضى الله عنه، ومن أغضبهم أو انتقصهم حقوقهم وقدرهم غضب الله عليه.

وقد وصف الله - عز وجل - حال هؤلاء الضعفاء وبين قدرهم ومنزلتهم ومكانتهم عنده سبحانه، فهم مع ضعفهم يتمنّى أحدهم لو يجد ما يُسهم به فى خدمة دينه ووطنه، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم فى قول الله تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ • وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ**﴾ (التوبة: ٩١، ٩٢).

وإذا ما تأملنا سنة النبى ﷺ نجد أنه قد اهتم بالضعفاء اهتمامًا بالغًا، وأولاهم رعاية خاصة، حتى إنه حين انشغل عن أحدهم وأعرض عنه ولم يعطه اهتمامًا عاتبه الله عز وجل فيه، فقد جاء عبد الله ابن أم مكتوم - وكان كفيف البصر - إلى رسول الله ﷺ ذات يوم وعنده صناديد قريش: عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة، يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم، فقال: يا رسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله تعالى، وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم، فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه، فنزلت الآيات من قول الله تعالى: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى • أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى • وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى • أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى • أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى • فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى • وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى • وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى • وَهُوَ يَخْشَى • فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى**﴾ (عبس: ١: ١٠)، فكان رسول الله ﷺ، يكرمه ويقول له إذا رآه: **«مرحبًا بمن عاتبنى فيه ربى»** ويقول: «هل لك من حاجة». (تفسير ابن كثير - تفسير روح المعانى).

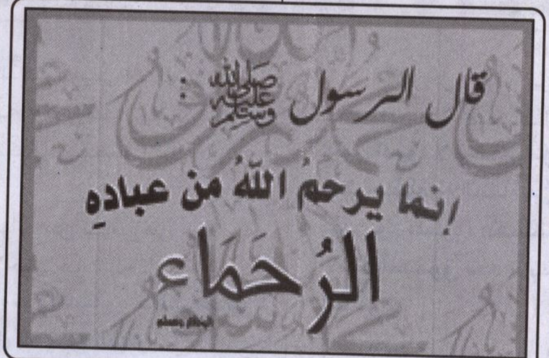

لقد كان - صلوات الله وسلامه عليه - يسعى فى قضاء حوائج هؤلاء الضعفاء، ويزور مريضهم ويخفف من آلامهم، ويطعم جائعهم، ويقضى عن غارمهم، ويبش لهم ويرحمهم، فمن أحسن إلى الضعفاء ازداد قربًا من رحمة الله (عز وجل)، قال تعالى: ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾

(الأعراف: ٥٦)، والنبى ﷺ يفعل هذا معهم والسعادة تَغْمُر قلبه والرحمة تملأ حنايا صدره، فعن يَحيى بن عُقَيل قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّه بْنَ أَبِى أَوْفَى يَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيُقِلُّ اللَّغْوَ، وَيُطِيلُ الصَّلاَةَ، وَيُقَصِّرُ الْخُطْبَةَ، وَلاَ يَأْنَفُ (يستكبر) أَنْ يَمْشِىَ مَعَ الأَرْمَلَةِ، وَالْمِسْكِينِ فَيَقْضِىَ لَهُ الْحَاجَةَ» (سنن النسائى).

ثم يبين النبى ﷺ ثواب من سعى فى خدمة هؤلاء الضعفاء وذوى الاحتياجات الخاصة، حيث يقول: «**السَّاعِى عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ**» فيا له من ثواب جزيل وفضل عظيم لمن فَعَلَ فِعْلَ المصطفى ﷺ واقتفى أثره.

ولننظر كيف يحافظ الإسلام على حقوق هؤلاء الضعفاء الذين كرمهم الله (عز وجل) ورفع قدرهم؟ إن الإسلام ينظر إلى هذا العجز أو المرض على اختلاف أنواعه ومقداره على أنه ابتلاء من الله (عز وجل) لابد أن نتلقاه ونتقبله بالرضا والصبر والدعاء فهو منحة من الله يرفع بها المؤمن ويكفِّر بها من خطاياه، قال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى الأَرْضِ وَلاَ فِى أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ● لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ (الحديد: ٢٢، ٢٣)، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**» (صحيح البخارى) ومن ثمَّ فمن ابتلى فى ولده أو أهله أو نفسه بشىء من ذلك فليوقن تمام اليقين أن هذا من الله رحمةً به ومنحةً إليه، وليصبر وليتعلم كيف يتعامل مع الابتلاء وكيف يحافظ على حقوق الضعفاء.

والحذر كل الحذر من السخرية والاستهزاء بمن كان هذا حاله فقد قال الله (عز وجل): ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ (الحجرات: ١١) فيَحرم التعرض لهم بنظرة تحمل ازدراءً، أو بقول ينال من حالتهم، أو بعمل ينتقص من حقهم، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**لاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا**» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**» (صحيح مسلم).

إنَّ المسلم صاحب أدب وخلق جمّ يحسن فى معاملة الناس جميعًا، ويتأدب فى تعامله مع أحبابه من ذوى الاحتياجات الخاصة أو الضعفاء، ولقد علمنا الإسلام ماذا نقول إذا رأينا من ابتلى ببلاء، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ رَأَى مُبْتَلًى، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى عَافَانِى مِمَّا ابْتَلاَكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِى عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلاَءُ**» (سنن الترمذى) وإنَّ هذا من شكر الله تعالى على نعمه ولنعلم أن الصحيح قد يمرض، وأن

الغنى قد يفتقر، وأن الحى سيموت، وكل شىء عند الله بقدر.

ومن حقوق الضعفاء التى كفلها لهم الإسلام: توفير الحياة الكريمة فى المأكل والمشرب والمسكن، وتوفير دور الرعاية الصحية والاجتماعية لهم، وتنمية الطاقات الكامنة فيهم وتوظيفها فى محلها، فمنهم من يقدر على عمل إبداعى فكرى، ومنهم من يقدر على عمل رياضى بدنى، فهو إذا شارك الناس فيما يقدر عليه ووجد لمسة حانية ممن حوله، خفّ عنه الألم النفسى، وأحسّ بأنه جزء من مجتمع يحبه ويحافظ عليه.

ومن هؤلاء الضعفاء (اليتامى)، فقد وجه الإسلام أتباعه بالحفاظ على أموالهم، حيث أمر الله ـ عز وجل ـ الأوصياء، وكل من له صلة قرابة بيتيم أن يحسن إليه ويقوم على شئونه والقيام باحتياجاته ورعاية أمواله، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَابِ فِى يَتَامَى النِّسَاءِ اللاتِى لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ (النساء: ١٢٧)، والقسط هو العدل، وهو يقتضى ممن قام على مصالح اليتيم أن يتقى الله فيها ويرعاها كما يرعى ماله، فهذا توجيه من الله (عز وجل) لهؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى أو يهملونها أو يستغلّونها فى مصالحهم الشخصية، وخاصة فى معاملة اليتيمات.

كذلك وجه الله تعالى الأولياء والأوصياء برعاية اليتيم وإصلاح ماله وحاله سواء كان هذا اليتيم قريبًا أو غريبًا، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٢٠).

ولو تأملنا الآية ونظرنا على وجه التحديد فى موقع كلمة (إصلاح) ثم فكرنا فى بدائلها اللغوية وما يرادفها لوجدنا أن العربية فى عمقها واتساعها عاجزة عن أن توافينا بكلمة تقوم مقامها فى هذا الموضع، فالإصلاح أمر جامع لما يحتاج إليه اليتيم، فقد يحتاج إلى المال فيكون الإصلاح برًا وعطاءً ماديًا، وقد يحتاج إلى من يتاجر له فى ماله أو من يقوم على زراعته، أو صناعته، فيكون الإصلاح هو القيام بذلك كما قال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: «ابتغوا بأموال اليتامى، لا تأكلها الصَّدقة» (السنن الكبرى للبيهقى)، وقد لا يحتاج اليتيم إلى المال، وإنما يحتاج إلى التقويم والتربية فيكون الإصلاح هنا رعايةً وتربيةً، وقد لا ينقصه هذا ولا ذاك، وإنما تكون حاجته إلى العطف والحنو والإحساس بالأبوة، فيكون الإصلاح إشباع ذلك عنده.

ولأجل هذا كان ترغيب النبى ﷺ فى كفالة اليتيم، فعَنْ أبى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِى الْجَنَّةِ**» وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى (صحيح مسلم).

وكان التحذير الأكيد والوعيد الشديد لكل من اعتدى على أموال اليتامى بأكلها أو ضياعها واضحًا فى قول الله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا • إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ٩، ١٠).

وبهذا لا يترك الإسلام اليتامى نهبًا للأوصياء أو الطامعين أو مستغلى حالِ ضعفهم، وإنما يشدّد على حفظهم وتعهدهم بالرعاية والعناية، لئلا تضيع حقوقهم وتُهمَل تربيتهم، فنجد المجتمع يعانى من ظواهر سلبية كأطفال الشوارع والعاطلين والمتسوّلين.

وهكذا يراعى الإسلام الضعفاء على اختلاف أنواعهم وتباين أسباب ضعفهم، ما بين مريض أو فقير أو يتيم أو امرأة صغيرة أو مسنّة، أو أحد من ذوى الاحتياجات الخاصة، ويعلمنا الإسلام كيف نتعامل معهم ونراعى شعورهم، ولنعلم أنهم جميعًا يتمنون السعى فى الخير وتقديم ما به حفظ الدين والأوطان، غير أن العذر حال دون فعل ما يقوم به الأصحاء، ولنوقن تمام اليقين أن مساعدتنا لهم ماديًا ومعنويًا يعود خيرها علينا وعلى المجتمع بأسره، حيث تعم المحبة والسلام.

حق الطريق والمرافق العامة

الجمعة ٢١ من جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ - ١٠ من أبريل ٢٠١٥م

أولا: العناصر:

١ - شمولية الإسلام لكل جوانب الحياة.

٢ - من حقوق الطريق وآدابه:

- غض البصر.
- كفُّ الأذى.
- ردُّ السلام.

٣ - دعوة الإسلام إلى الحفاظ على المرافق العامة.

ثانيا: الأدلة:-

الأدلة من القرآن الكريم:-

١ - قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ (لقمان:٢٠).

٢ - وقال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا • وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا • وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا • إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا • وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٣: ٦٧).

٣ - وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا • وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا • كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ (الإسراء: ٣٦ : ٣٨).

٤ - وقال تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ • وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (النور: ٣٠، ٣١).

٥ - وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ

يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ• يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٢،١١).

٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (النساء: ٨٦).

٧ ـ وقال تعالى: ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ٨٥).

٨ ـ وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٦١).

٩ ـ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء: ٢٩).

الأدلة من السنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» (رواه مسلم).

وعن عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ». قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» (رواه مسلم).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «النَّظْرَةُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومَةٌ فَمَنْ تَرَكَهَا مِنْ خَوْفِ اللَّهِ أَثَابَهُ جَلَّ وَعَزَّ إِيمَانًا يَجِدُ حَلاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ» (المستدرك للحاكم).

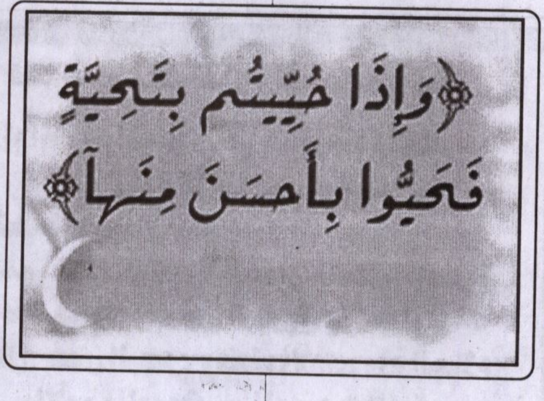

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي» (رواه مسلم).

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ» (مسند أحمد).

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ. قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ» ثُمَّ قال: «أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ من جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٦ :١٧)، ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ الْجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمِلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى.

فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: تَكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!» (سنن ابن ماجه).

وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيد أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ» (المعجم الكبير للطبرانى).

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَتَقَلَّبُ فِى الْجَنَّةِ فِى شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِى النَّاسَ» (صحيح مسلم).

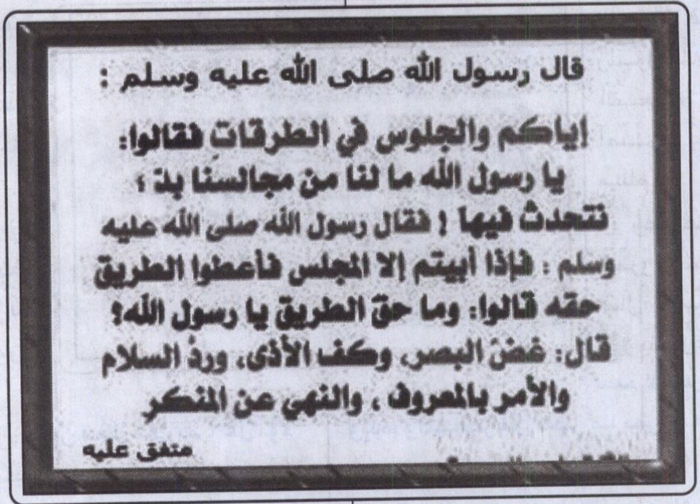

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ» (رواه مسلم).

ثالثا: الموضوع:

لقد خلق الله تعالى الإنسان وكرّمه، وهيأ له من الأسباب ما يساعده على الحياة الكريمة، فسخر كل ما فى السموات وما فى الأرض لخدمته ومنفعته، قال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ (لقمان: ٢٠).

والمتأمل فى شريعة الإسلام يجد أنها قد شملت واستوعبت كل مناحى الحياة وشئونها، فلم تدع مجالاً فى السلوك العام أو الخاص إلا وحثّت عليه، ومن هنا فلا غرو أن تكون لتوجيهات الإسلام وأحكام الشريعة دورٌ بالغٌ فى تنظيم شئون المجتمع، ولا أدل على ذلك من أن مدونات أهل الإسلام فى الفقه والأخلاق لا تزال مشحونة بالحكم والأحكام فى فهم شئون الإنسان وسياسة المجتمعات، مع نماذج حية وسِيرٍ فذة وتطبيقات جلية على مدى تاريخ الأمة المجيد.

وإن مما يُظهر شمولية هذا الدين وجلاءَ حِكَمه وأحكامه ما أوضحته آيات القرآن الحكيم وأحاديث النبى الكريم ﷺ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا • وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا • وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا • إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا • وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٣: ٦٧).

وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا • وَلاَ تَمْشِ فِى الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا • كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ (الإسراء: ٣٦ : ٣٨).

وفيما رواه الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ

لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ».

ولما كانت شريعتنا الغراء قد اهتمت بسعادة الناس فى دنياهم وأخراهم، شرعت لهم من الآداب والأخلاق التى لو التزموا بها لعاشوا حياة طيبة كريمة فى الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (الجن: ١٦).

ومن هذه الآداب وتلك الأخلاق التى حثَّ عليها ديننا الحنيف: إعطاء الطريق حقَّه، والالتزامُ بآدابه وواجباته، فعن عَنْ أَبِى سَعِيد الخُدْرِىِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ». قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الأَذَى وَرَدُّ السَّلاَمِ وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْىُ عَنِ الْمُنْكَرِ» (رواه مسلم).

ويؤكد ضرورة هذه الحقوق للطريق فى حياتنا؛ حيث لم تعد الطرقات كما كانت قديمًا مجتمعًا لقضاء حوائج الناس والنقاش فى مسائلهم الملحة، بل أصبحت مرتعًا لذوى الأغراض الدنيئة، المتبعين للشهوات، والمتتبعين للعورات.

وعلى ذلك تأتى هذه الحقوق علاجًا لما هو حاصل فى واقع حياتنا من مخالفات يرتكبها بعض الناس فى الطرقات، وحسب ترتيب الحديث النبوى لهذه الآداب يقع غضّ البصر الحق الأول من حقوق الطريق:

وقد جاء الأمر بغض البصر عاما فى الرجال والنساء على السواء، وذلك لخطر النظر الفاحش من كلا الطرفين للآخر، ويؤكد هذا ما جاء فى الحديث عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «النَّظْرَةُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومَةٌ فَمَنْ تَرَكَهَا مِنْ خَوْفِ اللَّهِ أَثَابَهُ جَلَّ وَعَزَّ إِيمَانًا يَجِدُ حَلاَوَتَهُ فِى قَلْبِهِ» (المستدرك للحاكم).

ولأجل هذا دعا الإسلام أتباعه إلى غض البصر، فقال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ • وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (النور: ٣٠، ٣١).

وعلى ذلك فلو غض الإنسان بصره لاطمأنت نفسه وهدأ قلبه وسكن فؤاده.

وقد راعى الإسلام فى الإنسان الخطأ غير المقصود، فلم يغفل ما قد يقع من الناس بدون قصد منهم، لذا أمر من نظر إلى امرأة أجنبية أن يصرف بصره عنها ولا يتمادى، لما رواه مسلم فى صحيحه عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ فَأَمَرَنِى أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِى، (رواه مسلم).

أما الحق الثانى من حقوق الطريق فهو كفُّ الأذى عن المارَّة، وعدم التعرض لهم بأى لون من ألوان الاعتداء، سواء كان هذا فى أبدانهم أو أعراضهم، بغض النظر عن أجناسهم وألوانهم وأديانهم، ففى الحديث عن عَبْد الله بْن عَمْرو (رضى الله عنهما) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ

النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ» (مسند أحمد).

ولما كانت المجالس كثيرًا ما تشتمل على الغيبة والنميمة والاستهزاء والسخرية ؛ كان تشديد الإسلام على خطورة اللسان باعتباره الأداة الأولى فى الإيذاء ؛ لذا جاء الحديث عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رضى الله عنه) قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِى سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِى بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِى الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِى مِنَ النَّارِ. قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِى الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ» ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٦ :١٧)، ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ الْجِهَادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمِلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قُلْتُ: بَلَى. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «تَكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا» قُلْتُ: يَا نَبِىَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِى النَّارِ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!» (سنن ابن ماجه).

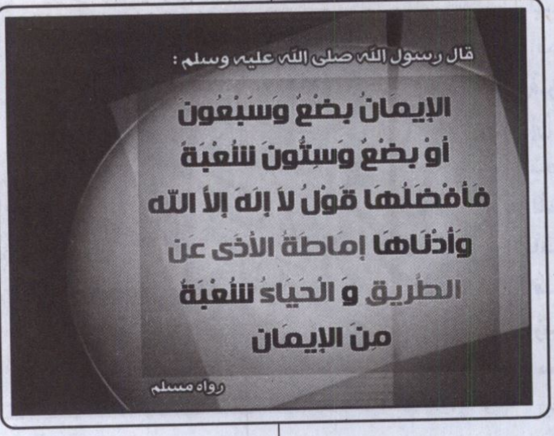

فليحذر المسلم ألوان الإيذاء للآخرين باللسان أو اليد ؛ فلا يسخر أو يستهزئ ولا يشتم ولا يسب ولا يغتاب ولا ينم ولا يتجسس، حيث نهى الحق تبارك وتعالى عن ذلك كله، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ• يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١١، ١٢).

كذلك فليحذر المسلم أن يعتدى على الآخرين بأى نوع من التطاول، وخاصة ما يكون باليد كضرب برىء أو قتل نفسٍ أو سفك دمٍ أو نحو ذلك، وليعلم أن هذا من الإفساد فى الأرض ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة: ٦٤)، وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أسيد أَنَّ النَّبِى ﷺ قَالَ: «مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِى طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ» (المعجم الكبير للطبرانى).

وسر هذا أن الاعتداء على حرمات الطرقات أمر يكرهه الإسلام وتحذر منه الشريعة، وذلك لما فيه من مخاطر على الفرد والمجتمع؛ حيث تحول بعض الطريق من وسيلة لإنجاز حوائج الناس إلى أداة لترويعهم، وأصبح الإنسان ـ رجلاً كان أو امرأة ـ لا يأمن على نفسه أو أهله من السير فى الطريق لما يكتنفه من مخاطر .

ثم إن جزاء ذلك منصوص عليه فى قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلاَفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ • إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٣، ٣٤).

ويا ليت الناس يعلمون عظم فضل إماطة الأذى عن طريق الناس ومجالسهم، فما أعظمه من أجر يناله الإنسان حينما يرفع الأذى عن الناس، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) عَنْ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَتَقَلَّبُ فِى الْجَنَّةِ فِى شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِى النَّاسَ» (صحيح مسلم).

وكذلك من أبرز حقوق الطريق: ردُّ السلام. فهو أدبٌ كريمٌ يتخلق به أبناء الإسلام، وحق يحفظونه لإخوانهم، يغرس المحبة ويزرع الألفة ويغسل الأحقاد، ويستجلبُ به رضا الله تعالى وغفرانه، ففى الحديث عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَىْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ» (رواه مسلم).

فمن جلس بطريق يمر به المارة فيسلمون عليه وجب عليه أن يرد عليهم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ (النساء: ٨٦).

أما إذا جلس الإنسان فى طريق ولم يرد السلام على أحد، أو يرد على من يعرفهم فقط، أو يرد على من كان فى منزلته كفعل بعض المتكبرين، فإن ذلك يُعدُّ من سوء الأدب واكتساب الإثم، وإخلال بحق الطريق، فمن جلس فى طرق الناس وجب عليه أن يؤدى لهم حقوقهم ، فإن السلام سنة ,ورده واجب على من سلم .

ومن المعلوم أن الطريق ليس ملكًا لأحد معين، إنما هى من المرافق والممتلكات العامة التى ينتفع بها الجميع، لكن للأسف الشديد نرى عبث البعض بها والاعتداء على ما فيها من مرافق بحجة أنها حق عام وليست لأحد بعينه، وهذا ضرب من الإفساد المذموم شرعًا، قال تعالى: ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ٨٥).

ففى الآونة الأخيرة كثرت صور الاعتداءات على المرافق والملكيات العامة لأسباب شتى من بينها: ضعف القيم الإيمانية والأخلاقية لدى البعض من الناس والذين يلحقون أضرارًا جسيمة بالفرد وبالمجتمع، فى حين أن الإسلام قد أكد على ضرورة حماية المال العام من السارقين والمختلسين، والغلولين والنصّابين والمرتشين والأفّاقين، والمرابين والمقامرين، وممن يتلفون ويسرقون وممن يستغلون المرافق العامة لمنافعهم ومآربهم الشخصية من دون الناس جميعًا.

إن المرفق العام ملك للجميع وتخريبه هو اعتداء على المال العام الذى حذّر الله - تعالى- من سرقته أو الإضرار به، فإن ذلك يعد من الغلول، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٦١).

فالواجب علينا جميعًا أن نتعاون فى الحفاظ على هذه المرافق وتطويرها والبعد عمّا يؤدى إلى إتلافها؛ لأنها مال عام ينتفع به الجميع، ويعتبر الحفاظ عليه إحدى الضروريات الخمس التى جاءت بها شريعتنا الإسلامية الغراء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء: ٢٩).

فالحفاظ عليها مسئوليتنا جميعًا، والاعتداء عليها اعتداء على مجموع الأفراد والمجتمع، لأن الذى يسرق من المال العام فإنه يسرق من الأمة كلها، وعليه إثم كل من له حق فى هذا المال، فسرقته أعظم جرمًا من سرقة المال الخاص، كان مُعَيْقِيب على بيت مال عمر، فكنس بيت المال يومًا فوجد فيه درهمًا فدفعه إلى ابن لعمر، قال مُعيقيب: ثم انصرفت إلى بيتى، فإذا رسول عمر قد جاءنى يدعونى، فجئت فإذا الدرهم فى يده فقال لى: ويحك يا مُعيقيب، أوجدت علىّ فى نفسك شيئًا؟ قال : قلت: ما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: أردت أن تخاصمنى أمة محمد ﷺ فى هذا الدرهم؟!

نسأل الله التوفيق والرشاد لكل ما يحبه ويرضاه.

الطب الوقائى وعناية الإسلام ببناء الإنسان

الجمعة بتاريخ ٢٨ من جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ ـ ١٧ من أبريل ٢٠١٥م

أولا : العناصر:

١ ـ عناية الإسلام بالإنسان صحيًا .

٢ ـ حرمة الغش فى الطعام والدواء.

٣ ـ دعوة الإسلام إلى التَّداوى والأخذ بالأسباب.

٤ ـ مراعاة أهل الاختصاص والبعد عن الخرافات.

٥ ـ عناية الإسلام ببناء الإنسان نفسيًا وسلوكيًا، وعلميًا.

ثانيًا ـ الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١ ـ يقول تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦).

٢ ـ ويقول تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٤٧).

٣ ـ ويقول تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِى عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٥).

٤ ـ ويقول تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة : ١٩٥).

٥ ـ ويقول تعالى: ﴿...فَأَىُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ • الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام:٨١، ٨٢).

٦ ـ ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة:٦).

٧ ـ ويقول تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣).

٨ ـ ويقول تعالى: ﴿...إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٥).

الأدلة من السنة:

١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كذا كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» (صحيح مسلم).

٢ ـ وعَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِب رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ» (سنن الترمذي).

٣ ـ وعَنْ أَبِي مَالك الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ ...» (صحيح مسلم).

٤ ـ وعَنْ جَابِر بْنِ عَبْد الله (رضى الله عنهما) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «غَطُّوا الإِنَاءَ وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ» (صحيح مسلم).

٥ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً» (صحيح البخارى)، وأخرج الإمام مسلم بسنده عَنْ جَابِرٍ بن عبد الله رضى الله عنهما) عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

٦ ـ وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوفٍ وأبى هريرة (رضى الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ» (صحيح مسلم).

٧ ـ وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْد (رضى الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الطَّاعُونُ آيَةُ الرِّجْزِ، ابْتَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ بِهِ نَاسًا مِنْ عِبَادِهِ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ، فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَفِرُّوا مِنْهُ» (متفق عليه).

٨ ـ وعَنْ صُهَيْب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (صحيح مسلم).

٩ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ» (الأدب المفرد للبخارى).

١٠ ـ وعَنْ أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» (سنن ابن ماجه).

ثالثًا: الموضوع

إن من عظمة التَّشريع الإسلامى أن جاء بالمبادئ والأصول الكليَّة التى تضمن استقامة الحياة فى نظام محكم دقيق، يقول الله تعالى: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى

لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩)، ويقول تعالى: ﴿..مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ...﴾ (الأنعام: ٣٨)، ومن هذه المبادئ وتلك الأصول أن اهتم ببناء الإنسان ورعايته صحيًا، ونفسيًا وسلوكيًا وعلميًا فذلك من أهم مقاصد الإسلام.

إن رسالة الإسلام تتطلب أن ينعم أبناؤه بأجسام تجرى فى عروقها دماء العافية، ويمتلئ أصحابها فتوة ونشاطًا، فإن الأجسام الهزيلة لا تطيق عبئًا، والأيدى المرتعشة لا تقدم خيرًا، ورسالة الإسلام أوسع فى أهدافها وأصلب فى كيانها من أن تحيا فى أمة مرهقة موبوءة عاجزة، ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِىُّ الأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦)، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ» (صحيح مسلم)، والقوة صفة من صفات الله - عز وجل - وكذلك من أسمائه الحسنى (القوى)، قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِى إِنَّ اللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة: ٢١).

والمسلم القوى نافع لنفسه، ودينه، ووطنه، من هنا كانت عناية الإسلام ببناء إنسان قوى البنيان مستقيم النفس، حسن السلوك، عالم بأمور دينه ودنياه .

وتتجلى عناية الإسلام بصحة الإنسان أن أحاطها بسياج من الرعاية، فحرم الاعتداء عليها بأى لون من ألوان الاعتداء، بل جعل الحفاظ عليها أحد الكليات الخمس التى جاء بها الإسلام، فشرع من التكاليف ما يحفظ للإنسان صحته، فمن مظاهر

هذه العناية أن جعل الطهارة شطر الإيمان، فعَنْ أَبِى مَالِك الأَشْعَرِىِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ ...» وجعلها جزءًا لا يتجزأ من شرائعه فشرع الاستنجاء والوضوء، والسواك والغسل، وخصال الفطرة، وجعل الطهارة شرطًا لصحة كثير من العبادات كالصلاة والطواف، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا...﴾ (المائدة : ٦).

ومن مظاهر عناية الإسلام بصحة الإنسان أن حثه على البعد عن كل ما قد يُلْحِق به الضرر به، فقال تعالى: ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...﴾ (البقرة :١٩٥)، والبعد عن الإسراف فى الطعام والشراب قال تعالى: ﴿.. وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١)، وعَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِى كَرِبٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مَلأَ آدَمِىٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ» . قال ابن رجب: هذا الحديثُ أصلٌ جامعٌ لأصول الطب كلِّها. (جامع العلوم والحكم)، وبهذا نعلم أن الإسلام بنصوصه وتراث علمائه قد سبق العلم الحديث فى التنبيه على خطورة الإسراف فى تناول الطعام والشراب وأنها أصل كل داء، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿..وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ..﴾ (الأعراف : ١٥٧)، وحث الإسلام على

قال الله تعالى:

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

سورة العنكبوت

حفظ الأطعمة من كل ما يلحق بها الضرر، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله (رضى الله عنهما) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «غَطُّوا الإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لاَ يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ، إِلاَّ نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ».

إن طهارة المأكل والمشرب، وطهارة البيئة من: الأوبئة والجراثيم، وإماطة الأذى عن الطريق ونظافة البدن والأسنان قبل الأكل وبعده وقاية للمجتمعات من الأمراض والعلل، وتوفير لثمن العلاج والتكلفة المرهقة للمستشفيات والدولة، والوقاية خير من العلاج، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا... ﴾ (التحريم: ٦)، نار العذاب فى الآخرة ونار التصرف السيئ فى الدنيا، ألم الأمراض وسوء تربية النفس والأولاد، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (المؤمنون:٥١).

ومن مظاهر عناية الإسلام بصحة الإنسان إيجاد أسرة قوية، حيث إن الأسرة هى نواة المجتمع وأساس بنائه، فسلامة الأسرة سبيل سلامة المجتمع، ومن ثمَّ اهتم بالعلاقة بين الزوجين وحرم كل ما من شأنه أن يلحق الضرر بأحدهما، فحرم المعاشرة الزوجية أثناء الحيض فقال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة :٢٢٢)، وحرم الزنا لأنه علاقة غير صحية علاوة على كونها محرمة، قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ (الإسراء :٣٢)، وحرم كل ما يلحق الأذى بصحة المرأة فأوجب على الحائض والنفساء الإفطار فى رمضان، ورخص فى عدم أداء بعض الفرائض حتى لا يتعرض الإنسان للتعب والمرض قال تعالى: ﴿ .. فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ... ﴾ (البقرة : ١٨٥).

وشرع الإسلام جملة من الآداب الاجتماعية التى تحفظ على الناس صحتهم، وتمنعهم من التعرض للأمراض، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا عَطَسَ وَضَعَ يَدَهُ أَوْ ثَوْبَهُ عَلَى فِيهِ، وَخَفَضَ أَوْ غَضَّ بِهَا صَوْتَهُ» (أخرجه أبو داود). ونهى عن التنفس فى الإناء لعدم إلحاق الأذى به ونقله للآخرين، فعن أَبِى قَتَادَةَ (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يَتَنَفَّسْ فِى الإِنَاءِ...».

ومن عناية الإسلام بجانب الوقاية أنه حرَّم الغش الذى يفسد على الناس معايشهم، والتلاعبَ بأقواتهم

وحاجاتهم الأساسية، وكذا حرم الغش فى الدواء مما يؤدى إلى انتشار الأمراض وقتل الأنفُسِ من أجل كسبٍ حرام، ولقد حذر النبى (صلى الله عليه وسلم) من الغش فذكر أن الذى تسمح نفسه بغش المسلمين وخداعهم والتلاعب بهم لا يستحق أن يندرج تحت مظلتهم، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» (صحيح مسلم)، فهذا الذى يتسبب فى قتل الناس أو فى إلحاق المرض بهم أو إيذائهم بأى لون من ألوان الإيذاء من أجل المال يورد نفسه المهالك، فالقرآن الكريم يشير إلى أن من يأكل حرامًا بمثابة من يهلك نفسه، فقد جمع الله تعالى بين النهى عن أكل الأموال بالباطل وبين قتل النفس فى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء: ٢٩)، يقول ابن كثير (رحمه الله): «وَقَوْلُهُ: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أَىْ بِارْتِكَابِ مَحَارِمِ اللَّهِ وَتَعَاطِى مَعَاصِيهِ وَأَكْلِ أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ» (تفسير ابن كثير).

وحرص الإسلام على نظافة وصلاح البيئة المحيطة بالإنسان، وأن تكون خالية من الأمراض لأن الأمراض إذا انتشرت فى مجتمع فإنها لا تخص شخصًا دون شخص، ولكنها تؤثر سلبًا على حياة الناس عمومًا، فوضع قواعد لمنع انتشار الأمراض والأوبئة فى المجتمع سبق به الطب الحديث، تعتبر أساس الطب الوقائى، منها العزل والحجر الصحى الذى وضع قواعده منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام والذى عبر عنه النبى ﷺ بقوله: «لاَ يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ».

ولئن حدث الداء فقد جعل الإسلام التداوى واجبًا، فالإنسان مطالب بحفظ نفسه، ومن حفظها التداوى، وإذا تركه يكون آثمًا، وفى الحث على التداوى وردت أحاديث كثيرة منها ما أخرجه مسلم بسنده عَنْ جَابِرِ بن عبد الله (رضى الله عنهما) عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺعَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلاَّ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»، و عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيك قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِىَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ، فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قَعَدْتُ، فَجَاءَ الأَعْرَابُ مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَتَدَاوَى؟ فَقَالَ: «تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلاَّ وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ».

وكما أن التداوى واجب دينى فهو أيضًا ضرورة اجتماعية حفاظًا على المجتمع وصحة أفراده، وقد وضع له الإسلام منهجًا حكيمًا يتمثل فى الرضا بقضاء الله وقدره، وأن يسعى جاهدًا للعلاج، وأن يبذل كل جهده لعدم انتشار مرضه وتعديته إلى غيره، من خلال عدم الاختلاط، وذلك لأن إيذاءه للآخر محرم، وكذلك اعتبر الإسلام توفير الأدوية والخبرات والمؤسسات الطبية فى المجتمع واجبًا كفائيًا .

ولقد اهتم الإسلام بتعاليم الطب الوقائى، وترك الطب العلاجى لاجتهاد الناس، فالطب الوقائى هو المحافظة على صحة الفرد والمجتمع عمومًا، فهو من ضرورات الشريعة باعتبار أن صحة الأبدان من صحة الأديان، وهو صالح لكل زمان ومكان، وأن فى وقاية المجتمع حماية للدين، أما الطب العلاجى أى تشخيص المرض وعلاجه بالوصفات الطبية أو العمليات الجراحية فهو متروك لاجتهاد الناس فى كل زمان ومكان، ولكن الواجب على المجتمع فى ذلك أن يُعَوِّلَ على أهل الاختصاص، فهم أهل الذكر الواجب اتباعهم فى تخصصهم، أما ما يحدث فى بعض الأحيان فى المجتمع من هرج ومرج وجنوح إلى الخرافات واللجوء إلى غير المتخصصين لعلاج بعض الأمراض فلا ينبغى أن يحدث فى مجتمع مسلم يستضىء بنور الوحى، يقول الله تعالى: ﴿...فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنبياء: ٧)، ويقول

تعالى: ﴿...فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٩)، فأهل الذكر فى مجال التداوى هم الأطباء المتخصصون.

ولقد اعتنى الإسلام بالإنسان نفسيًا أيما عناية فأول ما تُزَكِّيه العقيدة الإسلامية فى نفوس أصحابها أن تنمى فيهم الاستقرار النفسى فالمؤمنون بالله واليوم الآخر يتمتعون فى حياتهم بلذة الأمن النفسى، فتراهم لا يبالون أمام الأحداث الجسام فى هذه الحياة الدنيا من مفاجآت المستقبل، وذلك لأن الله تعالى ربط على قلوبهم باليقين وملأ نفوسهم بالإيمان، يمشون على الأرض وعليهم السكينة، يحزن الناس ولا يحزنون، وإذا أصابتهم مصيبة قالوا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، وإذا لحقهم البلاء يصبرون، ولقد ضرب الله عز وجل لنا مثلاً بالفتية الذين آمنوا وفروا بدينهم من الفتن، يقول تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى • وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ (الكهف: ١٣، ١٤)، والإسلام يعتبر الأمن هو الأساس الذى يرتكز عليه المؤمن، وهذا الأمن نتيجة لازدياد العبد من طاعاته لله ولرسوله وسيره على درب الإيمان من غير حيف ولا ظلم، يقول تعالى: ﴿...فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ • الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ...﴾ (الأنعام:٨١: ٨٢.)

إن تعاليم الإسلام الحنيف تقضى تمامًا على كل أسباب القلق النفسى فتحقق الطمأنينة والسكينة والاستقرار من خلال الإيمان بالقضاء والقدر، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ٥١)، ويقول تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنعام: ١٧)، إنها ألوان من التربية النفسية للمؤمن حين يصل نفسه بخالقه عز وجل فيمنحه الله من الجزاء ما يثلج صدره، ويريح نفسه، ويجعله قرير العين هادئ البال فى دنياه، ويغفر له ذنبه ويدخله الجنة فى أخراه، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ • لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ..... وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ • الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ (فاطر: ٢٩ : ٣٥).

والنفس التى ملأ الإيمان أركانها وشغل أقطارها تنظر إلى ما حولها نظرة تفاؤل ورجاء، يدفعها إلى ذلك هدف واحد هو طلب ثواب الله تعالى ورضوانه فإذا امتدت حياتهم وبارك الله فى أعمارهم ساروا فى درب الحياة بخطىً ثابتة لا عثار فيها، وقلوب مطمئنة لا لغط يعتريها، فعَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (صحيح مسلم)، وكيف يجزع المؤمن إذا ابتلى بشتى ألوان البلاء وهو يعلم بنور إيمانه أن ثواب ذلك كله مدون له عند ربه الذى لا يضيع عنده عمل عامل فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» (صحيح البخارى، والنصب التعب، والوصب المرض)، وهكذا يرى المؤمن المحنة منحة والمصائبَ فى تصاريف الأقدار ثوابًا، فهل يستطيع عباقرة الطب النفسى أن يصلوا بمن يعالجوهم إلى هذا المستوى الرفيع من الرضا والسعادة بكل ما يلقاه الإنسان من أقدار؟! إنه الإيمان وحده الذى يفعل ذلك والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

وأما بناء الإنسان سلوكيًا فذاكَ صرح شامخ شيّده الإسلام، فلقد غيّر الإسلام أخلاق الناس ووجهها إلى كل خير، ولقد أفصح النبى ﷺ عن الهدف من بعثته قائلا: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ

الأخلاقِ»(الأدب المفرد للبخارى)، وهذا جعفر بن أبى طالب (رضى الله عنه) وهو يخاطب النجاشى يُظهر أثر الإسلام فى سلوك الناس فيقول: «كُنَّا قَومًا أَهلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعبُدُ الأَصنَامَ، وَنَأكُلُ المَيتَةَ، وَنَأتِى الفَوَاحِشَ، وَنَقطَعُ الأَرحَامَ، وَنُسِىءُ الجِوَارَ يَأكُلُ القَوِىُّ مِنَّا الضَّعِيفَ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَينَا رَسُولاً مِنَّا نَعرِفُ نَسَبَهُ وَصِدقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ فَدَعَانَا إِلَى اللهِ تَعَالَى لِنُوَحِّدَهُ وَنَعبُدَهُ وَنَخلَعَ مَا كُنَّا نَعبُدُ نَحنُ وَآبَاؤُنَا مِن دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالأَوثَانِ، وَأَمَرَ بِصِدقِ الحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسنِ الجِوَارِ، وَالكَفِّ عَنِ المَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ . وَنَهَانَا عَنِ الفَوَاحِشِ، وَقَولِ الزُّورِ، وَأَكلِ مَالِ اليَتِيمِ، وَقَذفِ المُحصَنَةِ . وَأَمَرَنَا أَن نَعبُدَ اللهَ وَحدَهُ لاَ نُشرِكُ بِهِ شَيئًا وَأَمَرَنَا بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ» (مسند الإمام أحمد).

والعبادات التى شرعها الإسلام أعظم تزكية لسلوك الإنسان، فالصلاة مثلا تنهاه عن الفحشاء والمنكر: ﴿... إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، والصيام يربى فيه الإرادة، فالصائم الذى يتغلب على رغبات نفسه امتثالاً لأمر الله تعالى يكون قد ربى نفسه على الصمود والثبات، وبالزكاة تزكو نفس المؤمن حين يسمو بها عن مواطن الشح والبخل فيعودها على الجود والعطاء، وفى الحج تربية للإنسان على الطاعة والامتثال، فتكون فرصة لتهذيب النفوس من الكبر والبغضاء وغير ذلك من الصفات الذميمة، لا سيما حين يرى المرء نفسه مع جموع من البشر جاءوا من بقاع شتى تجردوا من كل شىء لا يبغون إلا رضا رب العالمين.

وأما بناء الإنسان علميًا فقد كان أول قبس من نور الوحى دعوة إلى العلم من خلال هذا الأمر الإلهى ﴿ اقْرَأْ﴾، ويبدو لنا حرص النبى ﷺ على تعليم الناشئة حين يجعل فداء أسرى بدر أن يعلموا صبيان المسلمين، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضى الله عنهما) قَالَ : «كَانَ نَاسٌ مِنَ الأَسرَى يَومَ بَدرٍ لَم يَكُن لَهُم فِدَاءٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِدَاءَهُم أَن يُعَلِّمُوا أَولاَدَ الأَنصَارِ الكِتَابَةَ» (مسند الإمام أحمد).

إنه دين جعل طلب العلم فريضة، فعَن أَنَسِ بنِ مَالِك رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «طَلَبُ العِلمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسلِمٍ»(سنن ابن ماجه)، ولقد فتح القرآن الكريم المجال رحبًا فسيحًا أمام العقل البشرى ليستقرئ ويستنبط ويصل إلى ما يبنى به الحياة ويعمر به الكون، ويتجلى ذلك فى كثير من الآيات التى تدعو إلى التأمل والنظر كقوله: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا...﴾ (الأنعام: ١١)، و﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا...﴾ (النمل: ٦٩)، و﴿... أَفَلَا تُبْصِرُونَ...﴾، و ﴿... أَفَلَا تَعْقِلُونَ...﴾.

هكذا رأينا كيف كان حرص الإسلام على بناء الإنسان صحيًا، وتزكيته نفسيًا، وتهذيبه سلوكيًا وبنائه علميًا، وبذلك يكون المجتمع المسلم مجتمعًا صحيحًا متماسكًا قويًا، يتمتع أفراده بأعلى درجات الصحة، فالمسلم القوى نافع لنفسه، ودينه، ووطنه فعَن أَبِى هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «المُؤمِنُ القَوِىُّ، خَيرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِى كُلٍّ خَيرٌ ...» (أخرجه مسلم)، إن تعاليم الإسلام هى القادرة على بناء إنسان قوى متوازن متكامل الشخصية، يمشى على الأرض ويتطلع إلى السماء، ويعمل للدنيا ولا ينسى الآخرة ويأخذ الحق ولا ينسى الواجب، ويتعامل مع الخلق ولا ينسى الخالق، ويصلح نفسه ويسعى إلى إصلاح غيره، فهو دائمًا يسعى إلى الخير ويتواصى مع سائر المؤمنين بالحق والصبر كما أمر الله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ • إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ • إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ • وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (سورة العصر: الآيات ١: ٣).

نافذة على العالم الإسلامى

إعداد: جليلة أحمد حلمى

بلاد الأندلس «أسبانيا»

تقع أسبانيا جنوب غرب أوروبا وتشكل نحو ٨٤٪ من شبه الجزيرة الأيبيرية تبلغ مساحتها الكلية حوالى ٥٠٤,٧٨٢كم٢، أعظم حدود أسبانيا مياه البحر المتوسط فى الجنوب والشرق من جبل طارق إلى الحدود الفرنسية والمحيط الأطلسى فى الشمال الغربى كما لأسبانيا حدود برية مع فرنسا وأندورا عند امتداد جبال البرانس، مناخها قارى فى المناطق الداخلية وأكبر مدنها مدريد - برشلونة - بلباو.

أصل التسمية

لايزال أصل التسمية محط جدال، قد يكون الاسم الرومانى القديم لأيبيريا - «هسبانيا» نابعًا من الاستخدام الشعرى لكلمة «هيسبيريا» والتى تشير إلى أسبانيا، وفى التصور اليونانى لإيطاليا أن «هيسبيريا» هى الأرض الغربية أو أرض غروب الشمس أو أرض الغروب القاصية كونها تقع غرب إيطاليا.

وقد تكون التسمية أيضًا اشتقاقًا من أسبانية البونيقية (بمعنى الحافة) فى إشارة إلى موقع أسبانيا على الطرف الغربى للبحر الأبيض المتوسط.

دخول الإسلام أسبانيا

وصل الإسلام إلى أسبانيا مبكرًا وذلك عندما غزا المسلمون جزيرة أيبيريا عام (٩٣هـ - ٧١١م) واكتسح المد الإسلامى أكبر مساحة من شبه الجزيرة الأيبيرية ولم يمض على دخول المسلمين والإسلام ثلاثون عامًا إلا وكانت أيبيريا بأكملها فى حوزة الإسلام وتحول الفاتحون إلى مهاجرين واستوطنوا البلاد، بل وتجاوزوها إلى جنوب فرنسا.

تظهر دراسة أجرتها أحد معاهد الدراسات فى أسبانيا أن ١,٧٠٠,٠٠٠ يعتنقون الإسلام حسب إحصاءات عام ٢٠١٢م وتتألف غالبية المسلمين هناك من المهاجرين والمنحدرين من أصول الأمازيغ خاصة من دول المغرب وبعض البلدان الأفريقية وقد أدت موجات الهجرة التى حدثت فى الآونة الأخيرة إلى تزايد عدد المسلمين فى أسبانيا حيث إن إقليم كتلونيا يمثل المرتبة الأولى من حيث المسلمون ويليه إقليم أندلوثيا ثم مدريد.

كان المجتمع الإسلامى فى شبه الجزيرة الأيبيرية متنوعًا وعانى من بعض التوترات الاجتماعية حيث اصطدم الأمازيغ من شمال أفريقيا والذين شكلوا الجزء الأكبر من الجيوش الغازية - بالقيادات الإسلامية القادمة من عاصمة الخلافة.

ازدهرت التجارة المتوسطة والتبادل الثقافى حيث جلب المسلمون التقاليد الفكرية العريقة من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، كما تفاعلت الثقافة اللاتينية لشبة الجزيرة مع الثقافة الإسلامية مما منح المنطقة ثقافة مميزة، كما تعتبر السياحة الأسبانية ثانى أكبر قطاع سياحى فى العالم.

منذ أن خضعت أسبانيا للحكم الإسلامى منذ القرن الثامن الميلادى

وحتى القرن الخامس ترك خلالها المسلمون آثارًا إسلامية بها فبالرغم من تحويل المساجد إلى كنائس وتدمير الحضارة الإسلامية فيها إلا أن هناك معالم إسلامية بقيت صامدة، بل وأسهمت فى إنعاش السياحة الأسبانية.

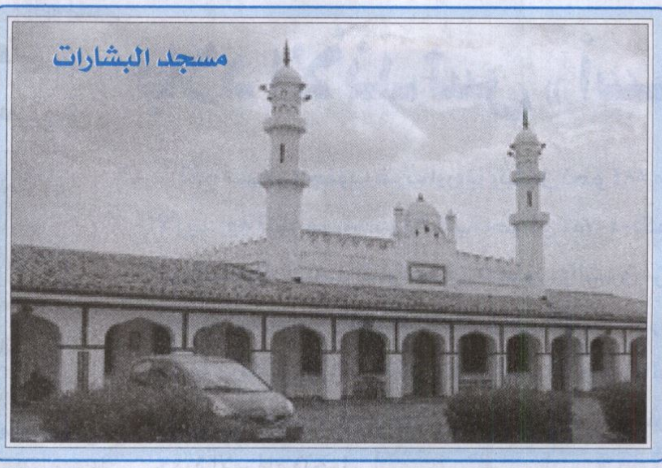

مسجد البشارات

ومن هذه المعالم والتى نرى فيها بصمة الفن الإسلامى واضحة:

- كاتدرائية جامع قرطبة: حيث كانت الكاتدرائية مسجدًا فى عهد الحضارة الإسلامية وهى تراث عالمى لليونسكو، تتميز الكاتدرائية بتمازج فن العمارة الإسلامية والمسيحية.

- قصر الحمراء الواقع فى مدينة غرناطة ذو الهياكل الجميلة، تتواجد فيه العديد من الآثار الإسلامية، وتتجلى العمارة الإسلامية فيه بوضوح فى أبنية القصر من خلال الزخرفة الرقيقة فى السجاد وكتابة الآيات القرآنية والأدعية.

- مسجد الأندلس فى مدينة مالقة وبنى المسجد الملك فهد بن عبدالعزيز وهو من أكبر المساجد فى أوروبا من حيث المساحة.

- مسجد متستير لاريال هو المسجد الوحيد الذى حافظ على بنيته الأصلية.

- مسجد الباب المردوم من أقدم معالم مدينة طليطلة ومن أقدم المساجد الباقية من الأندلس.

- القصبات الأندلسية وهى ثكنات عسكرية أمازيغية بنيت إبان الحكم الإسلامى للأندلس وقد أقام المسلمون هذه القصبات فى المدن الإسلامية الكبرى كأمزية - غرناطة - جيان - قرطبة وغيرها من القصبات والغرض منها الدفاع عن المنطقة والمناطق المجاورة لها.

- قصر الجعفرية بمدنية سرقسطة لايزال قابعًا حتى الآن كمعلم إسلامى يجلب العديد من السياح ويقول أحد مؤرخى الفن: إنه ليس بيتا للصلاة، بل بيتًا للفن يضم أروع ما أبدعه الفن الأندلسى.

- قنطرة قرطبة هى معلم إسلامى يقع على نهر الوادى الكبير لقرطبة.

- قلعة شربش من أهم معالم الثقافة الإسلامية وهو مجمع دفاعى ومعلم إسلامى سجل كمعلم تاريخى منذ عام ١٩٣١م. وهذه القلعة قريبة من مدينة إشبيلية وقادس ولها أهمية تجارية واستراتيجية.

- الجامع الكبير ويعتبر الجامع الكبير من أهم معالم قرطبة وآثارها الباقية إلى اليوم ويسمى بالأسبانية Mezquita وهى تحريف لكلمة مسجد. وقد بدأ بناءه عبد الرحمن الداخل ثم ابنه هشام الأول. ظهرت مجموعة من الهيئات والمؤسسات الإسلامية فى غرناطة ثم انتشرت بعد صدور حرية الأديان منها المركز الإسلامى فى قرطبة، الجمعية الإسلامية فى إشبيلية - المفوضية الإسلامية فى أسبانيا، كما يوجد المركز الإسلامى الثقافى فى مدريد يضم مسجد ومدرسة تقوم بتعليم العلوم الإسلامية واللغة العربية والقرآن الكريم ومعمل لتعليم اللغات.

ومن أقوال سيدة أسبانية مسلمة من الجيل الثانى وتعرف قليلاً من العربية: (إن الإسلام ليس دينا لشعب واحد بعينه بل دينًا للبشرية كلها حيث إن النبى محمد آخر نبى أرسله الله) هذا يفسر لنا ما يقدمه الإسلام من سماحة، فلم يرغم المسلمون طيلة الثمانية قرون أحدًا على اعتناق الإسلام، بل تركوا للأسبان حرية اختيار العقيدة.

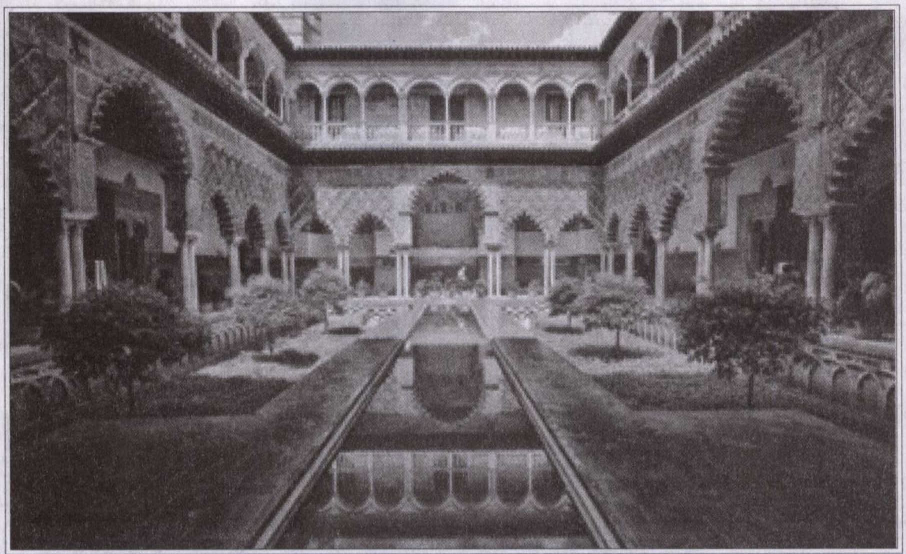

مدن إسلامية عالمية قديمة

الأندلس - طليطلة - قرطبة

د. عبدالمقصود باشا*

فى البداية، نسمع كثيرا عن الأندلس، ما أصل تسميتها؟

الأندَلُس أو الأندُلُس هى التسمية التى أعطيت لما يسمى اليوم شبه الجزيرة الأيبيرية (جزيرة الأندلس) فى الفترة ما بين أعوام ٧١١ و١٤٩٢ التى حكمها المسلمون. تختلف الأندلس عن أندلسيا التى تضم حاليا ثمانية أقاليم فى جنوب إسبانيا.

أصلها جزيرة الأندلس (والأندلس قد تكون محرفة من وندلس، إذ اعتادت العرب إبدال الواو ألفاً)، والأندلس لدى العرب القدامى هم فاندال، وهم شعب جرمانى نزحوا من جرمانيا (ألمانيا وبولندا حاليا) إلى أيبيريا (إسبانيا والبرتغال حاليا)، وانتقل جزء كبير منهم أيضا إلى شمال أفريقيا بعد أن غزا القوط الغربيون أيبيريا (يتأصل القوط الغربيون من منطقة البحر الأسود، كانوا قبائل آرية). ذكر ابن عذارى المراكشى فى كتابه «البيان المُغرب فِى اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب»: «وقيل إن أول من نزل الأندلس بعد الطوفان قوم يعرفون بالأندلش (بشين معجمة)، فسميت بهم الأندلس (بسين غير معجمة).

ماذا عن تاريخها؟

اليوسبين والكلتز هم أقدم الشعوب التى سكنت أيبريا (أسبانيا والبرتغال) اليوسبين شعب أتى من الجنوب من الجزر التى فى البحر المتوسط بينما الكلتز Celts شعب أتى من شمال أوروبا وانقرضت هذه الشعوب قبل دخول القوط والمسلمين إلى شبه جزيرة أيبيريا.

كما استوطن اليونانيون والفينيقيون بعض المدن والثغور الأيبيرية. غزاها الرومان وقاموا بتحويلها إلى ولاية رومانية الثقافة وكاثوليكية الدين بعد أن

* أستاذ التاريخ بجامعة الأزهر

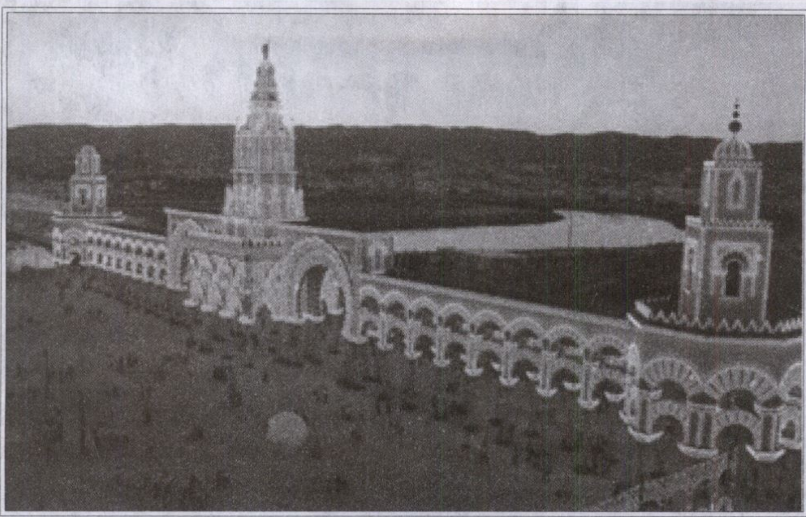

كانت تنتشر العقيدة الآريوسية بين أهل البلاد ونجح الرومان فى تغيير اللغة إلى اللاتينية. ولانتشار العقيدة الآريوسية بين أهل البلاد الأصليين الأثر فى اعتناقهم الإسلام بعد الفتح الإسلامى لقربها من العقيدة والفكر الإسلامى.

فتح المسلمون بقيادة القائد طارق بن زياد عام ٩٢هـ/٧١١م وجعلوا الأندلس جزءًا من الدولة الإسلامية ويعتبر عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) المؤسس للدولة الأندلسية سنة ٧٥٠ التى كانت مستقلة عن الدولة العباسية واعتبرت الأندلس امتدادا لدولة بنى أمية التى قضى عليها العباسيون فى الشرق عام ١٣٢هـ. وفى سنة ٧٥٦ بنى عبد الرحمن الناصر (الثالث) مدينة قرطبة والتى أصبحت عاصمة الأندلس واعتبرت المدينة المنافسة لبغداد عاصمة العباسيين.

من أبرز المدن التاريخية طليطلة، ما أصل تسميتها؟

طليطلة (بالإسبانية: Toledo، توليدو)، مدينة إسبانية تقع على بعد ٧٥ كيلو مترًا جنوب العاصمة الإسبانية مدريد. مدينة طليطلة هى عاصمة مقاطعة طليطلة ومنطقة كاستيالا منتشا فى وسط إسبانيا. يبلغ عدد سكانها حوالى ٨٣,١٠٨ نسمة. المدينة تقع على مرتفع منيع تحيط به أودية عميقة وأجراف عميقة، تتدفق فيها مياه نهر تاجه. ويحيط وادى تاجه بطليطلة من ثلاث جهات مساهما بذلك فى حصانتها ومنعتها.

طليطلة مدينة قديمة للغاية، ويغلب أنها بنيت فى زمن الإغريق. ازدهرت فى عهد الرومان، فحصنوها بالأسوار، وأقاموا فيها المسرح والجسر العظيم. وبلغت طليطلة ذروتها فى عصر الخلافة الإسلامية عندما كانت جميلة، مزيجًا من الفن والعلم.

وكانت تعرف فى القرون الوسطى باسم «مدينة التسامح» حيث كان يتعايش فيها المسلمون واليهود والمسيحيون. ويرجع اسم المدينة إلى العهد الرومانى، حيث كان يطلق عليها اسم «توليدو» وتعنى بالرومانية «المدينة المحصنة».

اشتهرت أيام الحكم الإسلامى لإسبانيا، حيث كانت مدينة أندلسية عريقة فى القدم. اسم طليطلة تعريب للاسم اللاتينى «توليدوث» (Tholedoth) وكان العرب يسمون طليطلة مدينة الأملاك؛ لأنها كانت عاصمة مملكة القوط.

وماذا عن أصل تسمية قرطبة؟

قرطبة (بالإسبانية: Cordoba) مدينة وعاصمة مقاطعة قرطبة التابعة لمنطقة أندلوسيا فى جنوب

إسبانيا وتقع على ضفة نهر الوادى الكبير، على دائرة عرض (38°) شمال خط الاستواء يبلغ عدد سكانها حوالى ٣٢٨,٦٥٩ نسمة (تعداد سنة ٢٠١١م).

اشتهرت أيام الحكم الإسلامى لإسبانيا، حيث كانت عاصمة الدولة الأموية هناك، من أهم معالمها مسجد قرطبة.

واعتماداً على المعلومات التى أدلى بها ياقوت الحموى بشأن أصل مدينة قرطبة أن أصل كلمة قرطبة ترجع إلى مصدرين، أولهما أعجمى رومانى وثانيهما عربى. أما معنى الكلمة فى اللغة العربية فيقصد بها العدوُ الشديد، وورد فى الشعر العربى بيت جاء فيه ذكر الكلمة.

وفى رواية أخرى أن التعبير قرطبة بمعنى صرعه، وتعنى أيضاً أن القرطبا هو السيف كأنه من قرطبة أى قطعة.

أما بخصوص إرجاع الكلمة إلى أصلها فى اللغات القديمة فقد أشار إليه مؤلف مقالة قرطبة فى دائرة المعارف الإسلامية والعديد من الكتاب الغربيين والعرب فالكلمة أصلها أيبيرى قديم مأخوذ من كلمة كوردوبا Corduba أو Corduva. وهى بالفعل كما وجد المؤلفون العرب كلمة قديمة تشير إلى مدينة قديمة أزلية، فقد ورد ذكرها أثناء الصراع بين اليونان وقرطاجنة حيث اشترك أهالى قرطبة فى حملة هانيبال على روما، كما أنها أصبحت تابعة للإمبراطورية الرومانية بحدود سنة ٢٠٦ق.م.

وماذا عن قرطبة الرومانية؟

تأسست قرطبة مستوطنة رومانية على الجانب الشمالى لنهر الوادى الكبير (نهر بيتيس قديماً) فى عصر جمهورية روما سنة ٢٠٦ قبل الميلاد، ثم صارت عاصمة لولاية بيتيكا (جنوب إسبانيا) ضمن الإمبراطورية الرومانية. وقد ظلت قرطبة مدينة رومانية لمدة تزيد عن سبعة قرون، وذلك مازالت فى قرطبة آثار من الحكم الرومانى، أبرزها الجسر الرومانى (بويتنى رومانو) الذى يقطع الوادى الكبير، وأطلال معبد رومانى، بالإضافة إلى ضريح رومانى مكتشف حديثًا. وظهر فى قرطبة فى تلك الفترة الفيلسوف سينيكا.

بعد سقوط الدولة الرومانية على يد الغزوات المتتابعة من قبل القبائل الجرمانية (البرابرة)، انحدرت على شبه الجزيرة الأيبيرية (إسبانيا والبرتغال حاليًا) بعض هذه القبائل القندال والآلان، وتبعهم القوط الغربيون الذين كان أمر الجزيرة بأكملها، بما فيها قرطبة، قد آل إليهم وقت وصول المسلمين فى القرن الثامن الميلادى (الأول الهجرى)، بعد صراع مع الروم البيزنطيين.

ومـــــاذا عن قـــرطبـــة الإسلامية؟

فـــــتـــح المسلمـــــون الأمويون قرطبة على يد القائد مغيث الرومى مولى الخليفة الوليــد بن عبد الملك فى سنة ٩٢هـ/٧١٠م، بعد أن عبر بقواته إلى أيبيريا (التى سماها المسلمون ببلاد الأندلس) وقتل ملكها لذريق (رودريك). وقد جعل الأمويون الأندلس ولاية تابعة لولاية المغرب، حتى جعلها عمر بن عبد العزيز ولاية الأندلس تتبع للعاصمة الأموية فى دمشق بشكل مباشر. وجعل الأمويون قرطبة مقرا لولاتهم على الأندلس فظلت كذلك حتى سقوط الدولة الأموية على أيدى العباسيين عام ٧٥٠م.

العصر الأموى

ولكن لم يعل شأن قرطبة إلا مع قدوم الأمير الأموى عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس فارا من العباسيين، فاستولى على مقاليد الأمور فى الأندلس الإسلامية وجعل قرطبة عاصمة له عام ٧٥٦م. وقد كان هذا بداية لعصر قرطبة الذهبى، حيث أصبحت عاصمة الأندلس الإسلامية بأكملها وأهم مدينة فى شبه الجزيرة، وفى عهد الداخل بدأ العمل على جامع قرطبة الكبير الذى مازال قائمًا فى المدينة اليوم، واستمر الحكم بيد الأمويين من سلالة عبد الرحمن الداخل فى هذه الفترة.

مسجد قرطبة

وقد تعرضت الدولة الأموية لعدد من الثورات المتعاقبة وفقد أمراؤها مقاليد الأمور حتى تمكن أحد أحفاد الداخل، عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر، من إعادة توطيد ملك الأمويين وإخضاع معظم الأندلس لسلطته فى قرطبة، وذلك فى القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى). وقد بلغت به القوة إلى أن اتخذ لنفسه لقب خليفة المسلمين، مستندًا إلى ما اعتبره حق أسرته القديم فى الخلافة السابق لحق بنى العباس. وقام الناصر بنقل حكومته إلى مدينة جديدة اختطها على بعد أميال من قرطبة أسماها الزهراء، إلا أن قرطبة ظلت المدينة الرئيسية فى البلاد. بعد أحداث وقعة الربض وصلت المدينة لأوج مجدها فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٩١٢-٩٦١)، وابنه الحكم الثانى (٩٦١-٩٧٦)، ثم تلاهم الحاجب المنصور بن أبى عامر (٩٨١-١٠٠٢)، الذى استولى على مقاليد السلطة فى قرطبة وصيّر الخليفة الأموى سجينًا فى قصوره فى الزهراء وابتنى له قصرًا للحكم فى طرف قرطبة أسماه بالمدينة الزاهرة، وقد كانت مدينة قرطبة من أهم المدن الأوروبية فى القرن العاشر، كما كانت منارة للعلم والثقافة فى أوروبا، وعاصمة من عواصم الأدب والثقافة العربية والإسلامية، وأنجبت المدينة فى هذه الفترة الشاعر ابن زيدون، والشاعرة الأموية ولادة بنت المستكفى، والفقيه ابن حزم، والعالم عباس بن فرناس، كما انتقل إليها الموسيقى زرياب وأسس دار المدنيات.

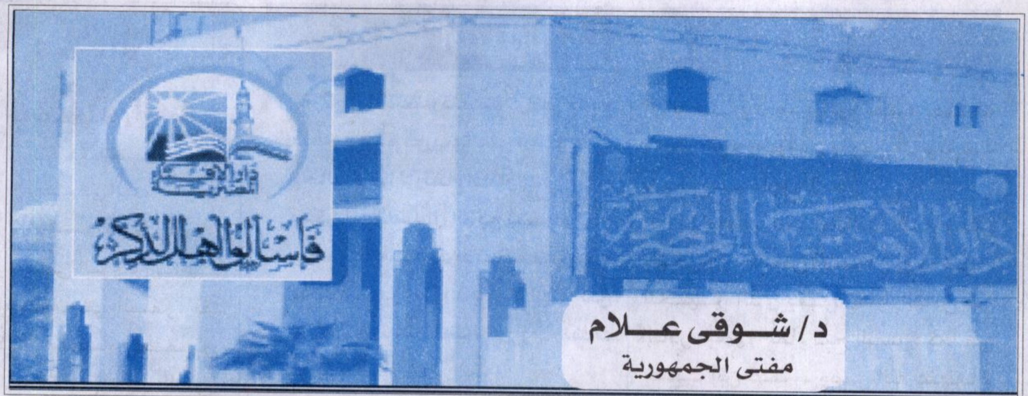

د/ شوقى علام
مفتى الجمهورية

إتمام الصلاة

سافرتُ إلى بلد يبعد عن مكانى بأكثر من مائة كيلو متر، ونويتُ أن أقيم فى هذا البلد شهراً، فمتى أبدأ إتمام الصلاة، أمِن يوم نزلت البلد، أم بعد أربعة أيام؟

الجواب: المسافر إذا صح سفره يظل على حكم السفر فيما يخص الصلاة من قصر وجمع ولا يتغير هذا الحكم إلا أن ينوى الإقامة، أو يدخل وطنه، وحينئذ تزول حالة السفر، ويصبح مقيما تنطبق عليه أحكام المقيم فإذا نوى الإقامة أكثر من أربعة أيام غير يومى الدخول والخروج، يتم صلاته ولا يجمعها ويبدأ التعامل كمقيم من أول يوم بعد يوم الوصول.

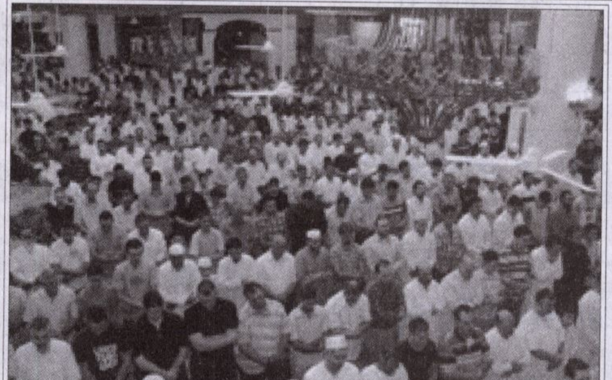

أما إن نوى الإقامة أقل من ذلك أو لم ينو فيظل على رخصة القصر والجمع إلى أن يتم أربعة أيام، ولا يَحسب من الأيام يومى الوصول والرجوع.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

المسافر أثناء صلاة الجمعة

سمعت فتوى وأريد أن أتأكد منها، وهى أن من كان مسافراً ووصل إلى وجهته المقصودة أنه ليس عليه جمعة ويجوز أن يجمع الصلوات حتى لو مكث فى المدينة التى سافر إليها سنة وأكثر ما دام فى نيته الرجوع إلى مدينته أو بلده طوال تلك الفترة.

الجواب: أجمع أهل العلم على أن المسافر لا جمعة عليه، فإن صلاها نال ثوابها، والمسافر الذى يصل إلى وجهته المقصودة إن نوى الإقامة أربعة أيام أصبح فى حكم المقيم عند بعض الفقهاء فيتم الصلاة ويصلى الجمعة، ويرى البعض الآخر أنه لا يأخذ حكم المقيم إلا إذا نوى إقامة خمسة عشر يومًا، أما إذا أقام لحاجة ينتظر قضاءها ولا يعلم وقت قضائها فهو فى حكم المسافر حتى تنقضى حاجته وله أن يقصر ويجمع إلى أن يتم أربعة أيام، ولا يحسِب من الأيام يومى الوصول والرجوع.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

صلاة الرجل بأهله فى السفر

ما حكم صلاة الرجل بأهله فى السفر؟

الجواب: لا بأس أن يصلى الرجل بأهله ومحارمه فى السفر؛ فقد كان النساء يحضرن الصلاة فى عهد النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - كما صلَّى النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - بأنس وأمه واليتيم.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

رخص السفر

من أين تبدأ رخص السفر؟

الجواب: تبدأ مسافة السفر والترخص بسببه من نهاية محل الإقامة، وذلك كسور المدينة أو بوابة المدينة ومدخلها، وما يقاس عليه كمحطة القطار أو موقف السيارات، أو الميناء الجوى، أو الميناء البحرى، أو ما يعرف بـ (الكارتة) عند مدخل المدينة ومخرجها. وما أشبه ذلك.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

استبدال شراء اللحم بالذبح

جرت العادةُ عند تنفيذِ أىِّ نذرٍ بذبح ذبيحةٍ ويتم توزيعُها على المحتاجين، وحاليًا نظرًا لارتفاع أسعار اللحوم؛ هل يُمكِن استبدالُ الذبحِ بشراءِ لحمٍ بنَفْسِ الكميَّةِ المُرادِ توزيعُها كنذرٍ؛ وذلك لتوفير أجرِ الذبح والأشياء التى لا يُستفادُ منها؛ كالفرْو ومُخلَّفاتِ الذبيحة؟

الجواب: النذرُ هو إلزامُ الإنسانِ نفْسَه أمام الله تعالى بشىءٍ حَضٍّ عليه الشرعُ؛ أى أن الشرع لم يُوجِبْه ابتداءً، كما أنه لم يُحرِّمْه، وقد أثنى الشرعُ الشريفُ على المُوفين بالنذور؛ فوصف اللهُ تعالى الأبرارَ بقوله سبحانه: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (الإنسان: ٧).

وعن عائشة - رضى الله عنها - عن النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ» (متفق عليه).

والواجب على مَن نَذر نَذرًا أن يُوَفِّى بما أَلزَم به نفْسَه دون أن يُبَدِّلَه بغيره؛ فالنذر كالعَقد، يلتزم الإنسانُ أن يُوفِّى بما فيه من ألفاظ دون تصرُّف؛ فمَن أَلزَم نفْسَه بعبادةٍ لَزِمَهُ أن يَتَعَبَّدَ بها، ومَن أَلزَم نفْسَه بصدقة وجب عليه إخراجُها، ومَن أَلزَم نفْسَه بذبح وجب عليه الذبحُ.

وإيجاب الوفاء بالنذر فيه مَعَانٍ ينبغى أن يَتَفَطَّنَ الإنسانُ لها، منها: الخير الذى يعود على الناس مِن الناذِر، ومنها اتِّقاءُ شُحَّ النفْسِ؛ كما فى حديث ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: نهى النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - عن النذر، وَقَالَ: «إِنَّهُ لاَ يَرُدُّ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ» (متفق عليه)، ومنها: تطويع النفس لله وتدريبُها على الالتزام بما التزمته أمامه سبحانه.

ومن ثَمَّ فيجب على هذا الشخص الذى الْتَزَم بالذبح أن يفى بنذره وفقًا لما التزم به؛ فالذبح فى ذاته عبادة مقصودة، فإذا الْتَزَم ذبحَ شىءٍ من الأنعام لَزِمَه ذلك، ولا يُجزِئُه أن يشتريه مذبوحًا؛ لأن شراء اللحم غير الذبح، فإن تيسر له الذبح بعد ذلك ذَبَحَ، وإلاَّ كَفَّر عن نذره بكفَّارة يمين؛ وهى إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، فإن لم يجد صام ثلاثة أيام.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

زكاة المال على شهادات الاستثمار

أرجو إفادتنا عن زكاة المال على شهادات الاستثمار المُحدَّدة بمُدَّة عشر أو خَمسِ سنوات؛ فهل تُستخرَجُ زكاةُ المال على قيمة الشهادة والفائدة عندما يَحولُ عليها الحَولُ أم تُستخرَجُ على الفائدة فقط وتُستخرَجُ الزكاةُ على أصل الشهادة حين انتهاء مُدَّتها؟

الجواب: زكاةُ المالِ المُودَعِ فى البنوك على هيئة ودائع أو شهادات تَكونُ بمقدارِ ربعِ العُشرِ على المالِ المُودَعِ فى البنك مضافًا إليه الأرباح، إذا حال عليه الحَولُ القَمَرِىُّ وكان بالغًا للنصاب.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

الاحتفال بالمناسبات الدينية

نقوم بالاحتفال بالمناسبات الدينية المختلفة، مثل الاحتفال بليلة القدر، والإسراء والمعراج، والمولد النبوى الشريف.. إلخ، وذلك باجتماع نخبة من المشايخ والعلماء لإلقاء بعض المحاضرات الدينية لهذه المناسبات، مع إقامة بعض المسابقات والابتهالات الدينية، مع الاستعانة بسماعات خارج المسجد وداخله وعمل زينات خارج المسجد بالأنوار، وأحيانا نقوم بتصوير الحفلة بالفيديو مع عمل جلسة خاصة للسادة العلماء عبارة عن منضدة وكراسى للجلوس فى مواجهة الحاضرين داخل المسجد، مع توزيع بعض المشروبات والحلويات، وتكريم حفظة ومحفظى القرآن الكريم وعمال المساجد المجتهدين. فما رأى الدين أيضا فى الاحتفال بهذه الصورة؟

الجواب: الاحتفال بالمناسبات الدينية المختلفة أمر مرغوب فيه ما لم تشتمل على ما يُنْهَى عنه شرعًا؛ حيث ورد الشرع الشريف بالأمر بالتذكير بأيام الله تعالى فى قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (إبراهيم: ٥)، وجاءت السنة الشريفة بذلك؛ ففى صحيح مسلم أن النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - كان يصوم يوم الاثنين من كل أسبوع ويقول: «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ»، وفى الصحيحين عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَامًا يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم -: «مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِى تَصُومُونَهُ؟»، فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ؛ أَنْجَى اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فيه مُوسَى وَقَوْمَهُ وَغَرَّقَ فيه فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا، فَنَحْنُ نَصُومُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم -: «فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ»، فَصَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - وَأَمَرَ بِصِيَامِه.

وعليه: فالاحتفال بالمناسبات الدينية على الصورة المذكورة أمر مشروع لا كراهة فيه ولا ابتداع، بل هو من تعظيم شعائر الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج ٣٢).

والله سبحانه وتعالى أعلم.

زكاة التجارة

كيف تحسب زكاة التّجارة؟

الجواب: على التّجار زكاة تُسمى بزكاة عروض التّجارة، وعروض التجارة هى كل ما أعد للتجارة كائنة ما كانت سواء من جنس تجب فيه زكاة العين كالإبل والغنم والبقر، أو لا، كالثياب والحمير والبغال. وتحسب زكاة عروض التجارة على النحو التالى:

١ - تقوم فى نهاية العام الهجرى بجرد البضائع التى لديك وتقديرها.

٢ - يتم خصم الديون التى على البضائع من قيمة البضائع الموجودة.

٣ - يتم إضافة الديون المستحقة للمحل على المتعاملين معه، والصافى وهو رأس المال العامل إن بلغ النصاب - النصاب ٨٥ جراما من الذهب عيار ٢١ - وجب إخراج ما نسبته ٢,٥٪ من إجمالى ثمن البضائع.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

يجيب عنها ـ د/سيف رجب قزامل*

الوصية

السؤال: كتب الموصى وصية بخط يده، ولم يُشهد عليها، حيث رآها الورثة ضمن أوراقه بعد موته، وأثناء حصر التركة اختلف الورثة، فما الحكم؟

الجواب: يستحب للموصى أن يكتب وصية، وأن يشهد عليها؛ لأن ذلك أحفظ وأحوط، وتصديقا لقوله ﷺ: **«ما حق امرئ مسلم له شيء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده».**

وجرى على هذا الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وروى عن أنس أنه قال: كانوا يكتبون فى صدور وصياهم: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به فلان، أنه يشهد أنه لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور» وأوصى من ترك من أهله أن يتقوا الله، ويصلحوا ذات بينهم ويطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين، وأوصاهم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب «يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون» (المغنى ٦ / ٧٠).

ولو أن الورثة اختلفوا: بعضهم أقر الوصية؛ لمعرفته بخط والده وبعضهم لم يعترف بها؛ لعدم الإشهاد على الوصية، وقد يقول بأن والدهم رجع عن الوصية، فإن القاضى يحكم بالوصية، طالما عرف خط الموصى، ولم يرجع عن وصيته (وهذا ما يراه فريق من الفقهاء) ومن أدلتهم: حديث رسول الله ﷺ: **«ما من امرئ مسلم له شئ يوصى فيه، يبيت ليلتين، إلا ووصيته مكتوبة عنده»**. إذ لم يذكر الرسول ﷺ الإشهاد على الوصية.

ومن أدلتهم أيضًا: أن الوصية يتسامح فيها، ولهذا صح تعليقها على الخطر والغرر، وصحت للحمل، وبما لا يقدر على تسليمه، وبالمعدوم والمجهول، فجاز أن يتسامح فيها بقبول الخط (المغنى ٦ / ٦٩).

ويرى فريق آخر من الفقهاء: أن الموصى إذا كتب وصيته، ولم يشهد عليها، فإنه لا يعمل بها، ومن أدلتهم:

ما ورد فى الحديث: **«... إلا ووصيته مكتوبة عنده»** إذ المراد عندهم: مكتوبة بشرطها، وهو الشهادة.

يقوى ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ**﴾ (سورة المائدة: الآية ١٠٦)، فإنه دال على اعتبار الإشهاد فى الوصية.

أجيب عن ذلك: بأنه لا يلزم من ذكر الإشهاد فى الآية، أنها لا تصح الوصية إلا به، والتحقيق (كما يقول الصنعانى فى سبل السلام ٣/٩٦٤): «... أن المعتبر معرفة الخط، فإذا عرف خط الموصى عمل به، ومثله خط الحاكم وعليه عمل الناس قديمًا وحديثًا، وقد كان رسول الله ﷺ يبعث الكتب يدعو فيها العباد إلى الله تعالى وتقوم عليهم الحجة بذلك ولم يزل الناس يكتب بعضهم إلى بعض فى المهمات من الدينيات والدنيويات ويعملون بها وعليه العمل بالوجادة كل ذلك من دون إشهاد».

وأيضا - كما ذكر بعض الشافعية - الاعتماد على الكتابة أو الخط فى الوصية من دون شهادة، إنما هو خاص بالوصية فقط؛ لأن الوصية لما أمر الشارع بها، وهى تكون مما يلزم من حقوق ولوازم، كان حقها أن تجدد فى الأوقات، واستصحاب الإشهاد فى كل لازم يريد أن يتخلص منه خشية مفاجأة الأجل متعسر، بل متعذر فى بعض الأوقات، فيلزم منه عدم وجود الوصية أو شرعيتها بالكتابة من دون شهادة، إذ لا فائدة فى ذلك، وقد ثبت الأمر المذكور فى الحديث بها، فدل على قبولها من غير شهادة (سبل السلام ٣ / ٩٦٤).

* الأستاذ بجامعة الأزهر.

«يارب هيئ لنا من أمرنا رشدا»

شعر / رفعت عبدالوهاب المرصفى

يارب - هيئ لنا من أمـرنا رشـدا ** واجمع بفضلك من فى الغى قد شردا

وحد قلوب الهدى فى كل ناصية ** واضمم قلائد عقد بات منفردا

هزت صروح المدى من حولنا فتن ** والغدر من حولنا قد أحكم الصفدا

فى الشرق - فى الغرب - أحقاد تحاصرنا ** تجتاح أرض الهدى تختصها بددا

فى كل شبر يعيش المسلمون به ** يستنفر الكفر من أجناده العددا

والكفر أجناده ماتت ضمائرهم ** لم يرحموا امرأة أو يطلقوا ولدا

والكفر بحر وقد فاضت ملوحته ** وراكد القاع فوق السطح قد صعدا

يارب بحر الدجى أمواجه اشتعلت ** كادت شطوط السنى أن تختفى رعدا

وأمة الحق صارت فى المدى مزقا ** وكل ما خصها يستوجب الكمدا

اللهم فافتح لنا بالحق عالمنا ** واشدد لنا أزرنا وابعث لنا المددا

وامنح بلاد الهدى بالحق مأمنها ** وانصر بفضلك من للغدر قد صمدا

فمن لفيض السنى إلاك ينصره ** ومن سواك لنا - يا واحداً أحدا؟

جمهورية مصر العربية
القاهرة
مجلة منبر الإسلام
٩ شارع النباتات - جاردن سيتي - القاهرة

نافذة على القراء

يحرره ـ أحمد حسن

النيل من فضل الله تعالى على مصر

من فضائل الله تعالى على مصر أن أنعم عليها بعد الإسلام بنيلها العظيم، شريان حياتها الكبير الذى يمتد فى وسط مصر فيشق البلد نصفين شرقا وغربا، وعلى جنباته المزارع الخضراء، والحدائق، ومن هنا فيجب على كل فرد من أفراد هذا الشعب العظيم أن يحافظ على هذا الإكسير الذى كان من أهم الأسباب التى جعلت ـ بعد الإسلام ـ شعب مصر من أرق الشعوب أفئدة وأشجعها قلباً وأعلاها صبراً ومجداً.

فعن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: نيل مصر سيد الأنهار، سخر الله له نهراً بين المشرق والمغرب، وذلك فإذا أراد الله تعالى أن يجرى نيل مصر، أمر كل نهر أن يمده فأمدته الأنهار بمائها، وفجر الله له الأرض عيونا، فإذا انتهى جريه إلى ما أراد الله، أوحى الله إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره».

وقال فى قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ • وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ • وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ (الدخان: ٢٥ : ٢٧)، وقال: كانت الجنان بحافتى هذا النيل من أوله إلى آخره فى الشقين جميعا، ما بين أسوان إلى رشيد، كان له خليج هو: خليج الإسكندرية، خليج دمياط، خليج سردوس، خليج منف، خليج الفيوم، خليج المنهى، متصلة لا ينقطع منها شىء عن شىء، وزروع ما بين كل من أول مصر إلى آخر ما يبلغ الماء، وكانت جميع أرض مصر تروى من ست عشرة ذراعاً لما قدروا تدبروا من قناطرها وجسورها وخليجها.

ومن رحمة الرحيم بعباده، أنه تعالى يسوق الماء إلى الأرض المحرومة منه إما عن طريق مطر السماء أو ما ينحدر من الجبال إلى الوديان، ومن ثم تخرج الأرض بأمر ربها زرعا من الثمار ما يقوى الآدميين، ومن العصف وغيره ما تأكله الأنعام والدواب أفلا يرى هؤلاء المنكرون؟! قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ (السجدة: ٢٧).

ومن هنا يجب على المصريين جميعا أن يشكروا المولى ـ عز وجل ـ على هذه النعمة نعمة «النيل العظيم»، ونعمة الماء الذى قال المولى فيه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء : ٣٠).

القارئ: أحمد مصطفى عبدالمطلب حسانين ـ الرحمانية ـ دير مواس ـ المنيا.

عزيزى القارئ: قديما قال الحكيم الإغريقى «هيرودوت»: «مصر هبة النيل» وحديثا أكدت كل الظواهر صدق هذه المقولة وخاصة بعد إنشاء القناطر الخيرية، والسد العالى، فبعد تنظيم مياه النيل استفاد المصريون منها فى الزراعة والصناعة والصيد، فأكلوا وشربوا وصنعوا ملابسهم، وأقاموا أول حضارة عظيمة عرفتها البشرية على ضفاف هذا النهر الخالد، وتنقلوا على صفحة مياه النيل بالبضائع والمنتجات ليتاجروا فيها، وفى الآونة الأخيرة ولدوا الكهرباء من مياهه، وأقاموا صروحا صناعية هائلة تدار بها، وحتى طينه استخرجوا منه الأدوية وصنعوا منه الأوانى وأدوات الزينة والزخارف، ولهذا أحب المصريون النيل وقدسوه وشكروا الله على هبته.

الإحســـــان إلى الوالـــــــدين

أوْصى الإلهُ بإحسان يصاحبه
خفض الجناح وترك الأف والضجر
وأخبر الحق أن الخير أجمعه
ردُّ الجميل لمن يرعاك فى الصغر
فوالداك أحق الناس قاطبة
رضاهما من رضا الرحمن ذى القدر
لن يفلح الابن إلا أن يطيعهما
وهو المدان قد يلقاه فى الكبر
فاذكر لأمك آلاما تؤرقها
وأنت فى بطنها من كثرة الضرر
وحين وضعك لو تعلم مشقتها
وما رأته من الأهوال والخطر
وفى الرضاعة كم عانت وكم صبرت
ولم تبال بما تلقى من السهر
واذكر لوالدك الحنون صولته
وما يراه من الويلات والكدر
يسابق الطير فى الإصباح منتشيا
ويقطع الليل فى الآهات للسحر
يفاخر الكون إن حققت أمنية
فمن يباريه فى التحنان من بشر
فاحذر مخالفة تفز بمنزلة
واعلم بأن الرضا خير من الدُّرر
فلو ملكت كنوز الكون من ذهب
من غير برِّهما لم تنجُ من خطر

القارئ عبدالواحد عبدالعزيز عبدالواحد - إدارة كفر شكر التعليمية - محافظة القليوبية

عزيزى القارئ: قرأت أبياتك الشعرية الجميلة واستمتعت بما فيها من معان رائعة وألفاظ موحية وأعجبنى اختيارك لموضوع بر الوالدين وطريقة معالجتك، وأرجو أن ينتفع الشباب المسلم بالنصائح الغالية التى قدمتها إليه فى هذا المضمار والأدلة الدامغة التى سقتها إليه لتؤكد فضل الوالدين مما يوحى بضرورة رد الجميل إليهما. ونحن نضم الصوت إليك لأن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا ببر الوالدين والإحسان إليهما لما لهما من أفضال جليلة على الأبناء، وقد جعل الله الجنة ونعيمها لمن أطاع والديه والضياع فى الدنيا والآخرة لمن عصى وجحد فضلهما عليه.

ترقبوا

سلسلة دراسات إسلامية
• تصدر فى منتصف كل شهر عربى
سلسلة قضايا إسلامية
• تصدر غرة كل شهر عربى

إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
من أمهات كتب التراث الإسلامى

موسوعات متخصصة فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف
مع مجلة «منبر الإسلام» الشهرية

صدرت بالمكتبات
موسوعة
التاريخ الإسلامى فى مجلدين

مسابقة منبر الإسلام الدينية - جمادى الآخرة ١٤٣٦ هـ
اقلب الصفحة

من دلائل قدرة الله

يخبر الله تعالى عما خلق فى الآيات الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه، وأنه تعالى جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياء، وجعل شعاع القمر نورًا، ففاوت بينهما لئلا يشتبها، وجعل سلطان الشمس بالنهار، وسلطان القمر بالليل لقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ (الأنعام: آية ٩٦).

فالشمس تعرّف الأيام، وبسير القمر نعرف الشهور.. والأعوام ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ (يونس: ٥) أى لم يخلقه عبثا، بل له حكمة عظيمة. وفى قول الله: ﴿يُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ - أى الحجج والأدلة - ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، وفى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (يونس: ٦) - أى تعاقبهما إذا جاء هذا ذهب هذا، وإذا ذهب هذا جاء هذا.

وفى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (يونس: ٦) أى من الآيات الدالة على عظمته تعالى.

ثم يختتم الآيات بقوله تعالى: ﴿لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ - أى يتقون عقاب الله وسخط الله وعذاب الله تعالى.

وفى الحديث الذى رواه الإمام مسلم قال ﷺ فيما يرويه عن ربه - عز وجل - قال تعالى: «**يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم**»، أى أن جميع الخلق مفتقرون إلى الله - عز وجل - فى تحقيق مصالحهم، ودفع مضارهم.. فى أمور دينهم ودنياهم.

أخى المسلم:

اعلم أن الله تعالى قادر على خلق كل شىء. «فلا تبحث عن الله، وإنما ابحث عن قدرة الله تعالى» - ولاتكن من الغافلين، واعلم أخى الكريم أن قدرة الله - عز وجل - تفوق كل القدرات.. واعلم أخى الحبيب أنك فقير إلى علم الله تعالى.

القارئ: متولى عبدالمنعم - فيصل - جيزة.

عزيزى القارئ: كل ما فى الكون يدل على قدرة الله ويؤكد عظمة إبداع الخالق، ويكفى أن نتدبر آية الله وحكمته فى تعاقب الليل والنهار وما فى ذلك من منافع هائلة للبشر لندرك قدرة الله ورحمته بالعباد، فنحن لا نستطيع أن نحيا فى نهار دائم أو فى ليل سرمدى، وكذلك كل المخلوقات فقد جعل الليل لباسًا والنهار معاشًا، فسبحان الله الواحد الأحد نعبده ونشكره ولا نشرك به أبدا.

مسابقة منبر الإسلام الدينية لشهر جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ

السؤال: «الحديث عن اختيار الأمة الإسلامية للقيادة وتفضيلها على سائر الأمم بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر وقيامها على الدعوة للإيمان بالأنبياء جميعًا»

فى أى مقال وردت هذه العبارة؟

عنوان المقال: .... اسم الكاتب: ....

العنوان: ....

العمل: ....

اسم المتسابق: .... رقم التليفون: ....

تاريخ الميلاد: ....

رقم البطاقة: .... جهة الصدور: ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٣٥هـ حتى شعبان ١٤٣٦هـ.

ـ حـقـا وعدلا وصدقا ويقـينا بأن الإسلام هو دين السلام والرحمة والمودة والسكينة والطمأنينة، وأن الإسلام يكره العنف وينبذ الإرهاب والتطرف!

ـ ولذا فـإن راية الإسلام تظلل جميع من يحيا على أرض الوطن لا فرق بين مسلم وغير مسلم فقد وقف الإسلام حيال الأديان الأخرى جميعها وحيال أهلها موقفا إنسانيا كريما يتسم بالسلام والتسامح فقرر من القواعد وسن من المبادئ ما ينظم العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، ومن أهم هذه المبادئ عدم إكراه أحد على الدخول فى الإسلام وترك دينه، وفى هذا يقول المولى ـ جل جلاله ـ مخاطبا صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر سيدى محمد ﷺ وهو أصدق القائلين: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ (يونس: آية ٩٩)، ويقول أيضا وهو أصدق القائلين: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾ (الغاشية: الآية ٢٢).

ـ وفى ظل الإسلام يحس الناس بنعم الأمن والأمان والسلام والتراحم والتعاطف لما فيه من العمل على جمع القوى المتناثرة والقلوب المتناحرة المتنافرة فى ظل أخوة تعلو على حدود الأجناس والأوطان!

ـ ولقد روى ابن جرير الطبرى عن سيدنا عبدالله ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رجلا من بنى سلام بن عوف يقال له «الحصين» كان له ولدان مسيحيان وهو مسلم فسأل الرسول ﷺ عما إذا كان يجوز له إكراههما على اعتناق الإسلام فنهاه الرسول ﷺ عن ذلك ونزل قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: الآية ٢٥٦).

فالحمد لله تعالى على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة، فهو دين السلام الذى جاء به خير الأنام سيدى محمد ﷺ.

القارئ: الشيخ محمد أبو الروس ـ مسجد كفر الجرايدة ـ بيلا ـ كفر الشيخ

عزيزى القارئ: حقا.. الإسلام ينبذ العنف والإرهاب والتطرف ويدعو إلى التسامح والوسطية والله تعالى يقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: آية ١٢٥).

وقد جاء التشريع الإلهى ليؤكد حرية العباد فى اختيار الدين. يقول تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: آية ٢٥٦).

كما أكد أيضا على ضرورة التعامل الكريم القائم على الحب والتسامح والسلام بين المسلم وغير المسلم، فلا يحاسب العباد إلا رب العباد وما على الرسول إلا البلاغ، والله تعالى يخاطب رسوله قائلا: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾ (الغاشية: الآية ٢٢).

محتويات مجلة منبر الإسلام «جمادى الآخرة» ١٤٣٦هـ

- كلمة التحرير ١
- أصداء الثورة الدينية (حديث الشهر) .... أ. د. محمد مختار جمعة - وزير الأوقاف ... ٢
- وقائع المؤتمر العام الرابع والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية متابعة: د. حسن أحمد خليل - عظمة الإسلام وأخطاء بعض المنتسبين إليه.. طريق التصحيح» .... محمدكامل شاهين ٥
- أنباء وأخبار .... محمد سيد أحمد علىّ الدين ٢٣
- من أروقة المؤتمر: مصر الكنانة تمتلك بوسطيتها القدرة على مواجهة الإرهاب د. أحمد فاروق الهلباوى ٢٩
- مصر درع الأمة فى زمن التصدع العربى .... محمد كامل شاهين ٣١
- حوارات ولقاءات على هامش المؤتمر .... أحمد حسن ٣٣
- الهجرة غير الشرعية .. وأوهام الشباب .... تحقيق: محمد كامل شاهين ٣٩
- نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية (٧٣) .... د. طه مصطفى أبو كريشة ٤٧
- التفسير اللغوى للقرآن الكريم (٤٠) .... د. عبدالغفار حامد هلال ٥١
- التسامح من كمال الإيمان .... د. أحمد عبداللطيف الكلحى ٥٥
- بناء الإنسان ثراء للمجتمع .... الشيخ/ محمد عبد المجيد زيدان ٥٨
- من كتاب تهذيب مدارج السالكين «منزلة الذكر» .... الشيخ/محمد عز الدين عبدالستار ٦٢
- من مميزات الرسول ﷺ .... د. طه عبدالسلام خضير ٦٦
- إن هذا الدين يسر .... د. عبدالفتاح محمود إدريس ٧٠
- أهمية التدبر للمسألة الايمانية .... د. أمان محمد عبدالمؤمن قحيف ٧٤
- باب (النساء شقائق الرجال) ٧٨
- دور المرأة كزوجة فى الإسلام .... د. سامية منيسى ٧٩
- تعلمت منها «أسماء بنت عميس» .... د. إلهام شاهين ٨٢
- فقه المرأة المسلمة .... د. أمانى عبدالقادر ٨٦
- (من تراث منبر الإسلام) الحض على التوبة والاستغفار .... المرحوم الدكتور/ أحمد الحوفى ٨٧
- المصلح الاجتماعى عند الإمام أبى حامد الغزالى .... د. عامر يس النجار ٩٢
- تطور التشريع الإسلامى .... د. محمد نبيل غنايم ٩٦
- فضائل الحمد ومنزلة الحامدين .... د. مختار مرزوق عبدالرحيم ١٠٠
- من فوق المنبر: خطب الجمعة لشهر «جمادى الآخرة» ١٤٣٦هـ ١٠٦
- نافذة على العالم الإسلامى: بلاد الأندلس «أسبانيا» .... إعداد: جليلة أحمد حلمى ١٢٩
- مدن إسلامية قديمة .... د. عبدالمقصود باشا ١٣١
- فاسألوا أهل الذكر .... د. شوقى علام (مفتى الجمهورية) ١٣٥
- فتاوى متنوعة .... يجيب عنها: د. سيف رجب قزامل ١٣٨
- يارب هيئ لنا من أمرنا رشدا (شعر) .... رفعت عبدالوهاب المرصفى ١٣٩
- نافذة على القراء .... أحمد حسن ١٤٠
- محتويات العدد ١٤٤

انتظرونا

بإذن اللّه تعالى

فى العدد القادم

ملف خاص عن

لزيادة السكانية ..
ول يلتهم التنمية

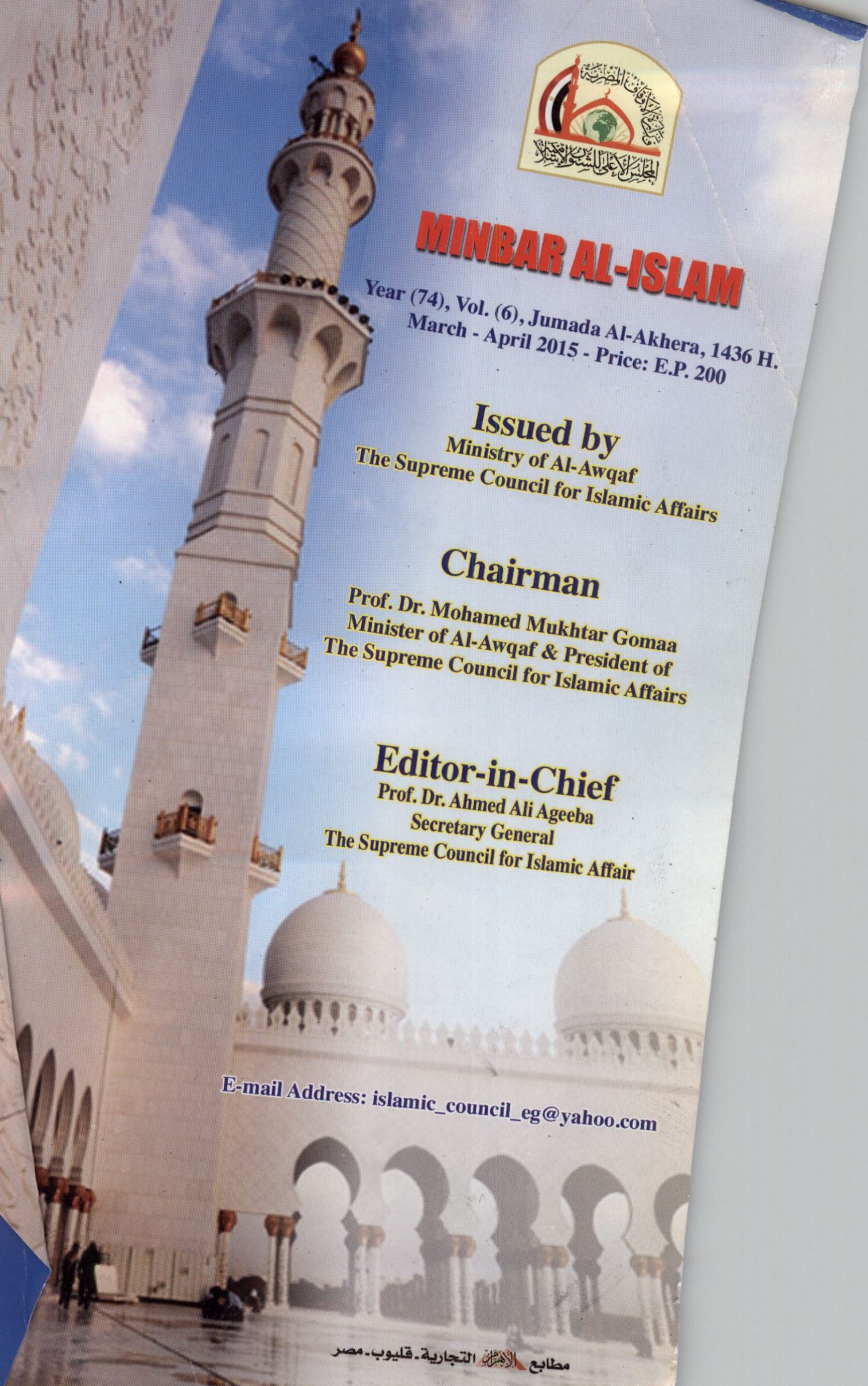

MINBAR AL-ISLAM

Year (74), Vol. (6), Jumada Al-Akhera, 1436 H.
March - April 2015 - Price: E.P. 200

Issued by

Ministry of Al-Awqaf
The Supreme Council for Islamic Affairs

Chairman

Prof. Dr. Mohamed Mukhtar Gomaa
Minister of Al-Awqaf & President of
The Supreme Council for Islamic Affairs

Editor-in-Chief

Prof. Dr. Ahmed Ali Ageeba
Secretary General
The Supreme Council for Islamic Affair

E-mail Address: islamic_council_eg@yahoo.com

مطابع الأهرام التجارية ـ قليوب ـ مصر